

الكتاب: تفسير القرطبي

المؤلف: القرطبي

الجزء: ١٩

الوفاة: ٦٧١

المجموعة: مصادر التفسير عند السنة

تحقيق: مصطفى السقا

الطبعة:

سنة الطبع: ١٤٠٥ - ١٩٨٥ م

المطبعة:

الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان

ردمك:

ملاحظات: مؤسسة التاريخ العربي

الجامع لاحكام القرآن
لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي
الجزء التاسع عشر
أعاد طبعه

دار احياء التراث العربي
بيروت - لبنان

١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الجن

مكية في قول الجميع. وهي ثمان وعشرون آية
قوله تعالى: قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا
سمعنا قرآنا عجبا (١) يهدهى إلى الرشد فأمننا به ولن نشرك بربنا
أحدا (٢) وإنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا (٣)
فيه خمس مسائل:

الأولى - قوله تعالى: " قل أوحى إلي " أي قل يا محمد لأمتك: أوحى الله إلي على
لسان جبريل " أنه استمع " إلي " نفر من الجن " وما كان عليه السلام عالما به قبل أن
أوحى إليه. هكذا قال ابن عباس وغيره على ما يأتي. وقرأ ابن أبي عبلة " أحي " (١)
على الأصل،

يقال: أوحى إليه ووحى، فقلبت الواو همزة، ومنه قوله تعالى: " وإذا الرسل أتت "

[المرسلات: ١١] وهو

من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة. وقد أطلقه المازني في المكسورة أيضا
كإشاح (٢) وإسادة و " إعاء أخيه " ونحوه.

الثانية - واختلف هل رآهم النبي صلى الله عليه وسلم أم لا؟ فظاهر القرآن يدل على
أنه لم يرههم، لقوله تعالى: " استمع "، وقوله تعالى: " وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن
يستمعون

القرآن " [الأحقاف: ٢٩]. وفي صحيح مسلم والترمذي (٣) عن ابن عباس قال: ما قرأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم

في الأصول (وحى)، والصواب ما أثبتناه وهو موافق لما جاء في (تاج العروس: وحى) قال: وقرأ
جؤية الأسدي: (قل أحي إلي) ولم ينسب القراءة لابن أبي عبلة.

(٢) لفظ (إشاح) ساقط من

الأصل المطبوع.

(٣) اللفظ لمسلم وأما الترمذي ففي لفظه زيادة.

(1)

على الجن وما رأيهم، انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه
عامدين إلى

سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب،
فرجعت

الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا
الشهب! قالوا: ما ذلك إلا من شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا
ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء؟ فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها،
فمر

النفر الذين أخذوا نحو تهامة وهو بنخلة (١) عامدين إلى سوق عكاظ، وهو يصلي
بأصحابه صلاة

الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء.
فرجعوا

إلى قومهم فقالوا: يا قومنا " إنا سمعنا قرآنا عجبا (٢). يهدي إلى الرشد فأمننا به ولن
نشرك

بربنا أحدا " فأنزل الله عز وجل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: " قل أوحى إلي
أنه استمع

نفر من الجن ". رواه الترمذي عن ابن عباس قال: قول الجن لقومهم " لما قام عبد الله
يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا " قال: لما رأوه يصلي وأصحابه يصلون بصلاته
فيسجدون

بسجوده قال (٣): تعجبوا من طواعية أصحابه له، قالوا لقومهم: " لما قام عبد الله
يدعوه كادوا

يكونون عليه لبدا " [الجن: ١٩]. قال: هذا حديث حسن صحيح، ففي هذا الحديث
دليل على أنه عليه

السلام لم ير الجن ولكنهم حضروه، وسمعوا قراءته. وفيه دليل على أن الجن كانوا مع
الشياطين

حين تجسسوا الخبر بسبب الشياطين لما رموا بالشهب. وكان المرميون بالشهب من
الجن

أيضا. وقيل لهم شياطين كما قال: " شياطين الإنس والجن " [الانعام: ١١٢] فإن
الشیطان كل متمرّد وخارج

عن طاعة الله. وفي الترمذي عن ابن عباس قال: كان الجن يصعدون إلى السماء
يستمعون

إلى الوحي فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا، فأما الكلمة فتكون حقا، وأما ما زادوا
فيها (٤)، فيكون

باطلا. فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم، فذكروا ذلك لإبليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك، فقال لهم إبليس: ما هذا الامر (٥) إلا من (٦) أمر قد حدث في الأرض!

-
- (١) كذا في ا، ح، ط وهو الصواب.
(٢) في ح: (إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى قرآنا عجباً) .. الخ.
(٣) في ح: (ويسجدون معه...)
(٤) كلمة (فيها) ساقطة من الأصل المطبوع.
(٥) كلمة (الامر) ساقطة من الأصل المطبوع.
(٦) في ط (عن) في موضع (من).

فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلي بين جبلين - أراه قال بمكة -

فأتوه فأخبروه فقال: هذا الحدث (١) الذي حدث في الأرض. قال: هذا حديث حسن صحيح. فدل

هذا الحديث على أن الجن رموا كما رميت الشياطين. وفي رواية السدي: أنهم لما رموا

أتوا إبليس فأخبروه بما كان من أمرهم فقال: إيتوني من كل أرض بقبضة من تراب أشمها

فأتوه فشم فقال: صاحبكم بمكة. فبعث نفرا من الجن، قيل: كانوا سبعة. وقيل: تسعة منهم زوبعة. وروى عاصم عن زر قال: قدم رهط زوبعة وأصحابه على النبي صلى الله عليه

وسلم. وقال الثمالي: أنهم من بني الشيصان وهم أكثر الجن عددا وأقواهم شوكة وهم عامة جنود إبليس. وروى أيضا عاصم عن زر: أنهم كانوا سبعة نفر، ثلاثة من

أهل حران وأربعة من أهل نصيبين. وحكى جوير عن الضحاك: أنهم كانوا تسعة من أهل

نصيبين (قرية باليمن غير التي بالعراق) (٢). وقيل: إن الجن الذين أتوا مكة جن نصيبين، والذين

أتوه بنخلة جن نينوى. وقد مضى بيان هذا في سورة (الأحقاف) (٣). قال عكرمة: والسورة

التي كان يقرؤها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اقرأ باسم ربك" [العلق: ١] وقد مضى في سورة "الأحقاف"

التعريف باسم النفر من الجن، فلا معنى لإعادة ذلك.

وقيل: إن النبي صلى الله عليه وسلم رأى الجن ليلة الجن وهو أثبت، روى عامر الشعبي قال: سألت علقمة هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

ليلة الجن؟ فقال علقمة: أنا سألت ابن مسعود فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله

صلى الله عليه وسلم ليلة الجن؟ قال: لا، ولكننا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدها، فالتمسناه في الأودية والشعاب، فقلنا استطير (٤) أو اغتيل، قال:

فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبح إذا هو يجرى من قبل حراء، فقلنا: يا رسول الله! فقدناك وطلبناك فلم نجدك، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فقال: [أتاني داعي الجن

فذهبت معه

-
- (١) كلمة (الحدث) ساقطة من الأصل المطبوع.
 - (٢) لم نجد نصيبين التي ذكرها المؤلف في معجم ما استعجم للبكري ولا في معجم البلدان لياقوت ولا فيما نقله صاحب تاج العروس عن ياقوت.
 - (٣) راجع ج ١٦ ص ٢١١.
 - (٤) في التاج: استطير فلان: دعر.

فقرأت عليهم القرآن] فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة، فقال: (لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما، وكل بعرة علف لدوابكم - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فلا تستنجوا بهما، فإنهما طعام إخوانكم

الجن) قال ابن العربي: وابن مسعود أعرف من ابن عباس، لأنه شاهده وابن عباس سمعه وليس الخبر كالمعاينة. وقد قيل: إن الجن أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم دفعتين: إحداهما بمكة وهي التي ذكرها ابن مسعود، والثانية بنخلة وهي التي ذكرها ابن عباس. قال البيهقي:

الذي حكاه عبد الله بن عباس إنما هو في أول ما سمعت الجن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وعلمت بحاله، وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرههم كما حكاه، ثم أتاه داعي الجن مرة أخرى فذهب معه وقرأ عليهم القرآن كما حكاه عبد الله بن مسعود قال البيهقي: والأحاديث الصحاح تدل على أن ابن مسعود لم يكن مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن، وإنما سار معه حين انطلق به وبغيره يريه آثار الجن وآثار نيرانهم. قال: وقد روى من غير وجه أنه كان معه ليلئذ، وقد مضى هذا المعنى في سورة "الأحقاف" والحمد لله. روي عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أمرت أن أتلو القرآن على الجن فمن يذهب معي؟" فسكتوا، ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة، ثم قال عبد الله بن مسعود: أنا أذهب معك يا رسول الله، فانطلق حتى جاء الحجون عند شعب أبي دب (١) فخط علي خطا فقال: (لا تجاوزه) ثم مضى إلى الحجون فانحدر عليه أمثال الحجل يحدرون (٢) الحجارة بأقدامهم، يمشون يقرعون في دفوفهم كما تفرع النسوة في دفوفها، حتى غشوه فلا أراه، فقامت فأومى إلي بيده أن أجلس، فتلا القرآن فلم يزل صوته يرتفع، ولصقوا بالأرض حتى ما أراهم، فلما انفتل إلي قال: "أردت أن

تأتيني "؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: " ما كان ذلك لك، هؤلاء الجن أتوا يستمعون القرآن، ثم ولوا إلى قومهم منذرين فسألوني الزاد فزودتهم العظم والبعر فلا يستطيعين أحدكم بعظم ولا بعر".

-
- (١) شعب أبي دب يقال فيه مدفن آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم.
(٢) يحدرون الحجارة بضم الدال وكسرهما: يحطونها من علو إلى سفلى.

قال عكرمة: وكانوا اثني عشر ألفا من جزيرة الموصل. وفي رواية: انطلق بي عليه السلام

حتى إذا جئنا المسجد الذي عند حائط عوف خط لي خطأ، فأتاه نفر منهم فقال أصحابنا

كأنهم رجال الزط (١) وكأن وجوههم المكاكي (٢)، فقالوا: ما أنت؟ قال: " أنا نبي الله " قالوا: فمن

يشهد لك على ذلك؟ قال: " هذه الشجرة " فقال: " يا شجرة " فجاءت تجر عروقها، لها

قعاقع حتى انتصبت بين يديه، فقال: [على ماذا تشهدين] قالت: أشهد أنك رسول الله. فرجعت كما جاءت تجر بعروقها الحجارة، لها قعاقع حتى عادت كما كانت. ثم روى أنه عليه

السلام لما فرغ وضع رأسه على حجر ابن مسعود فرقد ثم استيقظ فقال: [هل من وضوء]

قال: لا، إلا أن معي إداوة فيها نبيذ. فقال: [هل هو إلا تمر وماء] فتوضأ منه. قد الثالثة - قد مضى الكلام في الماء في سورة " الحجر " (٣) وما يستنجى به في سورة

" براءة " (٤) فلا معنى للإعادة.

الرابعة - واختلف أهل العلم، في أصل الجن، فروى إسماعيل عن الحسن البصري: أن الجن ولد إبليس، والانس ولد آدم، ومن هؤلاء وهؤلاء مؤمنون وكافرون، وهم شركاء

في الثواب والعقاب. فمن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمنا فهو ولي الله، ومن كان من هؤلاء

وهؤلاء كافرا فهو شيطان.

وروى الضحاك عن ابن عباس: أن الجن هم ولد الجان وليسوا

بشياطين، وهم يؤمنون، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر، والشياطين هم ولد إبليس لا يموتون

إلا مع إبليس.

واختلفوا في دخول مؤمني الجن الجنة، على حسب الاختلاف في أصلهم. فمن زعم أنهم من الجان لا من ذرية إبليس قال: يدخلون الجنة بإيمانهم. ومن قال: إنهم من ذرية

إبليس فلهم فيه قولان: أحدهما - وهو قول الحسن يدخلونها. الثاني - وهو رواية مجاهد

- (١) الزط: جنس من الهنود لونهم ضارب إلى السواد.
- (٢) المكايي: جمع مكوك وهو طاس يشرب فيه أعلاه ضيق ووسطه واسع ومكيال معروف لأهل العراق بهذه الصفة أيضا. ولعله من باب قول العرب: ضرب مكوك رأسه على التشبيه.
- (٣) راجع ج ١٠ ص ١٥ فما.
- (٤) راجع ج ٨ ص ٢٥٩ فما.

لا يدخلونها وإن صرفوا عن النار. حكاه الماوردي. وقد مضى في سورة " الرحمن " (١) عند

قوله تعالى: " لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان " [الرحمن: ٥٦] بيان أنهم يدخلونها. الخامسة - قال البيهقي في روايته: وسألوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة فقال: [لكم كل

عظم] دليل على أنهم يأكلون ويطعمون. وقد أنكر جماعة من كفرة الأطباء والفلاسفة الجن،

وقالوا: إنهم بسائط، ولا يصح طعامهم، اجترأ على الله وافتراء، والقرآن والسنة ترد عليهم،

وليس في المخلوقات بسيط مركب مزدوج، إنما الواحد الواحد (٢) سبحانه، وغيره مركب وليس

بواحد كيفما تصرف حاله. وليس يمتنع أن يراهم النبي صلى الله عليه وسلم في صورهم كما يرى

الملائكة. وأكثر ما يتصورون لنا في صور الحيات، ففي الموطأ: أن رجلا حديث عهد بعرس استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنصاف النهار أن يرجع إلى أهله... الحديث،

وفيه: فإذا حية عظيمة منطوية على الفراش، فأهوى إليها بالرمح فانتظمتها. وذكر الحديث.

وفي الصحيح أنه عليه السلام قال: " إن لهذه البيوت عوامر، فإذا رأيت منها شيئا فخرجوا

عليها ثلاثا، فإن ذهب وإلا فاقتلوه فإنه كافر ". وقال: " اذهبوا فادفنوا صاحبكم " (٣) وقد مضى

هذا المعنى في سورة " البقرة " (٤) وبيان التحريم عليهن. وقد ذهب قوم إلى أن ذلك مخصوص

بالمدينة، لقوله في الصحيح: " إن بالمدينة جنا قد أسلموا ". وهذا لفظ مختص بها فيختص

بحكمها. قلنا: هذا يدل على أن غيرها من البيوت مثلها، لأنه (٥) لم يعلل بحرمة المدينة، فيكون

ذلك الحكم مخصوصا بها، وإنما علل بالاسلام، وذلك عام في غيرها، ألا ترى قوله في الحديث

مخبرا عن الجن الذي لقي: [وكانوا من جن الجزيرة]، وهذا بين يعضده قوله: [ونهى عن

عوامر البيوت] وهذا عام. وقد مضى في سورة (البقرة) القول في هذا فلا معنى للإعادة.

-
- (١) راجع ج ١٧ ص ١٨١.
- (٢) الواحد الواحد: كذا في بعض الأصول وفي بعضها بلا تكرار. وفي الشوكاني: - إنما الواحد الله سبحانه).
- (٣) هذا ينبغي أن يكون قبل الحديث السابق له كما في ابن العربي.
- (٤) راجع ج ١ ص ٣١٥.
- (٥) في هامش ح: (لا لأنه).

قوله تعالى: " فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا " أي في فصاحة كلامه. وقيل: عجا في بلاغة مواعظه. وقيل: عجا في عظم بركته. وقيل: قرآنا عزيزا لا يوجد مثله. وقيل: يعنون عظيما. " يهدي إلى الرشد " أي إلى مرشد الأمور. وقيل: إلى معرفة الله تعالى، و " يهدي " في موضع الصفة أي هاديا. " فأما به " أي فاهتدينا به وصدقنا أنه من عند الله " ولن نشرك بربنا أحدا " أي لا نرجع إلى إبليس ولا نطيعه، لأنه الذي كان بعثهم ليأتوه بالخبر، ثم رمى الجن بالشهب. وقيل لا نتخذ مع الله إلها آخر، لأنه المتفرد بالربوبية.

وفي هذا تعجيب المؤمنين بذهاب مشركي قريش عما أدركته الجن بتدبرها القرآن. وقوله

تعالى: " استمع نفر من الجن " أي استمعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فعلموا أن ما يقرؤه

كلام الله. ولم يذكر المستمع إليه لدلالة الحال عليه. والنفر الرهط، قال الخليل: ما بين ثلاثة إلى عشرة. وقرأ عيسى الثقفي " يهدي إلى الرشد " بفتح الراء والشين. قوله تعالى: " وأنه تعالى جد ربنا " كان علقمة ويحيى والأعمش وحمزة والكسائي وابن عامر وخلف وحفص والسلمي ينصبون " أن " في جميع السورة في اثني عشر موضعا،

وهو (١): " أنه تعالى جد ربنا "، " وأنه كان يقول "، " وأنا ظننا "، " وأنه كان رجال "، " وأنهم

ظنوا "، " وأنا لمسنا السماء "، " وأنا كنا نقعد "، " وأنا لا ندري "، " وأنا منا الصالحون "،

" وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض "، " وأنا لما سمعنا الهدى "، " وأنا منا المسلمون "

عظفا على قوله: " أنه استمع نفر "، " وأنه استمع " لا يجوز فيه إلا الفتح، لأنها في موضع اسم

فاعل " أوحى " فما بعده معطوف عليه. وقيل: هو محمول على الهاء في " آما به "، أي وب " - أنه

تعالى جد ربنا " وجاز ذلك وهو مضمّر مجرور لكثرة حرف الجار مع " أن ". وقيل: المعنى أي وصدقنا أنه جد ربنا. وقرأ الباقر كلها بالكسر وهو الصواب، واختاره أبو عبيدة

وأبو حاتم عظفا على قوله: " فقالوا إنا سمعنا " لأنه كله (٢) من كلام الجن. وأما أبو جعفر

(١) كلمة (وهو) موجود في الأصول ح، و، ط، ص وليست موجودة في الأصل ا. والضمير راجع إلى النصب.
(٢) كلمة (كله) ساقطة من ح.

وشيبة فإنهما فتحا ثلاثة مواضع، وهي قوله تعالى: " وأنه تعالى جد ربنا "، " وأنه كان يقول "، " وأنه كان رجال "، قالوا: لأنه من الوحي، وكسرا ما بقي، لأنه من كلام الجن.

وأما قوله تعالى: " وأنه لما قام عبد الله " [الجن: ١٩]. فكلهم فتحوا إلا نافعا وشيبة وزر بن حبيش

وأبا بكر والمفضل عن عاصم، فإنهم كسروا لا غير. ولا خلاف في فتح همزة " أنه استمع نفر من الجن "، " وأن لو استقاموا " " وأن المساجد لله "، " وأن قد أبلغوا ". وكذلك لا خلاف

في كسر ما بعد القول، نحو قوله تعالى: " فقالوا إنا سمعنا " و " قال (١) إنما ادعوا ربي " [الجن: ٢٠]

و " قل إن أدري " [الجن: ٢٥]. و " قل إني لا أملك " [الجن: ٢١]. وكذلك لا خلاف في كسر ما كان بعد فاء الجزاء،

نحو قوله تعالى: " فإن له نار جهنم " [الجن: ٢٣] و " فإنه يسلك من بين يديه " [الجن: ٢٧]. لأنه موضع ابتداء.

قوله تعالى: " وأنه تعالى جد ربنا " (٢) الجد في اللغة: العظمة والجلال، ومنه قول أنس:

كان الرجل إذا حفظ البقرة وآل عمران جد في عيوننا، أي عظم وجل. فمعنى: " جد ربنا "

أي عظمته وجلاله، قاله عكرمة ومجاهد وقتادة. وعن مجاهد أيضا: ذكره. وقال أنس بن مالك

والحسن وعكرمة أيضا: غناه. ومنه قيل للحظ جد، ورجل مجدود أي محظوظ، وفي الحديث:

[ولا ينفع ذا الجد منك الجد] قال أبو عبيدة والخليل: أي ذا الغنى، منك الغنى، إنما تنفعه

الطاعة. وقال ابن عباس: قدرته. الضحاك: فعله. وقال القرظي والضحاك أيضا:

الآؤه ونعمه على خلقه. وقال أبو عبيدة والأخفش: ملكه وسلطانه. وقال السدي:

أمره. وقال سعيد بن جبير: " وأنه تعالى جد ربنا " أي تعالى ربنا. وقيل: إنهم عنوا بذلك الجد الذي هو أب الأب، ويكون هذا من قول الجن. وقال محمد بن علي بن

الحسين

وابنه جعفر الصادق والربيع: ليس لله تعالى جد، وإنما قالت الجن للجهالة، فلم يؤاخذوا به.

وقال القشيري: ويجوز إطلاق لفظ الجد في حق الله تعالى، إذ لو لم يجز لما ذكر في

القرآن،
غير أنه لفظ موهم، فتجنبه أولى. وقراءة عكرمة " جد " بكسر الجيم: على ضد الهزل.
وكذلك

-
- (١) كذا في الأصل على قراءة نافع. وقراءة حفص (قل).
(٢) كذا في ا، ح، ط. وفي الطبعة الأولى: (جد ربنا).

قرأ أبو حياة ومحمد بن السميع. ويروى عن ابن السميع أيضا وأبي الأشهب " جدا ربنا "، وهو الحدوى والمنفعة. وقرأ عكرمة أيضا " جد " بالتثوين " ربنا " بالرفع على أنه مرفوع، ب " - تعالى "، و " جدا " منصوب على التمييز. وعن عكرمة أيضا " جد " بالتثوين والرفع " ربنا " بالرفع على تقدير: تعالى جد جد ربنا، فجد الثاني بدل من الأول وحذف وأقيم المضاف إليه مقامه. ومعنى الآية: وأنه تعالى جلال ربنا أن يتخذ صاحبة وولدا للاستئناس بهما والحاجة إليهما، والرب يتعالى عن الأنداد والنظراء. قوله تعالى: وأنه كان يقول سفيها على الله شططا (٤) وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا (٥) وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا (٦) وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا (٧) قوله تعالى: (وأنه كان يقول سفيها على الله شططا) الهاء في " أنه " للامر أو الحديث، وفي " كان " اسمها، وما بعدها الخبر. ويجوز أن تكون " كان " زائدة. والسفيه هنا إبليس في قول مجاهد وابن جريج وقتادة. ورواه أبو بردة بن (١) أبي موسى عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم. وقيل: المشركون من الجن: قال قتادة: عصاه سفيه الجن كما عصاه سفيه الإنس. والشطط والاشتطاط: الغلو في الكفر. وقال أبو مالك: هو الجور. الكلبى: هو الكذب. وأصله البعد فيعبر به عن الجور لبعده عن العدل، وعن الكذب لبعده عن الصدق، قال الشاعر:

بأية حال حكموا فيك فاشتطوا* وما ذاك إلا حيث يممك (٢) الوخط
قوله تعالى: (وأنا ظننا) أي حسبنا " أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا "، فلذلك صدقناهم في أن لله صاحبة وولدا، حتى سمعنا القرآن وتبيننا به الحق. وقرأ يعقوب

(١) في ا، ح: (أبي بردة عن أبي موسى). تحريف.
(٢) يممك: قصدك. والوخط: الطعن بالرمح ومن معانيه أيضا: الشيب.

والجحدري وابن أبي إسحاق " أن لن تقول " (١). وقيل: انقطع الاخبار عن الجن ها هنا فقال

الله تعالى: " وأنه كان رجال من الانس " فمن فتح وجعله من قول الجن ردها إلى قوله:

" أنه استمع " [الجن: ١]، ومن كسر جعلها مبتدأ من قول الله تعالى. والمراد به ما كانوا يفعلونه من قول

الرجل إذا نزل بواد: أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه، فبييت في جواره حتى يصبح، قاله الحسن وابن زيد وغيرهما. قال مقاتل: كان أول من تعوذ بالجن قوم من أهل اليمن، ثم من بني حنيفة، ثم فشا ذلك في العرب، فلما جاء الاسلام عاذوا بالله وتركوهم. وقال كردم بن أبي السائب: خرجت مع أبي إلى المدينة أول ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم، فأوانا المبيت إلى راعي غنم، فلما انتصف الليل جاء الذئب فحمل حملا

من الغنم، فقال الراعي: يا عامر الوادي، [أنا] (٢) جارك. فنادى مناد يا سرحان أرسله، فأتى الحمل

يشد (٣). وأنزل الله تعالى على رسوله بمكة: " وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من

الجن فرادوهم رهقا " أي زاد الجن الانس " رهقا " أي خطيئة وإثما، قاله ابن عباس ومجاهد

وقنادة. والرهق: الاثم في كلام العرب وغشيان المحارم، ورجل رهق إذا كان كذلك، ومنه

قوله تعالى: " وترهقهم ذلة " [يونس: ٢٧] وقال الأعشى:

لا شئ ينفعي من دون رؤيتها* هل يشتهي وامق (٤) ما لم يصب رهقا يعني إثما. وأضيفت الزيادة إلى الجن إذ كانوا سببا لها. وقال مجاهد أيضا: " فزادوهم " أي

إن الانس زادوا الجن طغيانا بهذا التعوذ، حتى قالت الجن: سدنا الإنس والجن. وقال قتادة

أيضا وأبو العالية والربيع وابن زيد: ازداد الانس بهذا فرقا وخوفا من الجن. وقال سعيد ابن جبير: كفرا. ولا خفاء أن الاستعاذة بالجن دون الاستعاذة بالله كفر وشرك. وقيل: لا يطلق لفظ الرجال على الجن، فالمعنى: وأنه كان رجال من الانس يعوذون من شر الجن

(١) قال الألوسي: (تقول): أصله تتقول بتاءين فحذفت إحداهما فكذبا مصدر مؤكد لان الكذب هو التقول
(٢) الزيادة من الدر المنثور للسيوطي.

(٣) يشتد: يعدو.
(٤) في ا، ح وفتح القدير
للشوكاني: (عاشق).

برجال من الانس، وكان الرجل من الانس يقول مثلاً: أعوذ بحذيفة بن بدر من جن هذا

الوادي. قال القشيري: وفي هذا تحكم إذ لا يبعد إطلاق لفظ الرجال على الجن. قوله تعالى: (وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً) هذا من قول الله تعالى للانس أي وأن الجن ظنوا أن لن يبعث الله الخلق كما ظننتم. الكلبي: المعنى: ظنت الجن كما

ظنت الانس أن لن يبعث الله رسولا إلى خلقه (١) يقيم به الحجة عليهم. وكل هذا توكيد للحجة

على قريش، أي إذا آمن هؤلاء الجن بمحمد، فأنتم أحق بذلك.

قوله تعالى: وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا

وشهبا (٨) وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد

له شهبا رصدا (٩) وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم

أراد بهم ربهم رشدا (١٠)

قوله تعالى: " وأنا لمسنا السماء " هذا من قول الجن، أي طلبنا خبرها كما جرت عادتنا

" فوجدناها " قد " ملئت حرسا شديدا " أي حفظة، يعني الملائكة. والحرس: جمع حارس

" وشهبا " جمع شهاب، وهو انقضاض الكواكب المحرقة لهم عن استراق السمع. وقد

مضى القول فيه في سورة " الحجر " (٢) " والصفات " (٣). و " وجد " يجوز أن

يقدر متعديا

إلى مفعولين، فالأول الهاء والألف، و " ملئت " في موضع المفعول الثاني. ويجوز أن

يتعدى

إلى مفعول واحد ويكون " ملئت " في موضع الحال على إضمار قد. و " حرسا "

نصب على

المفعول الثاني ب " - ملئت ". و " شديدا " من نعت الحرس، أي ملئت ملائكة

شدادا.

(١) جملة: (إلى خلقه) ساقطة من ح، و.

(٢) راجع ج ١٠ ص ١٠

(٣) راجع ج ١٥ ص ٦٦.

ووحده الشديد على لفظ الحرس، وهو كما يقال: السلف الصالح بمعنى الصالحين،
وجمع

السلف أسلاف (١) وجمع الحرس أحراس، قال: (٢)

(تجاوزت أحراسا وأهوال معشر)

ويجوز أن يكون "حرسا" مصدرا على معنى حرست حراسة شديدة.

قوله تعالى: (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا)
"منها" أي من السماء، و"مقاعد": مواضع يقعد في مثلها لاستماع الأخبار من

السماء، يعني

أن مردة الجن كانوا يفعلون ذلك ليستمعوا من الملائكة أخبار السماء حتى يلقوها إلى
الكهنة

على ما تقدم بيانه، فحرسها الله تعالى حين بعث رسوله بالشهب المحرقة، فقالت الجن
حينئذ: "فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا" يعني بالشهاب: الكوكب المحرق،
وقد

تقدم بيان ذلك. ويقال: لم يكن انقضا الكواكب إلا بعد مبعث النبي صلى الله عليه
وسلم وهو آية من آياته. واختلف السلف هل كانت الشياطين تقذف قبل المبعث، أو
كان

ذلك أمرا حدث لمبعث النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال الكلبي وقال (٣) قوم: لم
تكن تحرس

السماء في الفترة بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه: خمسمائة عام، وإنما
كان من

أجل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من
السموات

كلها، وحرست بالملائكة والشهب.

قلت: ورواه عطية العوفي عن ابن عباس، ذكره البيهقي. وقال عبد الله بن عمر:
لما كان اليوم الذي نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين، ورموا
بالشهب.

وقال عبد الملك بن سابور: لم تكن السماء تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما
الصلاة

والسلام، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حرست السماء، ورميت الشياطين
بالشهب،

(١) كذا في ط، و، ح: في موضع أو.

(٢) هو امرؤ القيس. ويروى: * تجاوزت أحراسا إليها ومعشرا *

وتمام البيت وهو من معلقته: * على حراصا لو يشرون مقتلي *
(٣) الفعل (قال) زائد في ط. والصواب إسقاطه كما في ا، ح، و.

ومنعت عن الدنو من السماء. وقال نافع بن جبير: كانت الشياطين في الفترة تسمع فلا ترمى، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رميت بالشهب. ونحوه عن أبي بن كعب

قال: لم يرم بنجم منذ رفع عيسى حتى نبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمى بها. وقيل:

كان ذلك قبل المبعث، وإنما زادت بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إنذارا بحاله،

وهو معنى قوله تعالى: " ملئت " أي زيد في حرسها، وقال أوس بن حجر وهو جاهلي: فانقض كالدرى يتبعه * نقع يثور تخاله طنبا

وهذا قول الأكثرين. وقد أنكر الجاحظ هذا البيت وقال: كل شعر روي فيه فهو مصنوع، وأن الرمي لم يكن قبل المبعث. والقول بالرمي أصح، لقوله تعالى: " فوجدناها

ملئت حرسا شديدا وشهبا ". وهذا إخبار عن الجن، أنه (١) زيد في حرس السماء حتى امتلأت

منها ومنهم، ولما روى عن ابن عباس قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس في نفر

من أصحابه إذ رمى بنجم، فقال: [ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية؟] قالوا: كنا نقول

يموت عظيم أو يولد عظيم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: [إنها لا ترمى لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا سبحانه وتعالى إذا قضى أمرا في السماء سبح حملة العرش ثم

سبح أهل كل سماء، حتى ينتهي التسبيح إلى هذه السماء ويستخبر أهل السماء حملة العرش ماذا قال

ربكم فيخبرونهم ويخبر أهل كل سماء حتى ينتهي الخبر إلى هذه، فتنخطف الجن فيرمون فما

جاءوا به فهو حق ولكنهم يزيدون فيه]. وهذا يدل على أن الرجم كان قبل المبعث. وروى

الزهري نحوه عن علي بن الحسين عن علي بن أبي طالب عن ابن عباس. وفي آخره قيل

للزهري: أكان يرمى في الجاهلية؟ قال: نعم. قلت: أفرايت قوله سبحانه: " وأنا كنا نقعد

منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا " قال: غلظت وشدت أمرها حين

بعث النبي صلى الله عليه وسلم. ونحوه قال القتيبي. قال ابن قتيبة: كان ولكن اشتدت
الحراسة بعد المبعث، وكانوا من قبل يسترقون ويرمون في بعض الأحوال، فلما بعث
محمد صلى الله عليه وسلم منعت من ذلك أصلاً. وقد تقدم بيان هذا في سورة "
الصفات " (٢)

(١) في ط: (وقد زيد). وفي ا، ح: (لقد زيد).
(٢) راجع ج ١٥ ص ٦٥.

عند قوله: " ويقذفون من كل جانب. دحورا ولهم عذاب واصب " [الصفات: ٨ - ٩] قال الحافظ: فلو قال

قائل: كيف تتعرض الجن لاحتراق نفسها بسبب استماع خبر، بعد أن صار ذلك معلوما لهم؟

فالجواب: أن الله تعالى ينسيهم ذلك حتى تعظم المحنة، كما ينسى إبليس في كل وقت أنه

لا يسلم، وأن الله تعالى قال له: " وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين " [الحجر: ٣٥] ولولا هذا لما تحقق

التكليف. والرصد: قيل من الملائكة، أي ورصدا من الملائكة. والرصد: الحافظ للشئ والجمع أرصاد، وفي غير هذا الموضع يجوز أن يكون جمعا كالحرص، والواحد: راصد.

وقيل: الرصد هو الشهاب، أي شهابا قد أرصد له، ليرجم به، فهو فعل بمعنى مفعول كالخبط والنفذ.

قوله تعالى: " وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض " أي هذا الحرس الذي حرس بهم السماء " أم أراد بهم ربهم رشدا " أي خيرا. قال ابن زيد. قال إبليس لا ندري: هل أراد الله

بهذا المنع أن ينزل على أهل الأرض عذابا أو يرسل إليهم رسولا. وقيل: هو من قول الجن

فيما بينهم قبل أن يسمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم. أي لا ندري أشر أريد بمن في الأرض

بإرسال محمد إليهم، فإنهم يكذبونه ويهلكون بتكذيبه كما هلك من كذب من الأمم، أم أراد

أن يؤمنوا فيهدتوا، فالشر والرشد على هذا الكفر والايمان، وعلى هذا كان عندهم علم بمبعث

النبي صلى الله عليه وسلم، ولما سمعوا قراءته علموا أنهم منعوا من السماء حراسة للوحي. وقيل:

لا، بل هذا قول قالوه لقومهم بعد أن انصرفوا إليهم منذرين، أي لما آمنوا أشفقوا ألا يؤمن كثير من أهل الأرض فقالوا: إنا لا ندري أيكفر أهل الأرض بما آمننا به أم (١) يؤمنون؟

قوله تعالى: وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا (١١) وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا (١٢)

(١) كذا في ط، وهو الصواب. وفي سائر الأصول: أو.

(١٤)

قوله تعالى: " وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك " هذا من قول الجن، أي قال بعضهم لبعض لما دعوا أصحابهم إلى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، وإنا كنا قبل

استماع القرآن منا الصالحون ومنا الكافرون. وقيل: " ومنا دون ذلك " أي ومن دون الصالحين في الصلاح، وهو أشبه من حملة على الايمان والشرك. (كنا طرائق قددا) أي فرقا شتى، قاله السدي. الضحاك: أديانا مختلفة. قتادة: أهواء متباينة، ومنه قول الشاعر:

القباض الباسط الهادي بطاعته * في فتنة الناس إذ أهواؤهم قدد
والمعنى: أي لم يكن كل الجن كفارا بل كانوا مختلفين: منهم كفار، ومنهم مؤمنون صلحاء،

ومنهم مؤمنون غير صلحاء. وقال المسيب: كنا مسلمين ويهود ونصارى ومجوس.
وقال السدي

في قوله تعالى: " طرائق قددا " قال: في الجن مثلكم قدرية، ومرجئة، وخوارج، ورافضة،

وشيعة، وسنية. وقال قوم: أي وإنا بعد استماع القرآن مختلفون: منا المؤمنون ومنا الكافرون.

أي ومنا الصالحون ومنا مؤمنون لم يتناهاوا في الصلاح. والأول أحسن، لأنه كان في الجن من

آمن بموسى وعيسى، وقد أخبر الله عنهم أنهم قالوا: " إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا

لما بين يديه " [الأحقاف: ٣٠] وهذا يدل على إيمان قوم منهم بالتوراة، وكان هذا مبالغة منهم في دعاء من

دعوهم إلى الايمان. وأيضا لا فائدة في قولهم: نحن الآن منقسمون إلى مؤمن وإلى كافر.

والطرائق: جمع الطريقة وهي مذهب الرجل، أي كنا فرقا مختلفة. ويقال: القوم طرائق أي

على مذاهب شتى. والقدد: نحو من الطرائق وهو توكيد لها، واحدها: قدة. يقال: لكل طريق قدة، وأصلها من قد السيور، وهو قطعها، قال لبيد يرثى أخاه أربد (١):

لم تبلغ العين كل نهمتها * ليلة تمسي الجياد كالقدد (١)

(١) في ز: (مربد). وفي سائر الأصول: (زيدا) وهو تحريف. والتصويب عن شرح القاموس.
(٢) يقول لبيد: لم تبلغ العين من البكاء على أربد كل ما تريد في هذه الليلة التي فيها الخيل كالقدد من شدة السير والأنعاب.



(١٥)

وقال آخر (١):

ولقد قلت وزيد حاسر* يوم ولت خيل عمرو قددا
والقد بالكسر: سير يقدر من جلد غير مدبوغ، ويقال: ماله قد ولا قحف، فالقد:
إناء من جلد، والقحف: من خشب.

قوله تعالى: "وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض" الظن هنا بمعنى العلم واليقين،
وهو خلاف الظن في قوله تعالى: "وأنا ظننا أن لن تقول" [الجن: ٥]، "وأأنهم ظنوا"
[الجن: ٧] أي علمنا

بالاستدلال والتفكير في آيات الله، أنا في قبضته وسلطانه، لن نفوته بهرب ولا غيره. و
"هربا"

مصدر في موضع الحال أي هاربين.

قوله تعالى: وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه
فلا يخاف بخسا ولا رهقا (١٣) وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون
فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا (١٤) وأما القاسطون فكانوا
لجهنم حطبا (١٥)

قوله تعالى: "وأنا لما سمعنا الهدى" يعني القرآن "آمنا به" وباللله، وصدقنا محمدا
صلى

الله عليه وسلم على رسالته. وكان صلى الله عليه وسلم مبعوثا إلى الإنس والجن. قال
الحسن:

بعث الله محمدا صلى عليه وسلم إلى الإنس والجن، ولم يبعث الله تعالى قط رسولا
من الجن، ولا

من أهل البادية، ولا من النساء، وذلك قوله تعالى: "وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا
يوحي إليهم

من أهل القرى" [يوسف: ١٠٩] وقد تقدم هذا المعنى (٢). وفي الصحيح: "وبعثت
إلى الأحمر والأسود"

أي الإنس والجن. (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا) قال ابن عباس: لا
يخاف

(١) هو ليبيد صاحب البيت الذي قبله كما في فتح القدير للشوكاني.

(٢) راجع ج ٩ ص ٢٧٤

أن ينقص من حسناته ولا أن يزداد في سيئاته، لان البخس النقصان، والرهبق: العدوان وغشيان المحارم، قال الأعشى:

لا شئ ينفعني من دون رؤيتها* هل يشتفي وامق ما لم يصب رهقا
الوامق: المحب، وقد ومقه يمقه بالكسر أي أحبه، فهو وامق. وهذا قول حكاه الله تعالى

عن الجن، لقوة إيمانهم وصحة إسلامهم. وقراءة العامة " فلا يخاف " رفعا على تقدير فإنه

لا يخاف. وقرأ الأعمش ويحيى (١) وإبراهيم " فلا يخف " جزما على جواب الشرط وإلغاء الفاء.

قوله تعالى: (وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون) أي وأنا بعد استماع القرآن مختلفون، فمننا من أسلم ومننا من كفر. والقاسط: الجائر، لأنه عادل عن الحق، والمقسط: العادل، لأنه عادل إلى الحق، [يقال: قسط: أي جار، وأقسط: إذا عدل، قال الشاعر:
قوم هم قتلوا ابن هند عنوة* عمرا وهم قسطوا على النعمان
(فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا) أي قصدوا طريق الحق وتوخوه ومنه تحرى القبلة (وأما

القاسطون) أي الجائرون عن طريق الحق والايمان (فكانوا لجهنم حطبا) أي وقودا. وقوله: " فكانوا " أي في علم الله تعالى.

قوله تعالى: وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا (١٦)
لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا (١٧)

قوله تعالى: " وأن لو استقاموا على الطريقة " هذا من قول الله تعالى. أي لو آمن هؤلاء الكفار لوسعنا عليهم في الدنيا وبسطنا لهم في الرزق. وهذا محمول على الوحي، أي أوحى

إلي أن لو استقاموا. ذكر ابن بحر: كل ما في هذه السورة من " إن " المكسورة المثقلة فهي حكاية لقول الجن الذين استمعوا القرآن، فرجعوا إلى قومهم منذرين، وكل ما فيها من

(١) في ا، ح: (ويحيى عن إبراهيم).

أن المفتوحة المخففة فهي وحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال ابن الأنباري:
ومن كسر الحروف وفتح " وأن لو استقاموا " أضمر يمينا تاما، تأويلها: والله أن لو استقاموا
على الطريقة، كما يقال في الكلام: والله أن قمت لقمت، ووالله لو قمت قمت، قال الشاعر:
أما والله أن لو كنت حرا * وما بالحر أنت ولا العتيق
ومن فتح ما قبل المخففة نسقها - أعني الخفيفة - على " أوحى إلي أنه "، " وأن لو استقاموا "
أو على " آمنا به " وبأن لو استقاموا (١). ويجوز لمن كسر الحروف كلها إلى " أن " المخففة، أن يعطف المخففة على " أوحى إلي " أو على " آمنا به "، ويستغنى عن إضمار اليمين. وقرائة العامة بكسر الواو من " لو " لالتقاء الساكنين، وقرأ ابن وثاب والأعمش بضم الواو. و " ماء غدقا "
أي واسعا كثيرا، وكانوا قد حبس عنهم المطر سبع سنين، يقال: غدقت العين تغدق، فهي غدقة،
إذا كثر ماؤها. وقيل: المراد الخلق كلهم أي " لو استقاموا على الطريقة " طريقة الحق والايمان والهدى وكانوا مؤمنين مطيعين " لأسقيناهم ماء غدقا " أي كثيرا (لنفتنهم فيه) أي لنختبرهم كيف شكرهم فيه على تلك النعم. وقال عمر في هذه الآية: أينما كان الماء كان المال، وأينما كان المال كانت الفتنة. فمعنى " لأسقيناهم " لوسعنا عليهم في الدنيا، وضرب الماء الغدق الكثير لذلك مثلا، لان الخير والرزق كله بالمطر يكون، فأقيم مقامه، كقوله تعالى: " ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض " [الأعراف: ٩٦]
وقوله تعالى: " ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم " ومن تحت أرجلهم " [المائدة: ٦٦] أي بالمطر. والله أعلم. وقال سعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والضحاك وقتادة ومقاتل وعطية وعبيد بن عمير والحسن: كان والله أصحاب النبي صلى الله

عليه وسلم سامعين مطيعين، ففتحت عليهم كنوز كسرى وقيصر والمقوقس والنجاشي،
ففتنوا
بها، فوثبوا على إمامهم فقتلوه. يعني عثمان بن عفان. وقال الكلبي وغيره: " وأن

(١) وفي حاشية الجمل نقلا عن القرطبي (قال ابن الأنباري: ومن قرأ بالكسر فيما تقدم وفتح (وأن لو
استقاموا):
أضمر قسما تقديره: والله (أن لو استقاموا على الطريقة، أو عطفه على (أنه استمع) أو على (آمنا به).
وعلى هذا يكون جميع ما تقدم معترضا بين المعطوف والمعطوف عليه).

لو استقاموا على الطريقة " التي هم عليها من الكفر فكانوا كلهم كفارا لو سعنا أرزاقهم
مكرا

بهم واستدراجا لهم حتى يفتتنوا بها، فنعذبهم بها في الدنيا والآخرة. وهذا قول قاله
الربيع

ابن أنس وزيد بن أسلم وابنه والكلبي والشمالي ويمان بن رباب وابن كيسان وأبو
مجلز،

واستدلوا بقوله تعالى: " فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء " [الانعام:
٤٤] الآية.

وقوله تعالى: " ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم
سقفا

من فضة " [الزخرف: ٣٣] الآية، والأول أشبه، لان الطريقة معرفة بالألف واللام،
فالأوجب أن تكون

طريقته طريقة الهدى، ولأن الاستقامة لا تكون إلا مع الهدى. وفي صحيح مسلم عن
أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أخوف ما
أخاف

عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا) قالوا: وما زهرة الدنيا؟ قال: (بركات
الأرض..)

وذكر الحديث. وقال عليه السلام: (فوالله ما الفقر أخشى عليكم، وإنما أخشى عليكم
أن تبسط

عليكم الدنيا [كما بسطت على من (١) قبلكم] فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما
أهلكتهم).

قوله تعالى: (ومن يعرض عن ذكر ربه) يعني القرآن، قاله ابن زيد. وفي إعراضه
عنه وجهان: أحدهما عن القبول، إن قيل إنها في أهل الكفر. الثاني عن العمل، إن قيل
إنها في المؤمنين. وقيل: " ومن يعرض عن ذكر ربه " أي لم يشكر نعمه (يسلكه عذابا
صعدا) قرأ الكوفيون وعياش عن أبي عمرو " يسلكه " بالياء واختاره أبو عبيد وأبو
حاتم،

لذكر اسم الله أولا فقال: " ومن يعرض عن ذكر ربه ". الباقون " نسلكه " بالنون.
وروى عن مسلم بن جندب ضم النون وكسر اللام. وكذلك قرأ طلحة والأعرج وهما
لغتان، سلكه وأسلكه بمعنى، أي ندخله. " عذابا صعدا " أي شاقا شديدا. قال ابن
عباس:

هو جبل، في جهنم. [الخدري: (٢)] كلما جعلوا أيديهم عليه ذابت. وعن ابن عباس:
أن المعنى

مشقة من العذاب. وذلك معلوم في اللغة أن الصعد: المشقة، تقول: تصعدني الامر: إذا

شق عليك، ومنه قول عمر: ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة النكاح، أي ما شق علي.

(١) الزيادة من صحيح الترمذي.

(٢) زيادة من ا، ح، ل.

وعذاب صعّد أي شديد. والصعد: مصدر صعّد، يقال: صعّد صعّدا وصعودا، فوصف به العذاب، لأنه يتصعد المعذب أي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه. وقال أبو عبيدة: الصعد مصدر، أي عذابا ذا صعّد، والمشى في الصعود يشق. والصعود: العقبة الكثود. وقال عكرمة: هو صخرة ملساء في جهنم يكلف صعودها، فإذا انتهى إلى أعلاها حدر إلى

جهنم. وقال الكلبي: يكلف الوليد بن المغيرة أن يصعد جبلا في النار من صخرة ملساء، يجذب من أمامه بسلاسل، ويضرب من خلفه بمقامع حتى يبلغ أعلاها، ولا يبلغ في أربعين

سنة. فإذا بلغ أعلاها أحدر إلى أسفلها، ثم يكلف أيضا صعودها، فذلك دأبه أبدا، وهو قوله تعالى: " سأرهقه صعودا " [المدثر: ١٧].
قوله تعالى: وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا (١٨) فيه ست مسائل:

الأولى - قوله تعالى: (وأن المساجد لله) " أن " بالفتح، قيل: هو مردود إلى قوله تعالى: " قل أوحى إلي " [الجن: ١] أي قل أوحى إلي أن المساجد لله. وقال الخليل: أي ولأن المساجد لله.

والمراد البيوت التي تبنيتها أهل الملل للعبادة. وقال سعيد بن جبير: قالت الجن كيف لنا أن نأتي المساجد ونشهد معك الصلاة ونحن ناءون عنك؟ فنزلت: " وأن المساجد

لله " أي بنيت لذكر الله وطاعته. وقال الحسن: أراد بها كل البقاع، لان الأرض كلها مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم، يقول: [أيما كنتم فصلوا] [أيما صليتم فهو مسجد]

وفي الصحيح: [وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا]. وقال سعيد بن المسيب وطلق ابن حبيب: أراد بالمساجد الأعضاء التي يسجد عليها العبد، وهي القدمان والركبتان واليدين

والوجه، يقول: هذه الأعضاء أنعم الله بها عليك، فلا تسجد لغيره بها، فتجحد نعمة الله. قال

عطاء: مساجدك: أعضاؤك التي أمرت أن تسجد عليها لا تذللها لغير خالقها. وفي الصحيح

عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أمرت أن أسجد على سبعة أعظم: الجبهة -

وأشار بيده إلى أنفه - واليدين والركبتين وأطراف القدمين). وقال العباس قال النبي



(۲۰)

صلى الله عليه وسلم: [إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب] (١). وقيل: المساجد هي

الصلوات، أي لان السجود لله. قاله الحسن أيضا. فإن جعلت المساجد المواضع فواحدها

مسجد بكسر الجيم، ويقال بالفتح، حكاه الفراء. وإن جعلتها الأعضاء فواحدها مسجد بفتح الجيم. وقيل: هو جمع مسجد وهو السجود، يقال: سجدت سجودا ومسجدا، كما

تقول: ضربت في الأرض ضربا ومضربا بالفتح: إذا سرت في ابتغاء الرزق. وقال ابن عباس: المساجد هنا مكة التي هي القبلة وسميت مكة المساجد، لان كل أحد يسجد

إليها. والقول الأول أظهر هذه الأقوال إن شاء الله، وهو مروى عن ابن عباس رحمه الله.

الثانية - قوله تعالى: " لله " إضافة تشریف وتكريم، ثم خص بالذكر منها البيت العتيق فقال: " وطهر بيتي " [الحج: ٢٦]. وقال عليه السلام: [لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد]

الحديث خرجه الأئمة. وقد مضى الكلام (٢) فيه. وقال عليه السلام: [صلاة في مسجدي

هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام]. قال ابن العربي: وقد روى من طريق

لا بأس بها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة

فيما سواه إلا المسجد الحرام، فإن صلاة فيه خير من مائة صلاة في مسجدي هذا] (٣) ولو صح هذا لكان نصا.

قلت: هو صحيح بنقل العدل عن العدل حسب ما بيناه في سورة " إبراهيم " (٤).

الثالثة - المساجد وإن كانت لله ملكا وتشريفا فإنها قد تنسب إلى غيره تعريفا، فيقال: مسجد فلان. وفي صحيح الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم سابق بين الخيل التي

أضمرت من الحفيا (٥) وأمدتها ثنية الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد

(١) آراب: أعضاء واحدها (إرب) بالكسر ثم السكون.

(٢) راجع ج ١٠ ص ٢١١ والرواية المشهورة في الصحاح (لا تشد الرجال) كما مر للقرطبي.

(٣). كلمة هذا ساقطة من الأصل المطبوع.

(٤) راجع ج ٩ ص ٣٧١

(٥) في معجم البلدان لياقوت: الحفياء: بالفتح ثم السكون وياء وألف ممدودة: موضع قرب المدينة أجرى منه رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل في السباق. وقال سفيان بين الحفياء إلى الشبة خمسة أميال.

بني زريق. وتكون هذه الإضافة بحكم المحلية كأنها في قلوبهم، وقد تكون بتحيسهم، ولا خلاف بين الأمة في تحيس المساجد والقناطر والمقابر وإن اختلفوا في تحيس غير ذلك.

الرابعة - مع أن المساجد لله لا يذكر فيها إلا الله فإنه تجوز القسمة فيها للأموال. ويجوز وضع الصدقات فيها على رسم الاشتراك بين المساكين وكل من جاء أكل. ويجوز

حبس الغريم فيها، وربط الأسير والنوم فيها، وسكنى المريض فيها، وفتح الباب للجار (١) إليها،

وإنشاد الشعر فيها إذا عرى عن الباطل. وقد مضى هذا كله مبينا في سورة " براءة " (٢).

و " النور " (٣) وغيرهما.

الخامسة - قوله تعالى: (فلا تدعوا مع الله أحدا) هذا توبيخ للمشركين في دعائهم مع الله غيره في المسجد الحرام. وقال مجاهد: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم

ويبعثهم أشركوا بالله، فأمر الله نبيه والمؤمنين أن يخلصوا لله الدعوة إذا دخلوا المساجد كلها.

يقول: فلا تشرکوا فيها صنما وغيره (٤) مما يعبد. وقيل: المعنى أفردوا المساجد لذكر الله،

ولا تتخذوها هزوا ومتجرا ومجلسا، ولا طرقا، ولا تجعلوا لغير الله فيها نصيبا. وفي الصحيح:

[من نشد ضالة في المسجد فقولوا لا ردها الله عليك فإن المساجد لم تبين لهذا] وقد مضى

في سورة " النور " ما فيه كفاية من أحكام المساجد والحمد لله.

السادسة - روى الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم: كان إذا دخل المسجد قدم رجله اليمنى. وقال: [" وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا " اللهم

أنا عبدك وزائرک وعلى کل مزور حق وأنت خير مزور فأسألك برحمتك أن تفك رقبتني من النار]

فإذا خرج من المسجد قدم رجله اليسرى، وقال: [اللهم صب علي الخير صبا ولا تنزع عني

صالح ما أعطيتني أبدا ولا تجعل معيشتي كدا، واجعل لي في الأرض جدا] (٥) أي غني.

-
- (١) كذا في ابن العربي. وفي ط: للمار إليها.
(٢) راجع ج ٨ ص ١٠٤
(٣) راجع ١٢ ص ٢٦٥.
(٤) كذا في الأصول كلها يريد: ولا غيره.
(٥) الجذ بالفتح: الحظ والغنى كما في اللسان.

قوله تعالى: وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا (١٩) قل إنما ادعوا ربي ولا أشرك به أحدا (٢٠) قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا (٢١) قوله تعالى: (وأنه لما قام عبد الله يدعوه) يجوز الفتح، أي أوحى الله إليه أنه. ويجوز الكسر على الاستئناف. و " عبد الله " هنا محمد صلى الله عليه وسلم حين كان يصلي

بيطن (١) نخلة ويقرأ القرآن، حسب ما تقدم أول السورة. " يدعوه " أي يعبده. وقال ابن جريج: " يدعوه " أي قام إليهم داعيا إلى الله تعالى. (كادوا يكونون عليه لبدا) قال الزبير بن العوام: هم الجن حين استمعوا القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم. أي كاد

يركب بعضهم بعضا ازدحاما ويسقطون، حرصا على سماع القرآن. وقيل: كادوا يركبونه

حرصا، قاله الضحاك. ابن عباس: رغبة في سماع الذكر. وروى برد عن مكحول: أن الجن بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة وكانوا سبعين ألفا، وفرغوا من

بيعته عند انشقاق الفجر. وعن ابن عباس أيضا: إن هذا من قول الجن لما رجعوا إلى قومهم أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وائتمامهم به في الركوع

والسجود. وقيل: المعنى كاد المشركون يركبون بعضهم بعضا، حرذا على النبي صلى الله عليه

وسلم. وقال الحسن وقتادة وابن زيد: يعني " لما قام عبد الله " محمد بالدعوة تلبدت الإنس والجن على هذا الأمر ليظفئوه، وأبى الله إلا أن ينصره ويتم نوره. واختار الطبري أن يكون المعنى: كادت العرب يجتمعون على النبي صلى الله عليه وسلم، ويتظاهرون على

إطفاء النور الذي جاء به. وقال مجاهد: قوله " لبدا " جماعات وهو من تلبد الشيء على الشيء أي تجمع، ومنه اللبد الذي يفرش لتراكم صوفه (٢)، وكل شيء ألصقته إصاقا شديدا

(١) في تاج العروس: (نخلة): موضع بين مكة والطائف ويقال له (بطن نخلة).

(٢) في أ، ح: (صفوفه). وفي ط (صفه).

فقد لبدته، وجمع اللبدة لبد مثل قربة وقرب. ويقال للشعر الذي على ظهر الأسد لبدة وجمعها لبد، قال زهير:

لدى أسد شاكي السلاح مقذف * له لبد أظفاره لم تقلم
ويقال للجراد الكثير: لبد. وفيه أربع لغات وقراءات، فتح الباء وكسر اللام، وهي قراءة العامة. وضم اللام وفتح الباء، وهي قراءة مجاهد وابن محيصن وهشام عن أهل الشام، واحدها

لبدة. وبضم اللام والباء، وهي قراءة أبي حنيفة ومحمد بن السميعة وأبي الأشهب العقيلي

والجحدرى واحدها لبد مثل سقف وسقف ورهن ورهن. وبضم اللام وشد الباء وفتحها،

وهي قراءة الحسن وأبي العالية والأعرج والجحدرى أيضا (١) واحدها لا بد، مثل راعع وررع،

وساجد وسجد. وقيل: اللبد بضم اللام وفتح الباء الشئ الدائم، ومنه قيل لنسر لقمان لبد

لدوامه وبقائه، قال النابغة:

* أحنى عليها الذي أحنى على لبد (٢) *

القشيري: وقرئ " لبدا " بضم اللام والباء، وهو جمع لبيد، وهو الجولق (٣) الصغير. وفي الصحاح:

[وقوله تعالى] " أهلك ما لا لبدا " أي جما (٤). ويقال أيضا: الناس لبد أي مجتمعون،

واللبد أيضا الذي لا يسافر ولا يبرح [منزله] (٥). قال الشاعر (٦):

من امرئ ذي سماح لا تزال له * بزلاء يعيا بها الجثامة اللبد
ويروى: اللبد. قال أبو عبيد: وهو أشبه.

[والبزلاء: الرأي الجيد. وفلان نهاض ببزلاء: إذا كان ممن يقوم بالأمر العظام، قال الشاعر:

إني إذا شغلت قوما فوجههم * رحب المسالك نهاض ببزلاء] (٧)

(١) كلمة (أيضا) ساقطة من ا، ز، ح: ط.

(٢) هذا عجز البيت وسيأتي بتمامه.

(٣) في الأصول: (الجولق) تحريف.

(٤) في ا، ح، ل: (جمعا).

(٥) الزيادة من اللسان مادة (لبد).

(٦) هو الراعي: والبزلاء أيضا الحاجة التي أحكم

أمرها والجثامة الذي لا يبرح من محله وبلدته. وصدرة كما في اللسان والتاج:

* من أمر ذي بدوات لا تزال له *
(٧) ما بين المربعين ساقط من ا، ح، و، ط.

ولبد: آخر نسور لقمان، وهو ينصرف، لأنه ليس بمعدول. وتزعم العرب أن لقمان هو الذي

بعثته عاد في وفدها إلى الحرم يستسقي لها، فلما أهلكوا خير لقمان بين بقاء سبع بعرات (١)

سمر، من أظب عفر، في جبل وعر، لا يمسها القطر، أو بقاء سبعة أنسر كلما هلك نسر خلف

بعده نسر، فاخترت النسور، وكان آخر نسوره يسمى لبداء، وقد ذكرته الشعراء، قال النابغة:

أضحت خلاء وأمسى أهلها احتملوا* أخنى عليها الذي أخنى على لبد
واللبيد: الجوالق الصغير، يقال: ألبدت القرية جعلتها في لبيد. ولبيد: اسم شاعر من بني عامر.

قوله تعالى: (قال إنما ادعوا ربي) أي قال صلى الله عليه وسلم: "إنما أدعو ربي"
"ولا أشرك به أحدا" وكذا قرأ أكثر القراء "قال" على الخبر. وقرأ حمزة وعاصم "قل" على

الامر. وسبب نزولها أن كفار قريش قالوا له: إنك جئت بأمر عظيم وقد عادت الناس كلهم فارجع عن هذا فنحن نجيرك، فنزلت

قوله تعالى: "قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا" أي لا أقدر أن أدفع عنكم ضرا ولا أسوق لكم خيرا. وقيل: "لا أملك لكم ضرا" أي كفرا "ولا رشدا" أي هدى، أي إنما علي التبليغ. وقيل: الضر: العذاب، والرشد النعيم. وهو الأول بعينه. وقيل: الضر الموت، والرشد الحياة.

قوله تعالى: قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا (٢٢) إلا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا (٢٣) حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا (٢٤) قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا (٢٥)

(١) قال شارح القاموس: هو بالعين المهملة، ويوجد في بعض نسخ الصحاح (بقرات) بالقاف. والذي في نسخ القاموس هو الأشبه إذ لا تتولد البقر من الظباء.

قوله تعالى: (قل إني لن يجيرني من الله أحد) أي لا يدفع عذابه عني أحد إن استحفظته، وهذا لأنهم قالوا أترك ما تدعو إليه ونحن نجيرك. وروى أبو الجوزاء عن ابن

مسعود قال: انطلقت مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن حتى أتى الحجون فخط علي خطأ،

ثم تقدم إليهم فازدحموا عليه، فقال سيد لهم يقال له وردان: أنا أزجلهم (١) عنك، فقال:

(إني لن يجيرني من الله أحد) ذكره الماوردي. قال: ويحتمل معنيين أحدهما لن يجيرني

مع إجارة الله لي أحد. الثاني لن يجيرني مما قدره الله تعالى علي أحد. (ولن أجد من دونه

ملتحدا) أي ملتجأ ألقأ إليه، قال قتادة. وعنه: نصيرا ومولى. السدي: حرزا. الكلبي: مدخلا في الأرض مثل السرب. وقيل: وليا ولا مولى. وقيل: مذهبا ولا مسلكا. حكاه ابن شجرة، والمعنى واحد، ومنه قول الشاعر:

يا لهف نفسي ولهفي غير مجدية * عني وما من قضاء الله ملتحد

(إلا بلاغا من الله ورسالاته) فإن فيه الأمان والنجاة، قال الحسن. وقال قتادة: "إلا بلاغا من الله" فذلك الذي أملكه بتوفيق الله، فأما الكفر والايمان فلا أملكهما. فعلى هذا

يكون مردودا إلى قوله تعالى: "قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا" أي لا أملك لكم إلا

أن أبلغكم. وقيل: هو استثناء ومنقطع من قوله: "لا أملك لكم ضرا ولا رشدا" أي إلا أن

أبلغكم أي لكن أبلغكم ما أرسلت به، قاله الفراء. وقال الزجاج: هو منصوب على البدل

من قوله: "ملتحدا" أي "ولن أجد من دونه ملتحدا" إلا أن أبلغ ما يأتيني من الله ورسالاته، أي ومن رسالاته التي أمرني بتبليغها. أو إلا أن أبلغ عن الله وأعمل برسالاته، فأخذ نفسي بما أمر به غيري. وقيل هو مصدر، و "لا" بمعنى لم، و "إن" للشرط. والمعنى لن أجد من دونه ملتحدا: أي إن لم أبلغ رسالات ربي بلاغا.

قوله تعالى: "ومن يعص الله ورسوله" في التوحيد والعبادة. "فإن له نار جهنم" كسرت إن، لأن ما بعد فاء الجزاء موضع ابتداء وقد تقدم. "خالدين فيها" نصب على

(١) أزجلهم: أي أذفغهم. وفي ز، ط، ل: أزجلهم بالحاء أي أنحيهم.

الحال، وجمع " خالدين " لان المعنى لكل من فعل ذلك، فوحد أولاً للفظ " من " ثم جمع للمعنى. وقوله " أبدا " دليل على أن العصيان هنا هو الشرك. وقيل: هو المعاصي غير الشرك، ويكون معنى " خالدين فيها أبدا " إلا أن أعفو أو تلحقهم شفاعة، ولا محالة إذا خرجوا من الدنيا على الايمان يلحقهم العفو. وقد مضى هذا المعنى مبينا في سورة " النساء " (١) وغيرها.

قوله تعالى: " حتى إذا رأوا ما يوعدون " " حتى " هنا مبتدأ، أي " حتى إذا رأوا ما يوعدون " من عذاب الآخرة، أو ما يوعدون من عذاب الدنيا، وهو القتل ببدن " فسيعلمون " حينئذ " من أضعف ناصرا " أهم أم المؤمنون. " وأقل عددا " معطوف.

قوله تعالى: (قل إن أدري أقريب ما توعدون) يعني قيام الساعة. وقيل: عذاب الدنيا، أي لا أدري ف " - إن " بمعنى " ما " أو " لا "، أي لا يعرف وقت نزول العذاب ووقت قيام الساعة إلا الله، فهو غيب لا أعلم منه إلا ما يعرفه الله. و " ما " في قوله: " ما يوعدون ":

يجوز [أن يكون مع الفعل مصدرا، ويجوز (٢)] أن تكون بمعنى الذي ويقدر حرف العائد.

(أم يجعل له ربي أمدا) أي غاية وأجلا. وقرأ العامة بإسكان الياء من ربي. وقرأ الحرميان وأبو عمرو بالفتح.

قوله تعالى: عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا (٢٦) إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا (٢٧) فيه مسألتان:

الأولى - قوله تعالى: " عالم الغيب " " عالم " رفعا نعتا لقوله: " ربي ". وقيل: أي هو " عالم الغيب " والغيب ما غاب عن العباد. وقد تقدم بيانه في أول سورة (البقرة) (٣)

(فلا يظهر على غيبه أحدا. إلا من ارتضى من رسول " فإنه يظهره على ما يشاء من غيبه،

(١) راجع ج ٥ ص ٣٣٣.

(٢) ما بين المربعين ساقط من الأصل المطبوع، ط.

(٣) راجع ج ١ ص ١٦٣.

لان الرسل مؤيدون بالمعجزات، ومنها الاخبار عن بعض الغائبات، وفي التنزيل (١): " وأنبيئكم

بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم " [آل عمران: ٤٩]. وقال ابن جبير: " إلا من ارتضى من رسول " هو

جبريل عليه السلام. وفيه بعد، والأولى أن يكون المعنى: أي لا يظهر على غيبه إلا من ارتضى

أي اصطفى للنبوته، فإنه يطلعه على ما يشاء من غيبه (٢): ليكون ذلك دالا على نبوته. الثانية - قال العلماء رحمة الله عليهم: لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه،

كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل، فأودعهم

ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم. وليس

المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر في الكتب ويزجر بالطير ممن ارتضاه من

رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه، بل هو كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه. قال

بعض العلماء: وليت شعري ما يقول المنجم في سفينة ركب فيها ألف إنسان على اختلاف

أحوالهم، وتباين رتبهم، فيهم الملك والسوقة، والعالم والجاهل، والغني والفقير، والكبير والصغير، مع اختلاف طوالهم، وتباين مواليدهم، ودرجات نجومهم، فعمهم حكم الغرق

في ساعة واحدة؟ فإن قال المنجم قبحه الله: إنما أغرقهم الطالع الذي ركبوا فيه، فيكون

على مقتضى ذلك أن هذا الطالع أبطل أحكام تلك الطوالع كلها على اختلافها عند ولادة كل

واحد منهم، وما يقتضيه طالعه المخصوص به، فلا فائدة أبدا في عمل المواليد، ولا دلالة فيها

على شقي ولا سعيد، ولم يبق إلا معاندة القرآن العظيم. وفيه استحلال دمه على هذا التنجيم،

ولقد أحسن الشاعر حيث قال:

حكم المنجم أن طالع مولدي * يقضي علي بميتة الغرق

قل للمنجم صيحة الطوفان هل * ولد الجميع بكوكب الغرق

وقيل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما أراد لقاء الخوارج: أتلقاهم
والقمر
في العقرب؟ فقال رضي الله عنه: فأين قمرهم؟ وكان ذلك في آخر الشهر. فانظر إلى
هذه

(١) راجع ج ٤ ص ٩٥.
(٢) في ح: (من غيبه بطريق الوحي إليهم ليكون..).

الكلمة التي أجب بها، وما فيها من المبالغة في الرد على من يقول بالتنجيم، والافحام لكل جاهل يحقق أحكام النجوم. وقال له مسافر بن عوف: يا أمير المؤمنين! لا تسر في هذه الساعة وسر في ثلاث ساعات يمضين من النهار. فقال له علي رضي الله عنه: ولم؟ قال:

إنك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصاب أصحابك بلاء وضر شديد، وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرت وأصبت ما طلبت. فقال علي رضي الله عنه: ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم، ولا لنا من بعده (١) - من كلام طويل يحتج فيه بآيات

من التنزيل - فمن صدقك في هذا القول لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله ندا

أو ضدا، اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك. ثم قال للمتكلم: نكذبك ونخالفك ونسير

في الساعة التي تنهانا عنها. ثم أقبل على الناس فقال: يا أيها الناس إياكم وتعلم النجوم إلا ما تهتدون

به في ظلمات البر والبحر، وإنما المنجم كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار، والله

لئن بلغني أنك تنظر في النجوم وتعمل بها لأخلدنك في الحبس ما بقيت وبقيت، ولأحرمنك

العتاء ما كان لي سلطان. ثم سافر في الساعة التي نهاه عنها، ولقي القوم فقتلهم وهي وقعة

النهروان الثابتة في الصحيح لمسلم. ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها وظفرنا وظهرنا

لقال قائل سار في الساعة التي أمر بها المنجم، ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم

ولا لنا من بعده، فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر البلدان - ثم قال: يا أيها الناس!

توكلوا على الله وثقوا به، فإنه يكفي ممن سواه. (فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا)

يعني ملائكة يحفظونه عن أن يقرب منه شيطان، فيحفظ الوحي من استراق الشياطين والالقاء إلى الكهنة. قال الضحاك: ما بعث الله نبيا إلا ومعه ملائكة يحرسونه من

الشياطين

عن أن يتشبهوا بصورة الملك، فإذا جاءه شيطان في صورة الملك قالوا: هذا شيطان

فاحذره.
وإن جاءه الملك قالوا: هذا رسول ربك. وقال ابن عباس وابن زيد: "رصدنا" أي
حفظه يحفظون النبي صلى الله عليه وسلم من أمامه وورائه من الجن والشياطين. قال
قتادة
وسعيد بن المسيب: هم أربعة من الملائكة حفظه. وقال الفراء: المراد جبريل، كان

(١) جملة: (من بعده) ساقطة من ا، ح.

إذا نزل بالرسالة نزلت معه ملائكة يحفظونه من أن تستمع الجن الوحي، فيلقوه إلى كهنتهم،

فيسبقوا الرسول. وقال السدي: " رصدا " أي حفظة يحفظون الوحي، فما جاء من عند الله قالوا: إنه من عند الله، وما ألقاه الشيطان قالوا: إنه من الشيطان (١). و " رصدا "

نصب على المفعول. وفي الصحاح: والرصد القوم يرصدون كالحرس، يستوي فيه الواحد

والجمع والمذكر والمؤنث وربما قالوا أرصادا. والراصد للشئ الراقب له، يقال: رصده يرصده رصدا ورصدا. والترصد الترقب والمرصد موضع الرصد (٢).

قوله تعالى: ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شئ عددا (٢٨)

قوله تعالى: " ليعلم " قال قتادة ومقاتل: أي ليعلم محمد أن الرسل قبله قد أبلغوا الرسالة كما بلغ هو الرسالة. وفيه حذف يتعلق به اللام، أي أخبرناه بحفظنا الوحي ليعلم أن

الرسل قبله كانوا على مثل حالته من التبليغ بالحق والصدق. وقيل: ليعلم محمد أن قد أبلغ

جبريل ومن معه إليه رسالة ربه، قاله ابن جبير. قال: ولم ينزل الوحي إلا ومعه أربعة حفظة من الملائكة عليهم السلام. وقيل: ليعلم الرسل أن الملائكة بلغوا رسالات ربهم. وقيل: ليعلم الرسول أي رسول كان أن الرسل سواه بلغوا. وقيل: أي ليعلم إبليس أن الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم سليمة من تخليطه واستراق أصحابه. وقال ابن قتبية: أي ليعلم الجن أن الرسل قد بلغوا ما نزل عليهم ولم يكونوا هم المبلغين باستراق السمع عليهم.

وقال مجاهد: ليعلم من كذب الرسل أن المرسلين قد بلغوا رسالات ربهم. وقراءة الجماعة

" ليعلم " بفتح الياء وتأويله ما ذكرناه. وقرأ ابن عباس ومجاهد وحميد ويعقوب بضم الياء أي ليعلم الناس أن الرسل قد أبلغوا. وقال الزجاج: أي ليعلم الله أن رسله قد أبلغوا رسالاته بفتح الياء، كقوله تعالى: " ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين " [آل عمران: ١٤٢]

(١) هذا الكلام ينافي قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله قد عصمني من الإنس والجن) (الحديث ج ٦ ص ٢٤٤)

وأن الشياطين لا يمكن أن ينالوا منه عليه السلام فكيف يلقون إليه حتى لا يفرق بين ما يلقونه وبين الوحي إلى أن

تبيينه الملائكة.
(٢) في، ح: (موضع الرقب).

(٣٠)

المعنى: ليعلم الله ذلك علم مشاهدة كما علمه غيبا. (وأحاط بما لديهم) أي أحاط علمه
بما عندهم، أي بما عند الرسل وما عند الملائكة. وقال ابن جبير: المعنى: ليعلم الرسل أن
ربهم قد أحاط علمه بما لديهم، فيبلغوا رسالاته. (وأحصى كل شئ عددا) أي أحاط
بعده كل شئ وعرفه وعلمه فلم يخف عليه منه شئ. و " عددا " نصب على الحال، أي
أحصى كل شئ في حال العدد، وإن شئت على المصدر، أي أحصى وعد كل شئ عددا،
فيكون مصدر الفعل المحذوف. فهو سبحانه المحصي المحيط العالم الحافظ لكل شئ وقد
بيننا جميعه
في الكتاب الأسنى، في شرح أسماء الله الحسنى. والحمد (١) لله وحده.
سورة المزمّل
وهي سبع وعشرون آية مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر.
وقال ابن عباس وقتادة: إلا آيتين منها: " واصبر على ما يقولون " [المزمّل: ١٠] والتي
تليها، ذكره
الماوردي. وقال الثعلبي: قوله تعالى: " إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى " [المزمّل: ٢٠]
إلى آخر
السورة، فإنه نزل بالمدينة.
بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى: يا أيها المزمّل (١) قم الليل إلا قليلا (٢) نصفه
أو أنقص منه قليلا (٣) أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا (٤)
فيه ثمان مسائل:
الأولى - قوله تعالى: (يا أيها المزمّل) قال الأخفش سعيد: " المزمّل " أصله
المتزمل، فأدغمت التاء في الزاي وكذلك " المدثر ". وقرأ أبي بن كعب على الأصل " المتزمل "

(١) في ط: (تمت السورة بحمد الله وعونه.)

و "المدثر" . وسعيد: "المزمل" (١). وفي أصل "المزمل" قولان: أحدهما أنه المحتمل،
يقال: زمل الشيء إذا حمّله، ومنه الزاملة، لأنها تحمل القماش (٢). الثاني أن المزمل هو المتلفف، يقال: تزمّل وتذرّ بثوبه إذا تغطّي. وزمّل غيره إذا غطاه، وكل شيء لفّف فقد زمّل وذرّ، قال امرؤ القيس:
* كبير أناس في بجاد مزمل (٣) *
الثانية - قوله تعالى: "يا أيها المزمل" هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، وفيه ثلاثة أقوال: الأول قول عكرمة: "يا أيها المزمل" بالنبوة والملتزم للرسالة. وعنه أيضا: يا أيها الذي زمّل هذا الأمر أي حمّله ثم فتر، وكان يقرأ: "يا أيها المزمل" بتخفيف الزاي وفتح الميم وتشديدها على حذف المفعول، وكذلك "المدثر" والمعنى المزمل نفسه والمدثر نفسه، أو الذي زمّله غيره. الثاني: "يا أيها المزمل" بالقرآن، قاله ابن عباس. الثالث المزمل بثيابه، قاله قتادة وغيره. قال النخعي: كان متزملا بقطيفة. عائشة: بمرط طوله أربعة عشر ذراعا، نصفه علي وأنا نائمة، ونصفه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، والله ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزاء (٤) ولا إبريسما ولا صوفا، كان سداه شعرا، ولحمته وبرا، ذكره الثعلبي. قلت: وهذا القول من عائشة يدل على أن السورة مدنية، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبن بها إلا في المدينة. وما ذكر من أنها مكية لا يصح. والله أعلم. وقال الضحاك: تزمّل بثيابه لمنامه. وقيل: بلغه من المشركين سوء قول فيه، فاشتد عليه فترمّل في ثيابه وتذرّ، فنزلت: "يا أيها المزمل" [المزمل: ١] و "يا أيها المدثر" [المدثر: ١]. وقيل: كان هذا في ابتداء ما أوحى إليه، فإنه لما سمع قول الملك ونظر إليه أخذته الرعدة فأتى أهله فقال: (زملوني دثروني) روي معناه عن ابن عباس. وقالت الحكماء: إنما خاطبه بالمزمل والمدثر في أول الأمر، لأنه لم يكن بعد ادثر شيئا من تبليغ الرسالة. قال ابن العربي: واختلف في تأويل: "يا أيها"

(١) لعل هذا ما أراده بعض المفسرين بقولهم: قرأ بعض السلف (المزمل) بفتح الزاي وتخفيفها وفتح الميم وشدها.

(٢) القماش: أرد أمتاع البيت ويقال له: سقط المتاع.

(٣) صدر البيت:
* كأن أبانا في أفانين ودقه *
(٤) المرعزاء (بكسر الميم والعين): الزغب الذي تحت شعر العنز.

المزمل " فمنهم من حملة على حقيقته، قيل له: يا من تلفف في ثيابه أو في قطيفته قم،
قاله

إبراهيم وقتادة. ومنهم من حملة على المجاز، كأنه قيل له: يا من تزل بالنبوة، قاله
عكرمة.

وإنما يسوغ هذا التفسير لو كانت الميم مفتوحة مشددة بصيغة المفعول الذي لم يسم
فاعله،

وأما وهو بلفظ الفاعل فهو باطل.

قلت: وقد بينا أنها على حذف المفعول: وقد قرئ بها، فهي صحيحة المعنى. قال:

وأما من قال إنه زمل القرآن فهو صحيح في المجاز، لكنه قد قدمنا أنه لا يحتاج إليه.

الثالثة - قال السهيلي: ليس المزمل باسم من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم،
ولم يعرف به كما ذهب إليه بعض الناس وعدوه في أسمائه عليه السلام، وإنما المزمل
اسم مشتق

من حالته التي كان عليها حين الخطاب، وكذلك المدثر. وفي خطابه بهذا الاسم
فائدتان: إحداهما

الملاطفة، فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سموه باسم مشتق
من حالته

التي هو عليها، كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي حين غاضب فاطمة رضي الله
عنهما،

فأتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب فقال له: (قم يا أبا تراب) إشعاراً له أنه غير عاتب
عليه، وملاطفة له. وكذلك قوله عليه السلام لحذيفة: (قم يا نومان) وكان نائماً ملاطفة
له،

وإشعاراً لترك العتب والتأنيب (١). فقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم: " يا
أيها

المزمل قم " فيه تأنيس وملاطفة، ليستشعر أنه غير عاتب عليه. والفائدة الثانية - التنبيه
لكل

متزمل راقد ليله ليتنبه إلى قيام الليل وذكر الله تعالى فيه، لأن الاسم المشتق من الفعل
يشارك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل واتصف بتلك الصفة.

الرابعة - قوله تعالى: (قم الليل) قراءة العامة بكسر الميم لالتقاء الساكنين.

وقرأ أبو السمال بضم الميم اتباعاً لضمة القاف. وحكى الفتح لخفته. قال عثمان بن
جني:

الغرض بهذه الحركة التبليغ بها هرباً من التقاء الساكنين، فبأي حركة تحركت فقد وقع
الغرض. وهو من الأفعال القاصرة غير المتعدية إلى مفعول، فأما ظرف الزمان والمكان
فسائغ

(١) في ا، ح، ل: (والتأنيس).

فيه، إلا أن ظرف المكان لا يتعدى إليه إلا بواسطة، لا تقول: قمت الدار حتى تقول قمت

وسط الدار وخارج الدار. وقد قيل: إن " قم " هنا معناه صل، عبر به عنه واستعير له حتى صار عرفا بكثرة الاستعمال.

الخامسة - " الليل " حد الليل: من غروب الشمس إلى طلوع الفجر. وقد تقدم بيانه في سورة " البقرة " (١) واختلف: هل كان قيامه فرضا وحتما، أو كان ندبا وحضا؟

والدلائل تقوي أن قيامه كان حتما وفرضا، وذلك أن الندب والحض لا يقع على بعض الليل

دون بعض، لان قيامه ليس مخصوصا به وقتا دون وقت. وأيضا فقد جاء التوقيت بذلك عن عائشة وغيرها على ما يأتي. واختلف أيضا: هل كان فرضا على النبي صلى الله عليه وسلم

وحده، أو عليه وعلى من كان قبله من الأنبياء، أو عليه وعلى أمته؟ ثلاثة أقوال: الأول قول سعيد بن جبير لتوجه الخطاب إليه خاصة. الثاني قول ابن عباس، قال: كان قيام الليل

فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الأنبياء قبله. الثالث قول عائشة وابن عباس أيضا وهو الصحيح، كما في صحيح مسلم عن زرارة بن أوفى أن سعد بن هشام بن عامر أراد

أن يغزو في سبيل الله... الحديث، وفيه: فقلت لعائشة: أنبئيني عن قيام رسول الله صلى الله عليه

وسلم؟ فقالت: أأنت تقرأ: " يا أيها المزمّل " قلت: بلى! قالت فإن الله عز وجل افترض

قيام الليل في أول هذه السورة، فقام صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولا، وأمسك الله عز وجل

خاتمها اثني عشر شهرا في السماء، حتى أنزل الله عز وجل في آخر هذه السورة التخفيف،

فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة. وذكر الحديث. وذكر وكيع ويعلى قالا: حدثنا مسعر عن

سماك الحنفي قال: سمعت ابن عباس يقول لما أنزل أول " يا أيها المزمّل " [المزمّل: ١] كانوا يقومون

نحو من قيامهم في شهر رمضان حتى نزل آخرها، وكان بين أولها وآخرها نحو من سنة.

وقال سعيد بن جبير: مكث النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عشر سنين يقومون الليل، فنزل بعد عشر سنين: " إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل " [المزمل: ٢٠] فخفف الله عنهم.

(١) راجع ج ٢ ص ١٩٢

السادسة - قوله تعالى: (إلا قليلا) استثناء من الليل، أي صل الليل كله إلا يسيرا منه، لان قيام جميعه على الدوام غير ممكن، فاستثنى منه القليل لراحة الجسد. والقليل من

الشيء ما دون النصف، فحكى عن وهب بن منبه أنه قال: القليل ما دون المعشار والسدس.

وقال الكلبي ومقاتل: الثلث. ثم قال تعالى: (نصفه أو أنقص منه قليلا) فكان ذلك تخفيفا إذ لم يكن زمان القيام محدودا، فقام الناس حتى ورمت أقدامهم، ثم نسخ ذلك بقوله

تعالى: " علم أن لن تحصوه " [المزمل: ٢٠]. وقال الأخفش: " نصفه " أي أو نصفه، يقال: أعطه

درهما درهمين ثلاثة: يريد: أو درهمين أو ثلاثة. وقال الزجاج: " نصفه " بدل من الليل و " إلا قليلا " استثناء من النصف. والضمير في " منه " و " عليه " للنصف. المعنى:

قم نصف الليل أو انقص من النصف قليلا إلى الثلث أو زد عليه قليلا إلى الثلثين، فكأنه قال: قم ثلثي الليل أو نصفه أو ثلثه. وقيل: إن " نصفه " بدل من قوله: " قليلا " و كان

مخيرا بين ثلاث: بين قيام النصف بتمامه، وبين الناقص منه، وبين قيام الزائد عليه، كأن تقدير الكلام: قم الليل إلا نصفه، أو أقل من نصفه، أو أكثر من نصفه. وفي صحيح

مسلم
عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ينزل الله عز وجل إلى سماء الدنيا

كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول، فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب

له من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفني فأغفر له، فلا يزال كذلك حتى يضىء

الفجر). ونحوه عن أبي هريرة وأبي سعيد جميعا وهو يدل على ترغيب قيام ثلثي الليل. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا مضى شطر

الليل - أو ثلثاه - ينزل الله...) الحديث. رواه من طريقين عن أبي هريرة هكذا على الشك.

وقد جاء في كتاب النسائي عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: (إن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول، ثم يأمر مناديا

يقول: هل من داع يستجاب له؟ هل من مستغفر يغفر له؟ هل من سائل يعطى؟)

صححه
أبو محمد عبد الحق، فبين هذا الحديث مع صحته معنى النزول، وأن ذلك يكون عند
نصف الليل.
وخرج ابن ماجة من حديث ابن شهاب، عن أبي سلمة وأبي عبد الله الأغر، عن أبي
هريرة:

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ينزل ربنا تبارك وتعالى حين يبقى ثلث الليل الآخر كل ليلة فيقول من يسألني فأعطيه؟ من يدعوني فأستجيب له؟ من يستغفرني فأغفر له؟ حتى يطلع الفجر). فكانوا يستحبون صلاة آخر الليل على أوله. قال علماؤنا: وبهذا الترتيب انتظم الحديث والقرآن، فإنهما يبصران من مشكاة واحدة. وفي الموطأ وغيره من حديث ابن عباس:

بت عند خالتي ميمونة حتى إذا انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل، استيقظ رسول الله

صلى الله عليه وسلم، فقام إلى شن معلق فتوضأ وضوءاً خفيفاً. وذكر الحديث. السابعة - اختلف العلماء في الناسخ للامر بقيام الليل، فعن ابن عباس وعائشة أن الناسخ للامر بقيام الليل قوله تعالى: "إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل" [المزمل: ٢٠]

إلى آخر السورة. وقيل قوله تعالى: "علم أن لن تحصوه" [المزمل: ٢٠]. وعن ابن عباس أيضاً:

هو منسوخ بقوله تعالى: "علم أن سيكون منكم مرضى" [المزمل: ٢٠]. وعن عائشة أيضاً والشافعي

ومقاتل وابن كيسان: هو منسوخ بالصلوات الخمس. وقيل الناسخ لذلك قوله تعالى: "فاقرءوا ما تيسر منه" [المزمل: ٢٠]. قال أبو عبد الرحمن السلمي: لما نزلت: "يا أيها المزمل قاموا حتى

ورمت أقدامهم وسوقهم، ثم نزل قوله تعالى: "فاقرءوا ما تيسر منه" [المزمل: ٢٠]. قال بعض العلماء:

وهو فرض نسخ به فرض، كان على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة لفضله، كما قال تعالى:

"ومن الليل فتهجد به نافلة لك" [الاسراء: ٧٩].

قلت: القول الأول يعم جميع هذه الأقوال، وقد قال تعالى: "وأقيموا الصلاة" [المزمل: ٢٠]

فدخل فيها قول من قال إن الناسخ للصلوات الخمس. وقد ذهب الحسن وابن سيرين إلى

أن صلاة الليل فريضة على كل مسلم ولو على قدر حلب شاة. وعن الحسن أيضاً أنه قال

في هذه الآية: الحمد لله تطوع بعد الفريضة. وهو الصحيح إن شاء الله تعالى، لما جاء

في قيامه من الترغيب والفضل في القرآن والسنة. وعن عائشة رضي الله عنها قالت:
كنت
أجعل للنبي صلى الله عليه وسلم حصيرا يصلي عليه من الليل، فتسامع الناس به، فلما
رأى
جماعتهم كره ذلك، وخشي أن يكتب عليهم قيام الليل، فدخل البيت كالمغضب،
فجعلوا

يتنحنون ويتفلون فخرج إليهم فقال: (أيها الناس اكلفوا (١) من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل من الثواب، حتى تملوا من العمل، وإن خير العمل أدومه وإن قل). فنزلت: " يا أيها المزمّل " فكتب عليهم، فأنزل بمنزلة الفريضة، حتى إن كان أحدهم ليربط الحبل فيتعلق به، فمكثوا ثمانية أشهر، فرحمهم الله وأنزل: " إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل " [المزمّل: ٢٠]

فردهم الله إلى الفريضة، ووضع عنهم قيام الليل إلا ما تطوعوا به.

قلت: حديث عائشة هذا ذكره الثعلبي، ومعناه ثابت في الصحيح إلى قوله: (وإن قل) وباقية يدل على أن قوله تعالى: " يا أيها المزمّل " نزل بالمدينة وأنهم مكثوا ثمانية أشهر يقومون. وقد تقدم عنها في صحيح مسلم: حولاً. وحكى الماوردي عنها قولاً ثالثاً وهو ستة عشر شهراً، لم يذكر غيره عنها. وذكر عن ابن عباس أنه كان بين أول المزمّل وآخرها سنة، قال: فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان فرضاً عليه. وفي نسخة عنه قولان: أحدهما: أنه كان فرضه عليه إلى أن قبضه الله تعالى. الثاني: أنه نسخ عنه كما نسخ عن أمته. وفي مدة فرضه إلى أن نسخ قولان: أحدهما: المدة المفروضة على أمته في القولين الماضيين، يريد قول ابن عباس حولاً، وقول عائشة ستة عشر شهراً. الثاني: أنها عشر سنين إلى أن خفف عنه بالنسخ زيادة في التكليف، ليميزه بفعل الرسالة، قاله ابن جبير. قلت: هذا خلاف ما ذكره الثعلبي عن سعيد بن جبير حسب ما تقدم فتأمله. وسيأتي لهذه المسألة زيادة بيان في آخر السورة إن شاء الله تعالى.

الثامنة - قوله تعالى: (ورتل القرآن ترتيلاً) أي لا تعجل (٢) بقراءة القرآن بل اقرأه في مهل وبيان مع تدبر المعاني. وقال الضحاك: اقرأه حرفاً حرفاً. وقال مجاهد: أحب الناس في القراءة إلى الله أعقلهم عنه. والترتيل التنضيد والتنسيق وحسن النظام، ومنه ثغر رتل ورتل، بكسر العين وفتحها: إذا كان حسن التنضيد. وتقدم بيانه في مقدمة الكتاب (٣).

وروى الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم مر برجل يقرأ آية ويكي، فقال: (ألم تسمعوا

- (١) أكلفوا: تحملوا: النهاية لابن الأثير.
(٢) جملة: (لا تعجل) ساقطة من ح.
(٣) راجع ج ١ ص ١٧.

إلى قول الله عز وجل: " ورتل القرآن ترتيلاً " هذا الترتيل). وسمع علقمة رجلاً يقرأ
قراءة

حسنة فقال: لقد رتل القرآن، فداه أبي وأمي، وقال أبو بكر بن طاهر: تدبر في لطائف
خطابه، وطالب نفسك بالقيام بأحكامه، وقلبك بفهم معانيه، وسرك بالاقبال عليه.
وروى

عبد الله بن عمرو قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يؤتى بقارئ القرآن يوم القيامة،
فيوقف في أول درج الجنة ويقال له اقرأ وارتنق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن
منزلك

عند آخر آية تقرؤها) خرجه أبو داود وقد تقدم في أول الكتاب (١). وروى أنس أن
النبي

صلى الله عليه وسلم كان يمد صوته بالقراءة مداً.

قوله تعالى: إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً (٥)

قوله تعالى: (إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً) هو متصل بما فرض من قيام الليل، أي سنلقي
عليك

بافتراض صلاة الليل قولاً ثقيلاً يثقل حمله، لأن الليل للمنام، فمن أمر بقيام أكثره لم
يتهيأ له

ذلك إلا بحمل شديد على النفس ومجاهدة للشيطان، فهو أمر يثقل على العبد. وقيل:
إنا سنوحي

إليك القرآن، وهو قول ثقیل يثقل العمل بشرائعه. قال قتادة: ثقیل والله فرائضه
وحدوده.

مجاهد: حلاله وحرامه. الحسن: العمل به. أبو العالية: ثقيلاً بالوعد والوعيد والحلال
والحرام. محمد بن كعب: ثقيلاً على المنافقين. وقيل: على الكفار، لما فيه من
الاحتجاج

عليهم، والبيان لضلالتهم وسب آلهتهم، والكشف عما حرفة أهل الكتاب. السدي:
ثقیل

بمعنى كريم، مأخوذ من قولهم: فلان ثقیل علي، أي يكرم علي. الفراء: " ثقيلاً " رزينا
ليس بالخييف السفساف لأنه كلام ربنا. وقال الحسين بن الفضل: ثقيلاً لا يحمله إلا
قلب

مؤيد بالتوفيق، ونفس مزينة بالتوحيد. وقال ابن زيد: هو والله ثقیل مبارك، كما ثقل
في الدنيا يثقل في الميزان يوم القيامة. وقيل: " ثقيلاً " أي ثابتا كثبوت الثقیل في محله،
ويكون معناه أنه ثابت الاعجاز، لا يزول إعجازه أبداً. وقيل: هو القرآن نفسه، كما
جاء

في الخبر: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته وضعت

جرانها

(١) راجع ج ١ ص ٨.

- يعني صدرها - على الأرض، فما تستطيع أن تتحرك حتى يسرى (١) عنه. وفي الموطأ وغيره أنه عليه السلام سئل: كيف يأتيك الوحي؟ فقال: (أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول).

قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيتُه ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه

وإن جبينه ليتفصد عرقا. قال ابن العربي: وهذا أولى، لأنه الحقيقة، وقد جاء " وما جعل عليكم في الدين من حرج " [الحج: ٧٨]. وقال عليه السلام: " بعثت بالحنيفية السمحة ".

وقيل: القول في هذه السورة: هو قول لا إله إلا الله، إذ في الخبر: خفيفة على اللسان ثقيلة

في الميزان، ذكره القشيري.

قوله تعالى: إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا (٦)

إن لك في النهار سبحا طويلا (٧)

فيه خمس مسائل:

الأولى - قوله تعالى: (إن ناشئة الليل) قال العلماء: ناشئة الليل أي أوقاته وساعاته، لأن أوقاته تنشأ أولا فأولا، يقال: نشأ الشيء ينشأ: إذا ابتداء وأقبل شيئا بعد شيء، فهو ناشئ

وأنشأه الله فنشأ، ومنه نشأت السحابة إذا بدأت وأنشأها الله، فناشئة: فاعلة من نشأت تنشأ فهي ناشئة، ومنه قوله تعالى: " أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين " [الزخرف: ١٨] والمراد

إن ساعات الليل الناشئة، فاكتفى بالوصف عن الاسم، فالتأنيث للفظ ساعة، لأن كل ساعة

تحدث. وقيل: الناشئة مصدر بمعنى [قيام الليل] (٢) كالحاطئة والكاذبة، أي إن نشأة الليل هي

أشد وطئا. وقيل: إن ناشئة الليل قيام الليل. قال ابن مسعود: الحبشة يقولون: نشأ أي قام، فلعله أراد أن الكلمة عربية (٣)، ولكنها شائعة في كلام الحبشة، غالبية عليهم، وإلا فليس

في القرآن ما ليس في لغة العرب. وقد تقدم بيان هذا في مقدمة الكتاب مستوفى.

- (١) أي الوحي.
- (٢) زيادة تفتضيها العبارة، وهي كذلك في كتب التفسير.
- (٣) في ا، ح، ل: (غريبة) راجع ج ١ ص ٦٨ فما بعدها.

الثانية - بين تعالى في هذه الآية فضل صلاة الليل على صلاة النهار، وأن الاستكثار من صلاة الليل بالقراءة فيها ما أمكن، أعظم للاجر، وأجلب للثواب.

واختلف العلماء في المراد بناشئة الليل، فقال ابن عمر وأنس بن مالك: هو ما بين المغرب والعشاء، تمسكا بأن لفظ نشأ يعطي الابتداء، فكان بالأولية أحق، ومنه قول الشاعر:

ولولا أن يقال صبا نصيب * لقلت بنفسي النشأ الصغار

وكان علي بن الحسين يصلي بين المغرب والعشاء ويقول: هذا ناشئة الليل. وقال عطاء وعكرمة:

إنه بدء الليل. وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: هي الليل كله، لأنه ينشأ بعد النهار، وهو الذي اختاره مالك بن أنس. قال ابن العربي: وهو الذي يعطيه اللفظ وتقتضيه اللغة. وقالت عائشة

وابن عباس أيضا ومجاهد: إنما الناشئة القيام بالليل بعد النوم. ومن قام أول الليل قبل النوم

فما قام ناشئة. فقال يمان وابن كيسان: هو القيام من آخر الليل. وقال ابن عباس: كانت صلاتهم أول الليل. وذلك أن الانسان إذا نام لا يدري متى يستيقظ. وفي الصحاح:

وناشئة

الليل أول ساعاته. وقال القتيبي: إنه ساعات الليل، لأنها تنشأ ساعة بعد ساعة. وعن الحسن ومجاهد: هي ما بعد العشاء الآخرة إلى الصبح. وعن الحسن أيضا: ما كان بعد العشاء فهو ناشئة. ويقال: ما ينشأ في الليل من الطاعات، حكاه الجوهري.

الثانية - قوله تعالى: (هي أشد وطئا) قرأ أبو العالية وأبو عمرو وابن أبي إسحاق ومجاهد وحמיד وابن محيصة وابن عامر والمغيرة وأبو حياة " وطاء " بكسر الواو وفتح الطاء

والمد، واختاره أبو عبيد. الباكون " وطاء " بفتح الواو وسكون الطاء مقصورة، واختاره أبو حاتم، من قولك: اشتدت على القوم وطأة سلطانهم. أي ثقل عليهم ما حملهم من المؤمن،

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (اللهم اشدد وطأتك على مضر) فالمعنى أنها أثقل على

المصلي من ساعات النهار. وذلك أن الليل وقت منام وتودع وإجمام، فمن شغله بالعبادة

فقد تحمل المشقة العظيمة. ومن مد فهو مصدر واطأت وطاء ومواطأة أي وافقته. ابن زيد

واطأته على الامر مواطأة: إذا وافقته من الوفاق، وفلان يواطئ اسمه اسمي، وتواطؤوا

عليه
أي توافقوا، فالمعنى أشد موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان، لانقطاع الأصوات

والحركات، قاله مجاهد وابن أبي مليكة وغيرهما. وقال ابن عباس بمعناه، أي يواطئ
السمع
القلب، قال الله تعالى: " ليواطئوا عدة ما حرم الله " [التوبة: ٣٧] أي ليوافقوا. وقيل:
المعنى أشد مهادا
للتصرف في التفكير والتدبر. والوطاء خلاف الغطاء. وقيل: " أشد وطئا " بسكون الطاء
وفتح
الواو أي أشد ثباتا من النهار، فإن الليل يخلو فيه الانسان بما يعمل، فيكون ذلك أثبت
للعمل
وأبقى (١) لما يلهي ويشغل القلب. والوطئ الثبات، تقول: وطئت الأرض بقدمي.
وقال
الأخفش: أشد قياما. الفراء: أثبت قراءة وقياما. وعنه: " أشد وطئا " أي أثبت للعمل
وأدوم لمن أراد الاستكثار من العبادة، والليل وقت فراغ عن اشتغال المعاش فعبادته
تدوم
ولا تنقطع. وقال الكلبي: " أشد وطئا " أي أشد نشاطا للمصلي، لأنه في زمان راحته.
وقال
عبادة: " أشد وطئا " أي نشاطا للمصلي وأخف، وأثبت للقراءة.
الرابعة - قوله تعالى: (وأقوم قيلا) أي القراءة بالليل أقوم منها بالنهار، أي أشد
استقامة واستمرارا على الصواب، لان الأصوات هادئة، والدنيا ساكنة، فلا يضطرب
على
المصلي ما يقرؤه. قال قتادة ومجاهد: أي أصوب للقراءة وأثبت للقول، لأنه زمان
التفهم.
وقال أبو علي: " أقوم قيلا " أي أشد استقامة لفراغ البال بالليل. وقيل: أي أعجل إجابة
للدعاء. حكاه ابن شجرة. وقال عكرمة: عبادة الليل أتم نشاطا، وأتم إخلاصا، وأكثر
بركة.
وعن زيد ابن أسلم: أجدر أن يتفقه في القرآن. وعن الأعمش قال: قرأ أنس بن مالك
" إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأصوب قيلا " ففيل له: " وأقوم قيلا " فقال: أقوم
وأصوب
وأهيا: سواء. قال أبو بكر الأنباري: وقد ترامى ببعض هؤلاء الزائغين إلى أن قال: من
قرأ
بحرف يوافق معنى حرف من القرآن فهو مصيب، إذا لم يخالف معنى ولم يأت بغير ما
أراد الله
وقصد له، واحتجوا بقول أنس هذا. وهو قول لا يعرج عليه ولا يلتفت إلى قائله، لأنه
لو قرأ بألفاظ تخالف ألفاظ القرآن إذا قاربت معانيها واشتملت على عامتها، لجاز أن

يقراً
في موضع " الحمد لله رب العالمين " [الفاتحة: ٢]: الشكر للباري ملك المخلوقين،
ويتسع الامر في هذا حتى
يبتل لفظ جميع القرآن، ويكون التالي له مفترياً على الله عز وجل، كاذباً على رسوله
صلى

(١) في ل: (وأنتقي).

الله عليه وسلم ولا حجة لهم في قول ابن مسعود: نزل القرآن على سبعة أحرف، إنما هو كقول أحدكم: هلم وتعال وأقبل، لان هذا الحديث يوجب أن القراءات المأثورة المنقولة بالأسانيد الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا اختلفت ألفاظها، واتفقت معانيها، كان ذلك فيها بمنزلة الخلاف في هلم، وتعال، وأقبل، فأما ما لم يقرأ به النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتابعوهم رضي الله عنهم، فإنه من أورد حرفا منه في القرآن بهت ومال وخرج من مذهب الصواب. قال أبو بكر: والحديث الذي جعلوه قاعدتهم في هذه الضلالة حديث لا يصح عن أحد من أهل العلم، لأنه مبني على رواية الأعمش عن أنس، فهو مقطوع ليس بمتصل فيؤخذ به، من قبل أن الأعمش رأى أنسا ولم يسمع منه.

الخامسة - قوله تعالى (١): (إن لك في النهار سبحا طويلا) قراءة العامة بالحاء غير معجمة، أي تصرفا في حوائجك، وإقبالا وإدبارا وذهابا ومجيئا. والسبح: الجري والدوران، ومنه السباح في الماء، لتقلبه بيديه ورجليه. وفرس سباح: شديد الجري، قال امرؤ القيس:

مسح إذا ما السابحات على الونى * أثرن الغبار بالكديد المركل (٢)
وقيل: السبح الفراغ، أي إن لك فراغا للحاجات بالنهار.

وقيل: " إن لك في النهار

سبحا " أي نوما، والتسبح التمدد، ذكره الخليل. وعن ابن عباس وعطاء: (سبحا طويلا)

يعني فراغا طويلا لنومك وراحتك، فاجعل ناشئة الليل لعبادتك، وقال الزجاج: إن فاتك في الليل شئ فلك في النهار فراغ الاستدراك.

وقرا يحيى بن يعمر وأبو وائل " سبحا " بالحاء المعجمة. قال المهدوي: ومعناه النوم روى ذلك عن القارئين بهذه القراءة. وقيل: معناه الخفة والسعة والاستراحة، ومنه قول

(١) جملة: (قوله تعالى) ساقطة من ح.

(٢) مسح: معناه يصب الجري صبا. وهذه الكلمة

وردت محرفة في ط وهي ساقطة من سائر الأصول. والتصويب من الديوان واللسان. والونى: الفتور والكلال.

والكديد: الموضع الغليظ. والمركل: الذي يركل بالأرجل. ومعنى البيت: إن الخيل السريعة إذا فترت فأثارت الغبار بأرجلها من التعب جرى هذا الفرس جريا سهلا كما يسح السحاب المطر.

النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة وقد دعت على سارق رداؤها: (لا تسبخي [عنه] (١) بدعائك

عليه). أي لا تخففي عنه إثمه، قال الشاعر:
فسخ عليك الهم واعلم بأنه * إذا قدر الرحمن شيئا فكائن
الأصمعي: يقال سبخ الله عنك الحمى أي خففها. وسبخ الحر (٢): فتر وخف.
والتسبيخ

النوم الشديد. والتسبيخ أيضا توسيع القطن والكتان والصوف وتنفيشها، يقال للمرأة:
سبخي قطنك. والسبيخ من القطن ما يسبخ بعد الندف، أي يلف لتغزله المرأة، والقطعة
منه سبيخة، وكذلك من الصوف والوبر. ويقال لقطع القطن سبائخ، قال الأخطل يصف
القناص والكلاب:

فأرسلوهن يذرين التراب كما * يذري سبائخ قطن ندف أوتار
وقال ثعلب: السبخ بالخاء التردد والاضطراب، والسبخ أيضا السكون، ومنه قول
النبي صلى الله عليه وسلم: (الحمى من فيح جهنم، فسبخوها بالماء) أي سكنوها.
وقال

أبو عمرو: السبخ: النوم والفراغ.
قلت: فعلى هذا يكون من الأضداد وتكون بمعنى السبخ، بالخاء غير المعجمة.
قوله تعالى: واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتلا (٨)
فيه ثلاث مسائل:

الأولى - قوله تعالى: (واذكر اسم ربك) أي ادعه بأسمائه الحسنى، ليحصل لك
مع الصلاة محمود العاقبة. وقيل: أي اقصد بعملك وجه ربك، وقال سهل: اقرأ باسم
الله الرحمن الرحيم في ابتداء صلاتك توصلك بركة قراءتها إلى ربك، وتقطعك عما
سواه (٣).

وقيل: أذكر اسم ربك في وعده ووعيده، لتوفر على طاعته وتعديل عن معصيته. وقال
الكلبي:
صل لربك أي بالنهار.

(١) زيادة من نهاية ابن الأثير.

(٢) في ا، ح، ل، و: (الجن) بالحيم والنون وهو تحريف.

(٣) في ا، ح، ز، ط، (تهواه).

قلت: وهذا حسن فإنه لما ذكر الليل ذكر النهار، إذ هو قسيمه، وقد قال الله تعالى: " وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر " [الفرقان: ٦٢] على ما تقدم (١).

الثانية - قوله تعالى: (وتبتل إليه تبتلا) التبتل: الانقطاع إلى عبادة الله عز وجل، أي انقطع بعبادتك إليه، ولا تشرك به غيره. يقال: بتلت الشيء أي قطعته، ومنه قولهم. طلقها بته بتلة، وهذه صدقة بته بتلة، أي بائنة منقطعة عن صاحبها، أي قطع ملكه عنها بالكلية، ومنه مريم البتول لانقطاعها إلى الله تعالى، ويقال للراهب متبتل، لانقطاعه عن الناس، وانفراده بالعبادة، قال:

تضئ الظلام بالعشاء كأنها * منارة ممسى راهب متبتل (٢)
وفي الحديث النهي عن التبتل، وهو الانقطاع عن الناس والجماعات. وقيل: إن أصله عند العرب التفرد، قاله ابن عرفة. والأول أقوى لما ذكرنا. ويقال: كيف قال: تبتلا، ولم يقل تبتلا؟ قيل له: لأن معنى تبتل بتل نفسه، فجئ به على معناه مراعاة لحق الفواصل.

الثالثة - قد مضى في (المائدة) (٣) في تفسير قوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم " [المائدة: ٨٧] كراهة لمن تبتل وانقطع وسلك سبيل الرهبانية بما فيه

كفاية. قال ابن العربي: وأما اليوم وقد مرجت عهود الناس، وخفت أماناتهم، واستولى الحرام على الحطام (٤)، فالعزلة خير من الخلطة، والعز به أفضل من التأهل، ولكن معنى الآية: انقطع عن الأوثان والأصنام وعن عبادة غير الله، وكذلك قال مجاهد:

معناه: أخلص له العبادة، ولم يرد التبتل، فصار التبتل مأمورا به في القرآن، منهيا عنه في السنة،

ومتعلق الامر غير متعلق النهي، فلا يتناقضان، وإنما بعث ليبين للناس ما نزل إليهم، فالتبتل

المأمور به: الانقطاع إلى الله بإخلاص العبادة، كما قال تعالى: " وما أمروا إلا ليعبدوا

(١) راجع ج ١٣ ص ٦٥.

(٢) البيت من معلقة امرى القيس ومعناه: إذا ابتسمت بالليل رأيت لشاياها بريقا وضوءا وإذا برزت في الظلام استنار وجهها حتى يغلب ظلمة الليل. وممسى راهب: أي إمساؤه.

(٣) راجع ج ٦ ص ٢٦١.

(٤) حطام الدنيا: كل ما فيها من مال يفنى ولا يبقى.

الله مخلصين له الدين " (١) [البينة: ٥] والتبتل المنهي عنه: هو سلوك مسلك النصارى في ترك النكاح والترهب في الصوامع، لكن عند فساد الزمان يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن.

قوله تعالى: رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا (٩) واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا (١٠) وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا (١١) قوله تعالى: (رب المشرق والمغرب) قرأ أهل الحرمين وابن محيصة ومجاهد وأبو عمرو وأبن أبي إسحاق وحفص " رب " بالرفع على الابتداء والخبر " لا إله إلا هو "

وقيل: على إضمار " هو ". الباقون " رب " بالخفض على نعت الرب تعالى في قوله تعالى: " وأذكر اسم ربك " " رب المشرق " ومن علم أنه رب المشارق والمغرب انقطع بعمله

وأمله إليه. (فاتخذه وكيلا) أي قائما بأمورك. وقيل: كفيلا بما وعدك. قوله تعالى: (واصبر على ما يقولون) أي من الأذى والسب والاستهزاء، ولا تجزع من قولهم، ولا تمتنع من دعائهم. (واهجرهم هجرا جميلا) أي لا تتعرض لهم، ولا تشتغل بمكافأتهم، فإن في ذلك ترك الدعاء إلى الله. وكان هذا قبل الامر بالقتال، ثم أمر بعد بقتالهم

وقتلهم، فنسخت آية القتال ما كان قبلها من الترك، قاله قتادة وغيره. وقال أبو الدرداء: إنا لنكشر في وجوه [أقوام] (٢) ونضحك إليهم وإن قلوبنا لتقليهم أو لتلعنهم. قوله تعالى: (وذرنى والمكذبين) أي أرض بي لعقابهم. نزلت في صناديد قريش ورؤساء مكة من المستهزئين. وقال مقاتل: نزلت في المطعمين (٣) يوم بدر وهم عشرة. وقد

تقدم ذكرهم في " الأنفال " (٤). وقال يحيى بن سلام: إنهم بنو المغيرة. وقال سعيد بن جبير

أخبرت أنهم اثنا عشر رجلا. (أولى النعمة) أي أولى الغنى والترفة واللذة في الدنيا

(١) راجع ج ٢٠ ص ١٤٤.

(٢) الزيادة من نهاية ابن الأثير.

(٣) في ا، ح، ل: (المهطعين).

(٤) راجع ج ٨ ص ٥٣.

(ومهلهم قليلا) يعني إلى مدة آجالهم. قالت عائشة رضي الله عنها: لما نزلت هذه الآية لم يكن إلا يسيرا حتى وقعت وقعة بدر. وقيل: " ومهلهم قليلا " يعني إلى مدة الدنيا. قوله تعالى: إن لدينا أنكالا وجحيما (١٢) وطعاما ذا غصة وعذابا أليما (١٣) يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا (١٤)

قوله تعالى: (إن لدينا أنكالا وجحيما) الأنكال: القيود. عن الحسن ومجاهد وغيرهما. واحدها نكل، وهو ما منع (١) الانسان من الحركة. وقيل: سمى نكلا، لأنه ينكل به. قال الشعبي:

أترون أن الله تعالى جعل الأنكال في أرجل أهل النار خشية أن يهربوا؟ لا والله! ولكنهم

إذا أرادوا أن يرتفعوا استفلت بهم. وقال الكلبي: الأنكال: الأغلال، والأول أعرف في اللغة، ومنه قول الخنساء:

دعاك فقطعت أنكاله * وقد كن (٢) قبلك لا تقطع

وقيل: إنه أنواع العذاب الشديد، قاله مقاتل. وقد جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله يحب النكل على النكل) بالتحريك، قاله الجوهرى. قيل: وما النكل؟ قال: (الرجل القوي المجرب، على الفرس القوي المجرب) ذكره الماوردي. قال: ومن ذلك سمى القيد نكلا لقوته، وكذلك الغل، وكل عذاب قوي فاشتد، والجحيم النار المؤججة.

(وطعاما ذا غصة) أي غير سائغ، يأخذ بالحلق، لا هو نازل ولا هو خارج، وهو الغسلين

والزقوم والضريع، قاله ابن عباس. وعنه أيضا: انه شوك يدخل الحلق، فلا ينزل ولا يخرج.

وقال الزجاج: أي طعامهم الضريع، كما قال: " ليس لهم طعام إلا من ضريع " [الغاشية: ٦] وهو شوك

كالعوسج. وقال مجاهد: هو الزقوم، كما قال: " إن شجرة الزقوم طعام الأثيم " [الدخان: ٤٣ - ٤٤]. والمعنى واحد.

وقال حمران بن أعين: قرأ النبي صلى الله عليه وسلم (إن لدينا أنكالا وجحيما. وطعاما ذا غصة)

(١) في ا، ح، و: (وهو منع).

(٢) في ديوان الخنساء: ظن.

فصعق. وقال خلود بن حسان: أمسى الحسن عندنا صائما، فأتيته بطعام فعرضت له هذه الآية " إن لدينا أنكالا وجحيما. وطعاما " فقال: أرفع طعامك. فلما كانت الثانية

أتيته بطعام فعرضت له هذه الآية، فقال: ارفعوه. ومثله في الثالثة، فانطلق ابنه إلى ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيى البكاء فحدثهم، فجاءوه فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق.

والغصة: الشجا، وهو ما ينشب في الحلق من عظم أو غيره. وجمعها غصص. والغصص بالفتح

مصدر قولك: غصصت يا رجل تغص، فأنت غاص بالطعام وغصان، وأغصصته أنا، والمنزل غاص بالقوم أي ممتلى بهم.

قوله تعالى: (يوم ترجف الأرض والجبال) أي تتحرك وتضطرب بمن عليها. وانتصب " يوم " على الظرف أي ينكل بهم ويعذبون " يوم ترجف الأرض " . وقيل: بنزع الخافض، يعني هذه العقوبة في يوم ترجف الأرض والجبال. وقيل: العامل " ذرني "

أي وذرني والمكذبين يوم ترجف الأرض والجبال. (وكانت الجبال كثيبا مهيلا) أي وتكون.

والكثيب الرمل المجتمع - قال حسان:

عرفت ديار زينب بالكثيب * كخط الوحي في الورق (١) القشيب والمهيل: الذي يمر تحت الأرجل. قال الضحاك والكلبي: المهيل: هو الذي إذا وطئته بالقدم

زل من تحتها، وإذا أخذت أسفله انهال. وقال ابن عباس: " مهيلا " أي رملا سائلا متناثرا وأصله مهبول وهو مفعول من قولك: هلت عليه التراب أهيله هيلا: إذا صببته. يقال: مهيل ومهبول، ومكيل ومكيول، ومدين ومديون، ومعين ومعيون، قال الشاعر: (٢)

قد كان قومك يحسبونك سيذا * وإدخال أنك سيد معيون وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنهم شكوا إليه الجدوبة، فقال: (أتكيلون أم تهيلون)

قالوا: نهيل. قال: (كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه). وأهلت الدقيق لغة في هلت فهو

(١) ويروي (في الرق) والوحي هنا: الكتابة. والقشيب: الجديد. شبه حسان رضي الله عنه آثار الديار بالسطور.

(٢) هو عباس بن مرداس. وقد ورد في ا، ه، و: (والحال أنك) الخ.

مهال ومهيل. وإنما حذفت الواو، لان الياء تثقل فيها الضمة، فحذفت فسكنت هي والواو

فحذفت الواو لالتقاء الساكنين

قوله تعالى: إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا (١٥) فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا (١٦)

فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا (١٧) السماء منفطر به كان وعده مفعولا (١٨) إن هذه تذكرة فمن شاء أتخذ

إلى ربه سبيلا (١٩)

قوله تعالى: (إنا أرسلنا إليكم رسولا) يريد النبي صلى الله عليه وسلم أرسله إلى قريش (كما أرسلنا إلى فرعون رسولا) وهو موسى (فعصى فرعون الرسول) أي كذب به ولم

يؤمن. قال مقاتل: ذكر موسى وفرعون، لان أهل مكة ازدروا محمدا صلى الله عليه وسلم

واستخفوا به، لأنه ولد فيهم، كما أن فرعون ازدري موسى، لأنه رباه ونشأ فيما بينهم، كما قال تعالى: " ألم نربك فينا وليدا " [الشعراء: ١٨]. قال المهدوي: ودخلت الألف

واللام في الرسول

لتقدم ذكره، ولذلك اختير في أول الكتب سلام عليكم، وفي آخرها السلام عليكم. (وبيلا)

أي ثقيلًا شديدًا. وضرب وبيلا وعذاب وبيلا: أي شديد، قاله ابن عباس ومجاهد. ومنه مطر وابل أي شديد، قاله الأخفش. وقال الزجاج: أي ثقيلًا غليظًا. ومنه قيل للمطر

وابل. وقيل: مهلكا [والمعنى عاقبناه عقوبة (١) غليظة] قال:

أكلت بنيك أكل الضب حتى * وجدت مرارة الكلاء الوبيلا

واستوبل فلان كذا: أي لم يحمد عاقبته. وماء وبيلا: أي وخيم غير مرئ، وكلا مستوبل

وطعام وبيلا ومستوبل: إذا لم يمرئ ولم يستمرأ، قال زهير:

(١) الزيادة من حاشية الجمل نقلا عن القرطبي ونص بأنها عبارته.

ففضوا منايا بينهم ثم أصدروا * إلى كلا مستوبل متوخم
وقالت الخنساء:

لقد أكلت بحيلة يوم لاقت * فوارس مالك أكلا وبيلا
والوبيل أيضا: العصا الضخمة، قال:

لو أصبح في يمني يدي زمامها (١) * وفي كفي الأخرى وبيلا تحاذره
وكذلك الموبل بكسر الباء، والموبلة أيضا: الحزمة من الحطب، وكذلك الوبيلا،
قال طرفة:

* عقيلة شيخ كالوبيلا يلندد (٢) *

قوله تعالى: (فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا) هو توبيخ وتقريع،
أي كيف تتقون العذاب إن كفرتم. وفيه تقديم وتأخير، أي كيف تتقون يوما يجعل
الولدان شيبا إن كفرتم. وكذا قراءة عبد الله وعطية. قال الحسن: أي بأي صلاة تتقون
العذاب؟ بأي صوم تتقون العذاب؟ وفيه إضمار، أي كيف تتقون عذاب يوم.
وقال قتادة: والله ما يتقى من كفر بالله ذلك اليوم بشئ. و " يوما " مفعول ب " -
تتقون "

على هذه القراءة وليس بظرف، وإن قدر الكفر بمعنى الجحود كان اليوم مفعول
(كفرتم).

وقال بعض المفسرين: وقف التمام على قوله: (كفرتم) والابتداء (يوما) يذهب إلى أن
اليوم

مفعول " يجعل " والفعل لله عز وجل، وكأنه قال: يجعل الله الولدان شيبا في يوم. قال
ابن الأنباري، وهذا لا يصلح، لأن اليوم هو الذي يفعل هذا من شدة هوله. المهدوي:
والضمير في " يجعل " يجوز أن يكون لله عز وجل، ويجوز أن يكون لليوم، وإذا كان
لليوم

صلح أن يكون صفة له، ولا يصلح ذلك إذا كان الضمير لله عز وجل إلا مع تقدير
حذف،

كأنه قال: يوما يجعل الله الولدان فيه شيبا. ابن الأنباري: ومنهم من نصب اليوم

(١) في ا، ح، و: (رقامها).

(٢) يلندد: شديد الخصومة. وصدر البيت:

* فمرت كهة ذات خيف جلالة *

ب " - كفرتم " وهذا قبيح، لان اليوم إذا علق ب " - كفرتم " أحتاج إلى صفة، أي كفرتم

بيوم. فإن احتج محتج بأن الصفة قد تحذف وينصب ما بعدها، احتجنا عليه بقراءة عبد الله " فكيف تتقون يوما " .

قلت: هذه القراءة ليست متواترة، وإنما جاءت على وجه التفسير. وإذا كان الكفر بمعنى الجحود ف " - يوما " مفعول صريح من غير صفة ولا حذفها، أي فكيف تتقون الله

وتخشونه إن جحدتم يوم القيامة والجزاء. وقرأ أبو السمال قعنب " فكيف تتقون " بكسر النون

على الإضافة. و " الولدان " الصبيان. وقال السدي: هم أولاد الزنا. وقيل: أولاد المشركين.

والعموم أصح، أي يشيب فيه الصغير من غير كبر. وذلك حين يقال: (يا آدم قم فابعث بعث

النار). على ما تقدم في أول سورة " الحج " (١). قال القشيري: ثم إن أهل الجنة يغير الله أحوالهم

وأوصافهم على ما يريد. وقيل: هذا ضرب مثل لشدة ذلك اليوم وهو مجاز، لان يوم القيامة لا يكون فيه ولدان ولكن معناه أن هيبة ذلك اليوم بحال لو كان فيه هناك صبي لشاب رأسه من الهيبة. ويقال: هذا وقت الفزع، وقيل أن ينفخ في الصور نفخة الصعق، فالله أعلم. الزمخشري: وقد مر بي في بعض الكتب أن رجلا أمسى فاحم الشعر كحنك

الغراب، فأصبح وهو أبيض الرأس واللحية كالثغامة (٢)، فقال: أريت القيامة والجنة والنار

في المنام، ورأيت الناس يقادون في السلاسل إلى النار، فمن هول ذلك أصبحت كما ترون.

ويجوز أن يوصف اليوم بالطول، وأن الأطفال يبلغون فيه أوان الشيخوخة والشيب. قوله تعالى: (السماء منفطر به) أي متشققة لشدته. ومعنى " به " أي فيه، أي في ذلك اليوم لهوله. هذا أحسن ما قيل فيه. ويقال: مثقلة به إثقالا يؤدي إلى انفطارها لعظمتها عليها وخشيتها من وقوعه، كقوله تعالى: " ثقلت في السماوات والأرض " [الأعراف: ١٨٧].

وقيل: " به " أي له، أي لذلك اليوم، يقال: فعلت كذا بحرمتك ولحرمتك، والباء واللام

(١) راجع ج ١١ ص ٣.
(٢) في نسخ الأصل: (كالنعامة) بالنون والعين. والثغامة (بالثاء المفتوحة والعين): شجرة تبيض كأنها الثلج.

وفي: متقاربة في مثل هذا الموضع، قال الله تعالى: " ونضع الموازين القسط ليوم القيامة " [الأنبياء: ٤٧]
أي في يوم القيامة. وقيل: " به " أي بالامر أي السماء منفطر بما يجعل الولدان شيبا.
وقيل: منفطر بالله، أي بأمره، وقال أبو عمرو بن العلاء: لم يقل منفطرة، لان مجازها
(١)

السقف، تقول: هذا سماء البيت، قال الشاعر:
فلو رفع السماء إليه قوما * لحقنا بالسماء وبالسحاب
وفي التنزيل: " وجعلنا السماء سقفا محفوظا " [الأنبياء: ٣٢]. وقال الفراء: السماء
يذكر ويؤنث. وقال
أبو علي: هو من باب الجراد المنتشر، والشجر الأخضر، و " أعجاز نخل منقعر " [القمر: ٢٠]. وقال أبو علي
أيضا: أي السماء ذات انقطاع، كقولهم: امرأة مرضع، أي ذات إرضاع، فجرى على
طريق
النسب. " كان وعده " أي بالقيامة والحساب والجزاء " مفعولا " كائنا لا شك فيه
ولا خلف. وقال مقاتل: كان وعده بأن يظهر دينه على الدين كله.
قوله تعالى: (إن هذه تذكرة) يريد هذه السورة أو الآيات عظة. وقيل: آيات
القرآن، إذ هو كالسورة الواحدة. (فمن شاء اتخذ إلى ربه) أي من أراد أن يؤمن ويتخذ
بذلك إلى ربه (سيلا) أي طريقا إلى رضاه ورحمته فليرغب، فقد أمكن له، لأنه أظهر
له

الحجج والدلائل. ثم قيل: نسخت بآية السيف، وكذلك قوله تعالى: " فمن شاء ذكره
" [المدثر: ٥٥]

قال الثعلبي: والأشبه أنه غير منسوخ.
قوله تعالى: إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل
ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار
علم ألن تحصوه فتاب عليكم فاقراءوا ما تيسر من القرآن علم
أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون
من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقراءوا ما تيسر

(١) مجازها: معناها.

منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا
وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم
أجرا واستغفروا الله إن الله غفور رحيم (٢٠)
فيه ثلاث عشرة مسألة:

الأولى - قوله تعالى: " إن ربك يعلم أنك تقوم " هذه الآية تفسير لقوله تعالى:
" قم الليل إلا قليلا. نصفه أو انقص منه قليلا. أو زد عليه " [المزمل: ٢ - ٤] كما
تقدم، وهي الناسخة

لفرضية قيام الليل كما تقدم. " تقوم " معناه تصلي و " أدنى " أي أقل. وقرأ ابن
السميعة

وأبو حياة وهشام عن أهل الشام " ثلثي " بإسكان اللام. " ونصفه وثلثه " بالخفض
قراءة العامة عطفا على " ثلثي "، المعنى: تقوم أدنى من ثلثي الليل ومن نصفه وثلثه.
واختاره

أبو عبيد وأبو حاتم، كقوله تعالى: " علم أن لن تحصوه " فكيف يقومون نصفه أو ثلثه
وهم لا يحصونه. وقرأ ابن كثير والكوفيون " ونصفه وثلثه " بالنصب عطفا على " أدنى "

التقدير: تقوم أدنى من ثلثي الليل وتقوم نصفه وثلثه. قال الفراء: وهو أشبه بالصواب،
لأنه قال أقل من الثلثين، ثم ذكر نفس القلة لا أقل من القلة. القشيري: وعلى هذه
القراءة

يحتمل أنهم كانوا يصيبون الثلث والنصف، لخفة القيام عليهم بذلك القدر، وكانوا
يزيدون،

وفي الزيادة إصابة المقصود، فأما الثلثان فكان يثقل عليهم قيامه فلا يصيبونه، وينقصون
منه. ويحتمل أنهم أمروا بقيام نصف الليل، ورخص لهم في الزيادة والنقصان، فكانوا
ينتهبون في الزيادة إلى قريب من الثلثين، وفي النصف إلى الثلث. ويحتمل أنهم قدر لهم
النصف وأنقص إلى الثلث، والزيادة إلى الثلثين، وكان فيهم من يفي بذلك، وفيهم من
يترك

ذلك إلى أن نسخ عنهم. وقال قوم: إنما افترض الله عليهم الربع، وكانوا ينقصون من
الربع.
وهذا القول تحكم.

الثانية - قوله تعالى: (والله يقدر الليل والنهار) أي يعلم مقادير الليل والنهار على حقائقها، وأنتم تعلمون بالتحري والاجتهاد الذي يقع فيه الخطأ. (علم أن لن تحصوه) أي لن تطيقوا معرفة حقائق ذلك والقيام به. وقيل: أي لن تطيقوا قيام الليل. والأول أصح، فإن قيام الليل ما فرض كله قط. قال مقاتل (١) وغيره: لما نزلت: " قم الليل إلا قليلا. نصفه

أو انقص منه قليلا. أو زد عليه " [المزمل: ٢ - ٤] شق ذلك عليهم، وكان الرجل لا يدري متى نصف الليل من ثلثه، فيقوم حتى يصبح مخافة أن يخطئ، فانتفخت أقدامهم، وانتفعت ألوانهم، فرحمهم

الله وخفف عنهم، فقال تعالى: " علم أن لن تحصوه " و " أن " مخففة من الثقيلة، أي علم أنكم لن تحصوه، لأنكم إن زدتهم ثقل عليكم، واحتجتم إلى تكليف ما ليس فرضا، وإن نقصتم شق ذلك عليكم.

الثالثة - قوله تعالى: (فتاب عليكم) أي فعاد عليكم بالعمو، وهذا يدل على أنه كان فيهم في ترك بعض ما أمر به. وقيل: أي فتاب عليكم من فرض القيام إذ عجزتم. وأصل التوبة الرجوع كما تقدم، فالمعنى رجع لكم من تثقيل إلى تخفيف، ومن عسر إلى يسر.

وإنما أمروا بحفظ الأوقات على طريق التحري، فخفف عنهم ذلك التحري. وقيل: معنى

(والله يقدر الليل والنهار) يخلقهما مقدرين كقوله تعالى: (وخلق كل شيء فقدره تقديرا).

ابن العربي: تقدير الخلق لا يتعلق به حكم وإنما يربط الله به ما يشاء من وظائف التكليف.

الرابعة - قوله تعالى: (فاقرءوا ما تيسر من القرآن) فيه قولان: أحدهما أن المراد نفس القراءة، أي فاقرءوا فيما تصلون به بالليل ما خف عليكم. قال السدي: مائة آية.

الحسن: من قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن. وقال كعب: من قرأ في ليلة مائة آية كتب

من القانتين. وقال سعيد: خمسون آية.

قلت: قول كعب أصح، لقوله عليه السلام: (من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين) (٢) خرجه أبو داود

-
- (١) في ز: قال النقاش).
(٢) أي أعطى من الأجر قنطارا.

الطيالسي في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو. وقد ذكرناه في مقدمة الكتاب (١) والحمد لله.

القول الثاني: " فاقراءوا ما تيسر منه " أي فصلوا ما تيسر عليكم، والصلاة تسمى قرآنا، كقوله تعالى: " وقرآن الفجر " أي صلاة الفجر. ابن العربي: وهو الأصح، لأنه عن الصلاة أخبر، وإليها يرجع القول.

قلت: الأول أصح حملا للخطاب على ظاهر اللفظ، والقول الثاني مجاز، فإنه من تسمية

الشيء ببعض ما هو من أعماله.

الخامسة - قال بعض العلماء: قوله تعالى: " فاقراءوا ما تيسر منه " نسخ قيام الليل ونصفه، والنقصان من النصف والزيادة عليه. ثم احتمل قول الله عز وجل: " فاقراءوا ما تيسر منه " معنيين أحدهما أن يكون فرضا ثانيا، لأنه أزيل به فرض غيره. والآخر أن يكون فرضا منسوخا أزيل بغيره كما أزيل به غيره، وذلك لقوله تعالى: " ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا " [الاسراء: ٧٩] فاحتمل قوله تعالى:

" ومن الليل فتهجد به نافلة لك " [الاسراء: ٧٩] أي يتهجد بغير الذي فرض عليه مما تيسر منه. قال

الشافعي: فكان الواجب طلب الاستدلال بالسنة على أحد المعنيين، فوجدنا سنة رسول الله

صلى الله عليه وسلم تدل على أن لا واجب من الصلاة إلا الخمس.

السادسة - قال القشيري أبو نصر: والمشهور أن نسخ قيام الليل كان في حق الأمة، وبقيت الفريضة في حق النبي صلى الله عليه وسلم. وقيل: نسخ التقدير بمقدار، وبقي أصل الوجوب، كقوله تعالى: " فما استيسر من الهدى " [البقرة: ١٩٦] فالهدى لا بد منه، كذلك

لم يكن بد من صلاة الليل، ولكن فوض قدره إلى اختيار المصلي، وعلى هذا فقد قال قوم:

فرض قيام الليل بالقليل باق، وهو مذهب الحسن. وقال قوم: نسخ بالكلية، فلا تجب صلاة الليل أصلا، وهو مذهب الشافعي. ولعل الفريضة التي بقيت في حق النبي صلى الله

عليه وسلم هي هذا، وهو قيامه، ومقداره مفوض إلى خيرته. وإذا ثبت أن القيام ليس فرضا

فقوله تعالى: " فاقراءوا ما تيسر منه " معناه اقرؤوا إن تيسر عليكم ذلك، وصلوا إن شئتم.

وصار قوم إلى أن النسخ بالكلية تقرر في حق النبي صلى الله عليه وسلم أيضا، فما كانت صلاة الليل واجبة عليه. وقوله: " نافلة لك " [الاسراء: ٧٩] محمول على حقيقة النفل. ومن قال: نسخ المقدر وبقي أصل وجوب قيام الليل ثم نسخ، فهذا النسخ الثاني وقع ببيان مواقيت الصلاة، كقوله تعالى: " أقم الصلاة لدلوك الشمس " [الاسراء: ٧٨]، وقوله: " فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون " [الروم: ١٧]، ما في الخبر من أن الزيادة على الصلوات الخمس تطوع. وقيل: وقع النسخ بقوله تعالى: " ومن الليل فتهجد به نافلة لك " [الاسراء: ٧٩] والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وللأمة، كما أن فرضية الصلاة وإن خوطب بها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: " يا أيها المزمل. قم الليل " [المزمل: ١ - ٢] كانت عامة له ولغيره. وقد قيل: إن فريضة الله امتدت إلى ما بعد الهجرة، ونسخت بالمدينة، لقوله تعالى: " علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله "، وإنما فرض القتال بالمدينة، فعلى هذا بيان المواقيت جرى بمكة، فقيام الليل نسخ بقوله تعالى: " ومن الليل فتهجد به نافلة لك " [الاسراء: ٧٩]. وقال ابن عباس: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نسخ قول الله تعالى: " إن ربك يعلم أنك تقوم " وجوب صلاة الليل. السابعة - قوله تعالى: (علم أن سيكون منكم مرضى) الآية، بين سبحانه علة تخفيف قيام الليل، فإن الخلق منهم المريض، ويشق عليهم قيام الليل، ويشق عليهم أن تفوتهم الصلاة، والمسافر في التجارات قد لا يطيق قيام الليل، والمجاهد كذلك، فخفف الله عن الكل لأجل هؤلاء. و " أن " في " أن سيكون " مخففة من الثقيلة، أي علم أنه سيكون. الثامنة - سوى الله تعالى في هذه الآية بين درجة المجاهدين والمكتسبين المال الحلال للنفقة على نفسه وعياله، والاحسان والافضال، فكان هذا دليلا على أن كسب المال

بمنزلة
الجهاد، لأنه جمعه مع الجهاد في سبيل الله. وروى إبراهيم عن علقمة قال: قال رسول
الله
صلى الله عليه وسلم: (ما من جالب يجلب طعاما من بلد إلى بلد فيبيعه بسعر يومه إلا
كانت

منزلته عند الله منزلة الشهداء) ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وآخرون يضربون

في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله " وقال ابن مسعود: أيما رجل جلب شيئاً إلى مدينة من مدائن المسلمين صابراً محتسباً، فباعه بسعر يومه كان له عند

الله منزلة الشهداء. وقرأ " وآخرون يضربون في الأرض " الآية. وقال ابن عمر: ما خلق الله موتة أموتها بعد الموت في سبيل الله أحب إلي من الموت بين شعبتي رحلي، ابتغى من

فضل الله ضارباً في الأرض. وقال طاوس: الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل

الله. وعن بعض السلف أنه كان بواسط، فجهز سفينة حنطة إلى البصرة، وكتب إلى وكيله: بع الطعام يوم تدخل البصرة، ولا تؤخره إلى غد، فوافق سعة في السعر، فقال التجار للوكيل: إن آخرته جمعة ربحت فيه أضعافه، فأخره جمعة فربح فيه أمثاله، فكتب إلى صاحبه بذلك، فكتب إليه صاحب الطعام: يا هذا! إنا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا، وقد جنيت علينا جناية، فإذا أتاك كتابي هذا فخذ المال وتصدق به على

فقراء البصرة، وليتني أنجو من الاحتكار كفافاً لا علي ولا لي. ويروى أن غلاماً من أهل

مكة كان ملازماً للمسجد، فافتقده ابن عمر، فمشى إلى بيته، فقالت أمه: هو علي طعام له

يبيعه، فلقبه فقال له: يا بني! ما لك وللطعام؟ فهلا إبلا، فهلا بقرا، فهلا غنماً! إن صاحب الطعام يحب المحل، وصاحب الماشية يحب الغيث.

التاسعة - قوله تعالى: (فاقرءوا ما تيسر منه) أي صلوا ما أمكن، فأوجب الله من صلاة الليل ما تيسر، ثم نسخ ذلك بإيجاب الصلوات الخمس على ما تقدم. قال ابن العربي

وقد قال قوم: إن فرض قيام الليل سن في ركعتين من هذه الآية، قاله البخاري وغيره، وعقد

باباً ذكر فيه حديث (يعقد الشيطان على قافية (أ) رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب

على كل عقدة مكانها: عليك ليل طويل فارقد. فإن استيقظ فذكر الله أنحلت عقدة، فإن توضأ

أنحلت عقدة، فإن صلى أنحلت عقده كلها، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث

(١) قافية الرأس مؤخره وقيل: وسطه أراد تثقيله في النوم وإطالته.

النفس كسلان) وذكر حديث سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا قال:

(أما الذي يثلغ (١) رأسه بالحجر فإنه يأخذ القرآن فيرفضه (٢)، وينام عن الصلاة المكتوبة). وحديث

عبد الله بن مسعود قال: ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل ينام الليل كله فقال: (ذلك رجل بال الشيطان في أذنيه) فقال ابن العربي: فهذه أحاديث مقتضية حمل مطلق الصلاة على المكتوبة، فيحمل المطلق على المقيد لاحتماله له، وتسقط الدعوى ممن عينه

لقيام الليل. وفي الصحيح واللفظ للبخاري: قال عبد الله بن عمرو: وقال لي رسول الله صلى

الله عليه وسلم: (يا عبد الله لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل فترك قيام الليل) ولو كان

فرضا ما أقره النبي صلى الله عليه وسلم عليه، ولا أخبر بمثل هذا الخبر عنه، بل كان يذمه غاية

الذم، وفي الصحيح عن عبد الله بن عمر قال: كان الرجل في حياة النبي صلى الله عليه وسلم إذا

رأى رؤيا قصها على النبي صلى الله عليه وسلم، وكنت غلاما شابا عزبا، وكنت أنام في المسجد

على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار،

فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان، وإذا فيها ناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار. قال: ولقينا ملك آخر، فقال لي: لم ترع (٣). فقصصتها على حفصة،

فقصصتها حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (نعم الرجل عبد الله لو كان

يصلي من الليل) فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلا، فلو كان ترك القيام معصية لما قال له

الملك: لم ترع. والله أعلم.

العاشرة - إذا ثبت أن قيام الليل ليس بفرض، وأن قوله: " فاقراءوا ما تيسر من القرآن "، " فاقراءوا ما تيسر منه " محمول على ظاهره من القراءة في الصلاة فاختلف العلماء

في قدر ما يلزمه أن يقرأ به في الصلاة، فقال مالك والشافعي: فاتحة الكتاب لا يجزئ العدول

عنها، ولا الاقتصار على بعضها، وقدره أبو حنيفة بآية واحدة، من أي القرآن كانت.
وعنه ثلاث

-
- (١) التلغ: وهو ضربك لشيء الرطب بالشيء اليابس حتى ينشده.
(٢) يرفضه: يتركه.
(٣) لم ترع: لا روع ولا خوف عليك بعد ذلك.

آيات، لأنها أقل سورة. ذكر القول الأول الماوردي والثاني ابن العربي. والصحيح ما ذهب إليه مالك والشافعي، على ما بيناه في سورة " الفاتحة " (١) أول الكتاب والحمد لله. وقيل:

إن المراد به قراءة القرآن في غير الصلاة، قال الماوردي: فعلى هذا يكون مطلق هذا الأمر

محمولاً على الوجوب، أو على الاستحباب دون الوجوب. وهذا قول الأكثرين، لأنه لو وجب

عليه أن يقرأ لوجب عليه أن يحفظه. الثاني أنه محمول على الوجوب، ليقف بقراءته على

إعجازه، وما فيه من دلائل التوحيد وبعث الرسل، ولا يلزمه إذا قرأه وعرف إعجازه ودلائل

التوحيد منه أن يحفظه، لأن حفظ القرآن من القرب المستحبة دون الواجبة. وفي قدر ما تضمنه هذا الأمر من القراءة خمسة أقوال: أحدها جميع القرآن، لأن الله تعالى يسره على

عباده، قاله الضحاك. الثاني ثلث القرآن، حكاة جويرير. الثالث مائتا آية، قاله السدي. الرابع مائة آية، قاله ابن عباس. الخامس ثلاث آيات كأقصر سورة، قاله أبو خالد الكناني.

الحادية عشرة - قوله تعالى: (وأقيموا الصلاة) يعني المفروضة وهي الخمس لوقتها. (وآتوا الزكاة) الواجبة في أموالكم، قاله عكرمة وقتادة. وقال الحارث العكلي: صدقة الفطر لأن زكاة الأموال وجبت بعد ذلك. وقيل: صدقة التطوع. وقيل: كل أفعال الخير. وقال ابن عباس: طاعة الله والاخلاص له.

الثانية عشرة - قوله تعالى: (وأقرضوا الله قرضاً حسناً) القرض الحسن ما قصد به وجه الله تعالى خالصاً من المال الطيب. وقد مضى في سورة " الحديد " (٢) بيانه. وقال زيد

ابن أسلم: القرض الحسن النفقة على الأهل. وقال عمر بن الخطاب: هو النفقة في سبيل الله.

الثالثة عشرة - قوله (٣) تعالى: (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله) (البقرة) (٤). وروي عن عمر بن الخطاب أنه اتخذ حيساً - يعني تمرًا بلبن - فجاءه مسكين فأخذه

ودفعه إليه. فقال بعضهم: ما يدري هذا المسكين ما هذا؟ فقال عمر: لكن رب المسكين يدري

- (١) راجع ج ١ ص ١٢٣.
(٢) راجع ج ١٧ ص ٢٥٢
(٣) جملة: (قوله تعالى) ساقطة من ا، ح، ط.
(٤) راجع ٢ ص ٧٣.

ما هو. وكأنه تأول: " وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا " أي مما
تركتم
وخلفتكم، ومن الشح والتقصير. (وأعظم أجرا) قال أبو هريرة: الجنة، ويحتمل أن يكون
أعظم أجرا، لاعطائه بالحسنة عشرة. ونصب " خيرا وأعظم " على المفعول الثاني ل " -
تجدوه " -
و " هو " : فصل عند البصريين، وعماد في قول الكوفيين، لا محل له من الاعراب. و " -
أجرا " -
تميز. (واستغفروا الله) أي سلوه المغفرة لذنوبكم (إن الله غفور) لما كان قبل التوبة
(رحيم) لكم بعدها، قاله سعيد بن جبير. ختمت السورة (١).
سورة المدثر
مكية في قول الجميع. وهي ست وخمسون آية
بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى: يا أيها المدثر (١) قم فأندر (٢) وربك فكبر (٣)
وثيابك فطهر (٤)
فيه ست مسائل:
الأولى - قوله تعالى: (يا أيها المدثر) أي يا ذا الذي قد تدثر بثيابه، أي تغشى بها
ونام، وأصله المتدثر فأدغمت التاء في الدال لتجانسهما. وقرأ أبي " المتدثر " على
الأصل.
وقال مقاتل: معظم هذه السورة في الوليد بن المغيرة. وفي صحيح مسلم عن جابر بن
عبد الله
وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحدث - قال: قال رسول الله
صلى الله
عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي - قال في حديثه: (فبينما أنا أمشي سمعت
صوتا من
السماء فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالسا على كرسي بين السماء
والأرض).

(١) في ل: (ختمت السورة والحمد لله).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فجئثت (١) منه فرقا، فرجعت فقلت زملوني زملوني،

فدثروني، فأنزل الله تعالى: " يا أيها المدثر. قم فأندر. وربك فكبر. وثيابك فطهر. والرجز

فاهجر ") في رواية - قبل أن تفرض الصلاة - وهي الأوثان قال: (ثم تتابع الوحي).
خرجه الترمذي أيضا وقال: حديث حسن صحيح. قال مسلم: وحدثنا زهير بن حرب،
قال: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: حدثنا الأوزاعي قال: سمعت يحيى يقول: سألت
أبا سلمة: أي القرآن أنزل قبل؟ قال: " يا أيها المدثر " فقلت: أو " أقرأ ". فقال:
سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل قبل؟ قال: " يا أيها المدثر " فقلت: أو " أقرأ "
فقال جابر: أحدثكم ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: (جاورت بحراء
شهرًا،

فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت بطن الوادي، فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن
يميني

وعن شمالي فلم أرا أحدا، ثم نوديت فنظرت فلم أر أحدا، ثم نوديت فرفعت رأسي
فإذا هو على
العرش في الهواء - يعني جبريل صلى الله عليه وسلم - فأخذتني رجفة شديدة، فأتيت
خديجة

فقلت دثروني، فدثروني فصبوا علي ماء، فأنزل الله عز وجل: " يا أيها المدثر. قم
فأنذر. وربك
فكبر وثيابك فطهر " (خرجه البخاري وقال فيه: (فأتيت خديجة فقلت دثروني وصبوا
علي

ماء باردا، فدثروني وصبوا علي ماء باردا فنزلت: " يا أيها المدثر. قم فأندر. وربك
فكبر. وثيابك
فطهر. والرجز فاهجر. ولا تمنن تستكثر "). ابن العربي: وقد قال بعض المفسرين إنه
جرى

على النبي صلى الله عليه وسلم من عقبة [بن ربيعة] (٢) أمر، فرجع إلى منزله مغموما،
فقلق واضطجع،

فنزلت: " يا أيها المدثر " وهذا باطل. وقال القشيري أبو نصر: وقيل بلغه قول كفار
مكة أنت

ساحر، فوجد من ذلك غما وحم، فتدثر بثيابه، فقال الله تعالى: " قم فأندر " أي لا
تفكر في قولهم،
وبلغهم الرسالة.

وقيل: اجتمع أبو لهب وأبو سفيان والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث

وأمية بن خلف والعاص بن وائل ومطعم بن عدي وقالوا: قد اجتمعت وفود العرب
في أيام الحج، وهم يتساءلون عن أمر محمد، وقد اختلفتم في الاخبار عنه، فمن قائل
يقول مجنون،

(١) جئثت أي ذعرت وخفت.

(٢) الزيادة من ابن العربي.

وآخر يقول كاهن، وآخر يقول شاعر، وتعلم العرب أن هذا كله لا يجتمع في رجل واحد، فسموا محمدا باسم واحد يجتمعون عليه، وتسميه العرب به، فقام منهم رجل فقال: شاعر، فقال الوليد: سمعت كلام ابن الأبرص، وأمّية بن أبي الصلت، وما يشبه كلام محمد كلام واحد منهما، فقالوا: كاهن. فقال: الكاهن يصدق ويكذب وما كذب محمد قط، فقام آخر فقال: مجنون، فقال الوليد: المجنون يخنق الناس وما خنق محمد قط. وانصرف الوليد إلى بيته، فقالوا: صبأ الوليد بن المغيرة، فدخل عليه أبو جهل وقال: مالك يا أبا عبد شمس! هذه قريش تجمع لك شيئا يعطونكه، زعموا أنك قد احتجت وصبأت. فقال الوليد: ما لي إلى ذلك حاجة، ولكنني فكرت في محمد، فقلت: ما يكون من الساحر؟ فقيل: يفرق بين الأب وابنه، وبين الأخ وأخيه، وبين المرأة وزوجها، فقلت: إنه ساحر. شاع هذا في الناس وصاحوا يقولون: إن محمدا ساحر. ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته محزوناً فتدثر بقطيفة، ونزلت: "يا أيها المدثر". وقال عكرمة: معنى "يا أيها المدثر" أي المدثر بالنبوة وأثقالها. ابن العربي: وهذا مجاز بعيد، لأنه لم يكن تنبأ بعد. وعلى أنها أول القرآن لم يكن يمكن منها بعد أن كانت ثاني ما نزل.

الثانية - قوله تعالى: "يا أيها المدثر": ملاطفة في الخطاب من الكريم إلى الحبيب إذ ناداه بحاله، وعبر عنه بصفته، ولم يقل يا محمد ويا فلان، ليستشعر اللين والملاطفة من ربه كما تقدم في سورة "المزمل". ومثله قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي إذ نام في المسجد: (قم أبا تراب) وكان خرج مغاضبا لفاطمة رضي الله عنها فسقط رداؤه وأصابه ترابه، خرج مسلما. ومثله قوله عليه الصلاة والسلام لحذيفة ليلة الخندق: (قم يا نومان) وقد تقدم.

الثالثة - قوله تعالى: (قم فأندر) أي خوف أهل مكة وحذرهم العذاب إن لم يسلموا. وقيل: الانذار هنا إعلامهم بنبوته، لأنه مقدمة الرسالة. وقيل: هو دعاؤهم

إلى التوحيد، لأنه المقصود بها. وقال الفراء: قم فصل وأمر بالصلاة.
الرابعة - قوله تعالى: (وربك فكبر) أي سيدك ومالكك ومصلح أمرك فعظم،
وصفه بأنه أكبر من أن يكون له صاحبة أو ولد. وفي حديث أنهم قالوا: بم تفتتح
الصلاة؟

فنزلت: " وربك فكبر " أي وصفه بأنه أكبر. قال ابن العربي: وهذا القول وإن كان يقتضي بعمومه تكبير الصلاة، فإنه مراد به التكبير (١) والتقديس والتنزيه، لخلع الأنداد والأصنام

دونهم، ولا تتخذ وليا غيره، ولا تعبد سواه، ولا ترى لغيره فعلا إلا له، ولا نعمة إلا منه. وقد روى أن أبا سفيان قال يوم أحد: اعل هبل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: [قولوا الله أعلى وأجل] وقد صار هذا اللفظ بعرف الشرع في تكبير العبادات كلها أذانا وصلاة وذكرها بقوله: " الله أكبر " وحمل عليه لفظ النبي صلى الله عليه وسلم الوارد على

الاطلاق في موارد، منها قوله: [تحريمها التكبير، وتحليلها التسليم] والشرع يقتضي بعرفه

ما يقتضي بعمومه، ومن موارد أوقات الأهل بالذبائح لله تخليصا له من الشرك، وإعلانا (٢)

باسمه في النسك، وإفرادا لما شرع منه لامره بالسفك. قلت: قد تقدم في أول سورة " البقرة " (٣) أن هذا اللفظ " الله أكبر " هو المتعبد به في الصلاة، المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم. وفي التفسير: أنه لما نزل قوله تعالى:

" وربك فكبر " قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: [الله أكبر] فكبرت خديجة، وعلمت أنه الوحي من الله تعالى، ذكره القشيري.

الخامسة - الفاء في قوله تعالى: " وربك فكبر " دخلت على معنى جواب الجزاء كما دخلت في (فأنذر) أي قم فأنذر وقم فكبر ربك، قاله الزجاج. وقال ابن جني: هو كقولك زيدا فاضرب، أي زيدا اضرب، فالفاء زائدة.

السادسة - قوله تعالى: (وثيابك فطهر) فيه ثمانية أقوال: أحدهما أن المراد بالثياب العمل. الثاني القلب. الثالث النفس. الرابع الجسم. الخامس الأهل. السادس الخلق. السابع الدين. الثامن الثياب الملبوسات على الظاهر. فمن ذهب إلى القول الأول

(١) كذا في أحكام القرآن تفسيرا ابن العربي المطبوع بالقاهرة سنة ١٣٣١ هـ. وفيما نقله المؤلف عن ابن العربي هنا تصرف في اللفظ بزيادة ونقص فليراجع (ج ٢ / ٢٨٧).
(٢) كذا في أحكام القرآن وفي ح، ز، و: (إعلاما) بالميم.
(٣) راجع ج ١ ص ١٧٥.

قال: تأويل الآية وعملك فأصلح، قال مجاهد وابن زيد. وروى منصور عن أبي رزين قال: يقول وعملك فأصلح، قال: وإذا كان الرجل خبيث العمل قالوا إن فلانا خبيث الثياب، وإذا كان حسن العمل قالوا إن فلانا طاهر الثياب، ونحوه عن السدي. ومنه قول الشاعر:

لا هم إن عامر بن جهم * أو ذم حجا في ثياب دسم (١)
ومنه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: [يحشر المرء (٢) في ثوبه اللذين مات

عليهما] يعني عمله الصالح والطالح، ذكره الماوردي. ومن ذهب إلى القول الثاني قال: إن تأويل الآية وقلبك فطهر، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير، دليله قول امرئ القيس:

* فسلي ثيابي من ثيابك تنسل (٣) *
أي قلبي من قلبك. قال الماوردي: ولهم في تأويل الآية وجهان: أحدهما - معناه وقلبك فطهر من الاثم والمعاصي، قاله ابن عباس وقتادة. الثاني - وقلبك فطهر من الغدر، أي لا تغدر فتكون دنس الثياب. وهذا مروى عن ابن عباس، واستشهد بقول غيلان بن سلمة الثقفي:

فإني بحمد الله لا ثوب فاجر * لبست ولا من غدره أتقنع
ومن ذهب إلى القول الثالث قال: تأويل الآية ونفسك فطهر، أي من الذنوب. والعرب تكني عن النفس بالثياب، قاله ابن عباس. ومنه قول عنتره:

فشككت بالرمح الطويل ثيابه * ليس الكريم على القنا بمحرم
وقال امرؤ القيس:

* فسلي ثيابي من ثيابك تنسل *

(١) ثياب دسم: متلطخة بالذنوب. وفي، ح، ز: (أو دم) بالبدال المهملة وهو تحريف. ومعنى البيت: أنه حج وهو متدنس بالذنوب. وأوذم الحج: أوجبه.

(٢) في ا، ح: (المؤمن).

(٣) صدر البيت: * وإن كنت قد ساءتكم مني خليقة *

وقال (١):

ثياب بني عوف طهارى نقيه* وأوجههم بيض المسافر غران
أي أنفس بني عوف. ومن ذهب إلى القول الرابع قال: تأويل الآية وجسمك فطهر،
أي عن المعاصي الظاهرة. ومما جاء عن العرب في الكناية عن الجسم بالثياب قول
ليلي،
وذكرت إبلا:

رموها بأثياب خفاف فلا ترى* لها شبهها إلا النعام المنفرا
أي ركبوها فرموها بأنفسهم. ومن ذهب إلى القول الخامس قال: تأويل الآية وأهلك
فطهرهم من الخطايا بالوعظ والتأديب، والعرب تسمى الأهل ثوبا ولباسا وإزارا، قال
الله تعالى: " هن لباس لكم وأنتم لباس لهن " [البقرة: ١٨٧]. الماوردي: ولهم في
تأويل الآية وجهان:

أحدهما - معناه ونساءك فطهر، باختيار المؤمنات العفاف. الثاني - الاستمتاع بهن
في القبل دون الدبر، في الطهر لا في الحيض. حكاه ابن بحر. ومن ذهب إلى القول
السادس قال: تأويل الآية وخلقتك فحسن. قاله الحسن والقرظي، لان خلق الانسان
مشمتم على أحواله اشتمال ثيابه على نفسه. وقال الشاعر:

ويحيى لا يلام بسوء خلق* ويحيى طاهر الأثواب حر
أي حسن الأخلاق. ومن ذهب إلى القول السابع قال: تأويل الآية ودينك فطهر.
وفي الصحيحين عنه عليه السلام قال: (ورأيت الناس وعليهم ثياب، منها ما يبلغ الثدي،
ومنها

ما دون ذلك، ورأيت عمر بن الخطاب وعليه إزار يجره). قالوا: يا رسول الله فما
أولت

ذلك؟ قال: الدين. وروى ابن وهب عن مالك أنه قال: ما يعجبني أن أقرأ القرآن
إلا في الصلاة والمساجد لا في الطريق، قال الله تعالى: " وثيابك فطهر " يريد مالك أنه
كنى عن الثياب بالدين. وقد روى عبد الله بن نافع عن أبي بكر بن عبد العزيز بن عبد
الله

(١) نسب المؤلف هذا البيت فيما سيأتي لابن أبي كبشة مرة ولامرئ القيس مرة أخرى وفي (اللسان)
و (شرح القاموس) أنه لامرئ القيس ولم نعثر عليه في ديوانه وقد نسبه ابن العربي لابن أبي كبشة. والشطرنج
الأخير في ا، ز، ح، ط: * وأوجههم عند المشاهد غران*

ابن عمر بن الخطاب عن مالك بن أنس في قوله تعالى: " وثيابك فطهر " أي لا تلبسها على غدره، ومنه قول أبي كبشة (١):

ثياب بني عوف طهارى نقيه * وأوجههم بيض المسافر غران
يعني بطهارة ثيابهم: سلامتهم من الدنئات، ويعني بغرة وجوههم تنزيهم عن المحرمات،

أو جمالهم في الخلقة أو كليهما، قاله ابن العربي. وقال سفيان بن عيينة: لا تلبس ثيابك على كذب ولا جور ولا غدر ولا إثم، قاله عكرمة. ومنه قول الشاعر:

* أو ذم حجا في ثياب دسم *
أي قد دنسها بالمعاصي. وقال النابغة:

رقاق النعال طيب حجاتهم * يحيون بالريحان يوم السباسب (٢)
ومن ذهب إلى القول الثامن قال: إن المراد بها الثياب الملبوسات، فلهم في تأويله أربعة أوجه: أحدهما - معناه وثيابك فأنق، ومنه قول امرئ القيس:

* ثياب بني عوف طهارى نقيه *
الثاني - وثيابك فشمرو وقصر، فإن تقصير الثياب أبعد من النجاسة، فإذا انجرت على الأرض لم يؤمن أن يصيبها ما ينجسها، قاله الزجاج وطاوس. الثالث - " وثيابك فطهر "

من النجاسة بالماء، قاله محمد بن سيرين وابن زيد والفقهاء. الرابع - لا تلبس ثيابك إلا من كسب حلال لتكون مطهرة من الحرام. وعن ابن عباس: لا تكن ثيابك التي تلبس من مكسب غير طاهر. ابن العربي وذكر بعض ما ذكرناه: ليس بممتنع أن تحمل الآية على عموم المراد فيها بالحقيقة والمجاز، وإذا حملناها على الثياب المعلومه الطاهرة فهي تتناول معنيين: أحدهما - تقصير الأذيال، لأنها إذا أرسلت تدنست، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لغلام من الأنصار وقد رأى ذيله مسترخيا: ارفع إزارك فإنه أتقى وأنقى وأبقى.

(١) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٦٢ من هذا الجزء.

(٢) البيت من قصيدة مدح بها عمرو بن الحارث الغساني. وأراد براق النعال أنهم ملوك لا يخصفون نعالهم وبطيب حجاتهم عفتهم. والسباسب يوم (الشعانين) وهو يوم عيد عند النصارى وكان الممدوح نصرانيا.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إزره المؤمن (١) إلى أنصاف ساقيه، لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين، وما كان أسفل من ذلك ففي النار " فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الغاية في لباس الإزار الكعب وتوعد ما تحته بالنار، فما بال رجال يرسلون أذيالهم، ويظيلون ثيابهم، ثم يتكلفون رفعها بأيديهم، وهذه حالة الكبر، وقائدة العجب، [وأشد ما في الأمر أنهم يعصون وينجسون ويلحقون أنفسهم] (٢) بمن لم يجعل الله معه غيره ولا ألحق به سواه.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: [لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء] ولفظ الصحيح: " من جر إزاره خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة ". قال أبو بكر: يا رسول الله! إن أحد شقي إزاري يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لست ممن يصنعه خيلاء) فعم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنهي، واستثنى الصديق، فأراد الأذنياء إلحاق أنفسهم بالرفعاء (٣)، وليس ذلك لهم. والمعنى الثاني - غسلها من النجاسة وهو ظاهر منها، صحيح فيها. المهدوي: وبه استدل بعض العلماء على وجوب طهارة الثوب، قال ابن سيرين وابن زيد: لا تصل إلا في ثوب طاهر. واحتج بها الشافعي على وجوب طهارة الثوب. وليست عند مالك وأهل المدينة بفرض، وكذلك طهارة البدن، ويدل على ذلك الإجماع على جواز الصلاة بالاستجمار من غير غسل. وقد مضى هذا القول في سورة " براءة " (٤) مستوفى.

قوله تعالى: الرجز فاهجر (٥)

قوله تعالى: (والرجز فاهجر) قال مجاهد وعكرمة: يعني الأوثان، دليله قوله تعالى: " فاجتنبوا الرجس من الأوثان " [الحج: ٣٠]. قال ابن عباس وابن زيد. وعن ابن عباس أيضا:

والمأثم فاهجر، أي فاترك. وكذا روى مغيرة عن إبراهيم النخعي قال: الرجز الاثم. وقال قتادة: الرجز: إساف ونائلة، صنمان كانا عند البيت. وقيل: الرجز العذاب، على تقدير حذف

-
- (١) الإزرة بالكسر: الحالة وهيئة الائتزار.
(٢) الزيادة من ابن العربي (ج ٢ / ٢٨٨) طبع
السعادة بالقاهرة.
(٣) في ابن العربي: بالأقصياء.
(٤) راجع ج ٨ ص ٦٣.

المضاف، المعنى: وعمل الرجز فاهجر، أو العمل المؤدي إلى العذاب. وأصل الرجز العذاب،
قال الله تعالى: " لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك " [الأعراف: ١٣٤]. وقال تعالى: " فأرسلنا عليهم رجزا من السماء " [الأعراف: ١٦٢]. فسميت الأوثان رجزا، لأنها تؤدي إلى العذاب. وقراءة العامة " الرجز " بكسر الراء. وقرأ الحسن وعكرمة ومجاهد وابن محيصن وحفص عن عاصم " والرجز " بضم الراء وهما لغتان مثل الذكر والذكر. وقال أبو العالية والربيع والكسائي: الرجز بالضم: الصنم، وبالكسر: النجاسة والمعصية. وقال الكسائي أيضا: بالضم: الوثن، وبالكسر: العذاب. وقال السدي: الرجز ينصب الراء: الوعيد (١). قوله تعالى: ولا تمنن تستكثر (٦) فيه ثلاث مسائل:
الأولى - قوله تعالى: " ولا تمنن تستكثر " فيه أحد عشر (٢) تأويلا، الأول - لا تمنن على ربك بما تتحملة من أثقال النبوة، كالذي يستكثر ما يتحملة بسبب الغير. الثاني - لا تعط عطية تلتمس بها أفضل منها، قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة. قال الضحاك: هذا حرمه الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه مأمور بأشرف الآداب وأجل الأخلاق، وأباحه لامته، وقاله مجاهد. الثالث - عن مجاهد أيضا: لا تضعف (٣) أن تستكثر من الخير، من قولك حبل منين إذا كان ضعيفا، ودليله قراءة ابن مسعود " ولا تمنن تستكثر من الخير ". الرابع - عن مجاهد أيضا والربيع: لا تعظم عملك في عينك أن تستكثر من الخير، فإنه مما أنعم الله عليك. قال ابن كيسان: لا تستكثر عملك فتراه من نفسك، إنما عملك منة من الله عليك، إذ جعل الله لك سبيلا إلى عبادته. الخامس - قال الحسن: لا تمنن على الله بعملك فتستكثره. السادس - لا تمنن بالنبوة والقرآن على الناس فتأخذ منهم أجرا تستكثر به. السابع - قال القرظي: لا تعط مالك مصانعة. الثامن - قال زيد بن أسلم: إذا

- (١) قوله (بنصب الراء...) كذا في نسخ الأصل ولم نظفر به في المراجع التي بأيدينا.
(٢) ١، ح: (فيه عشر تأويلات).
(٣) عبارة ابن العربي في أحكام القرآن (٢ / ٢٨٨):
ولا تضعف عن الخير أن تستكثر منه.

أعطيت عطية فأعطها لربك. التاسع - لا تقل دعوت فلم يستجب لي. العاشر - لا تعمل

طاعة وتطلب ثوابها، ولكن اصبر حتى يكون الله هو الذي يثيبك عليها. الحادي عشر -

لا تفعل الخير لتراخي به الناس.

الثانية - هذه الأقوال وإن كانت مرادة فأظهرها قول ابن عباس: لا تعط لتأخذ أكثر مما أعطيت من المال، يقال: مننت فلانا كذا أي أعطيته. ويقال للعطية المنة، فكأنه أمر بأن تكون عطياه لله، لا لارتقاب ثواب من الخلق عليها، لأنه عليه السلام ما كان يجمع الدنيا، ولهذا قال: [ما لي مما أفاء الله عليكم إلا الخمس والخمس مردود

عليكم]. وكان ما يفضل من نفقة عياله مصروفا إلى مصالح المسلمين، ولهذا لم يورث، لأنه

كان لا يملك لنفسه الادخار والاقتناء، وقد عصمه الله تعالى عن الرغبة في شيء من الدنيا،

ولذلك (١) حرمت عليه الصدقة وأبيحت له الهدية، فكان يقبلها ويثيب عليها. وقال: [لو دعيت إلى كراع (٢) لأجبت ولو أهدي إلى ذراع لقبلت] ابن العربي: وكان يقبلها سنة ولا يستكثرها شرعة، وإذا كان لا يعطي عطية يستكثر بها فالأغنياء أولى بالاجتناب،

لأنها باب من أبواب المذلة، وكذلك قول من قال: إن معناها لا تعطي عطية تنتظر ثوابها،

فإن الانتظار تعلق بالاطماع، وذلك في حيزه بحكم الامتناع، وقد قال الله تعالى له: "ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك

خير وأبقى" [طه: ١٣١]. وذلك جائز لسائر الخلق، لأنه من متاع الدنيا، وطلب الكسب والتكاثر بها.

وأما من قال أراد به العمل أي لا تمنن بعملك على الله فتستكثره فهو صحيح، فإن ابن آدم

لو أطاع الله عمره من غير فتور لما بلغ لنعم الله بعض الشكر.

الثالثة - قوله تعالى: "ولا تمنن" قراءة العامة بإظهار التضعيف. وقرأ أبو السمال العدوي وأشهب العقيلي والحسن "ولا تمن" مدغمة مفتوحة. "تستكثر": قراءة العامة

- (١) في، ا ح، ز، ط: (ولهذا).
- (٢) الكراع بوزن غراب: وهو مستدق الساق من الرجل.
وهو من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس والبعير.

بالرفع وهو في معنى الحال، تقول: جاء زيد يركض أي راكضاً، أي لا تعط شيئاً مقدرًا أن تأخذ بدله ما هو أكثر منه. وقرأ الحسن بالجزم على جواب النهي وهو ردئ، لأنه ليس بجواب. ويجوز أن يكون بدلاً من "تمنن" كأنه قال: لا تستكثر. وأنكره أبو حاتم

وقال: لأن المن ليس بالاستكثر فيبدل منه. ويحتمل أن يكون سكن تخفيفاً كعضد. أو أن يعتبر حال الوقف. وقرأ الأعمش ويحيى "تستكثر" بالنصب، توهم لام كي، كأنه قال: ولا تمنن لتستكثر. وقيل: هو بإضمار "أن" كقوله: (١) (ألا أي هذا الزاجري أحضر الوغى)

ويؤيده قراءة ابن مسعود "ولا تمنن أن تستكثر". قال الكسائي: فإذا حذف "أن" رفع وكان المعنى واحداً. وقد يكون المن بمعنى التعداد على المنعم عليه بالنعم، فيرجع إلى

القول [الثاني] (٢)، ويعضده قوله تعالى: "لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى" [البقرة: ٢٦٤] وقد يكون

مراداً في هذه الآية. والله أعلم.

قوله تعالى: ولربك فاصبر (٧)

قوله تعالى: (ولربك فاصبر) أي ولسيدك ومالكك فاصبر على أداء فرائضه وعبادته. وقال مجاهد: على ما أوديت (٣). وقال ابن زيد: حملت أمراً عظيماً، محاربة العرب والعجم،

فاصبر عليه لله. وقيل: فاصبر تحت موارد القضاء لأجل الله تعالى. وقيل: فاصبر على البلوى، لأنه يمتحن أوليائه وأصفياءه. وقيل: على أوامره ونواهيه. وقيل: على فراق الأهل والأوطان.

قوله تعالى: فإذا نقر في الناقور (٨) فذلك يومئذ يوم

عسير (٩) على الكافرين غير يسير (١٠)

(١) البيت لطرفة بن العبد من معلقته وتماهه: * وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي *

(٢) زيادة يقتضيها المعنى.

(٣) في ا، ح، ل: (ما أديت).

قوله تعالى: (فإذا نقر في الناقور) إذا نفخ في الصور. والناقور: فاعول من النقر، كأنه الذي من شأنه أن ينقر فيه للتصويت، والنقر في كلام العرب: الصوت، ومنه قول امرئ القيس.

أخفضه بالنقر لما علوته * ويرفع طرفا غير خاف غضيض وهم يقولون: نقر باسم الرجل إذ دعاه مختصا له بدعائه. وقال مجاهد وغيره: هو كهيئة البوق، ويعني به النفخة الثانية. وقيل: الأولى، لأنها أول الشدة الهائلة العامة. وقد مضى الكلام في هذا مستوفى في " النمل " (١) و " الانعام " (٢) وفي كتاب " التذكرة "، والحمد لله.

وعن أبي حبان قال: أمنا زرارة بن أوفى فلما بلغ " فإذا نقر في الناقور " خر ميتا. (فذلك يومئذ يوم عسير) أي فذلك اليوم يوم شديد (على الكافرين) أي على من كفر بالله وبأنبيائه صلى الله عليهم (غير يسير) أي غير سهل ولا هين، وذلك أن عقدهم لا تنحل

إلا إلى عقدة أشد منها، بخلاف المؤمنين الموحدين المذنبين فإنها تنحل إلى ما هو أخف منها

حتى يدخلوا الجنة برحمة الله تعالى. و (يومئذ) نصب على تقدير فذلك يوم عسير يومئذ.

وقيل: جر بتقدير حرف جر مجازه: فذلك في يومئذ. وقيل: يجوز أن يكون رفعا إلا أنه

بنى على الفتح لإضافته إلى غير متمكن.

قوله تعالى: ذرني ومن خلقت وحيدا (١١) وجعلت له مالا

ممدودا (١٢) وبنين شهودا (١٣) ومهدت له تمهيدا (١٤) ثم يطمع

أن أزيد (١٥) كلا إنه كان لآياتنا عنيدا (١٦) سأرهقه صعودا (١٧)

قوله تعالى: (ذرني ومن خلقت وحيدا) (ذرني) أي دعني، وهي كلمة وعيد

وتهديد. " ومن خلقت " أي دعني والذي خلقتة وحيدا، ف " - وحيدا " على هذا

حال من

ضمير المفعول المحذوف، أي خلقتة وحده، لا مال له ولا ولد، ثم أعطيته بعد ذلك ما أعطيته.

(١) راجع ج ١٣ ص ٣٣٩.

(٢) راجع ج ٧ ص ٣٠.

والمفسرون على أنه الوليد بن المغيرة المخزومي، وإن كان الناس خلقوا مثل خلقه.
وإنما خص بالذكر لاختصاصه بكفر النعمة وإيذاء الرسول عليه السلام، وكان يسمى الوحيد في قومه.
قال ابن عباس: كان الوليد يقول: أنا الوحيد بن الوحيد، ليس لي في العرب نظير، ولا لأبي المغيرة نظير، وكان يسمى الوحيد، فقال الله تعالى: " ذرني ومن خلقت " بزعمه " وحيدا " لا أن الله تعالى صدقه بأنه وحيد. وقال قوم: إن قوله تعالى: " وحيدا " يرجع إلى الرب تعالى على معنيين: أحدهما: ذرني وحدي معه فأنا أجزيك في الانتقام منه عن كل منتقم. والثاني: أنني انفردت (١) بخلقه ولم يشركني فيه أحد، فأنا أهلكه ولا أحتاج إلى ناصر في إهلاكه، ف " - وحيدا " على هذا حال من ضمير الفاعل، وهو التاء في " خلقت " والأول قول مجاهد، أي خلقتة وحيدا في بطن أمه لا مال له ولا ولد، فأنعمت عليه فكفر، فقوله: " وحيدا " على هذا يرجع إلى الوليد، أي لم يكن له (٢) شيء فملكته. وقيل: أراد بذلك ليدله على أنه يبعث وحيدا كما خلق وحيدا. وقيل: الوحيد الذي لا يعرف (٣) أبوه، وكان الوليد معروفا بأنه دعوي، كما ذكرنا في قوله تعالى: " عتل بعد ذلك زنيم " [القلم: ١٣] وهو في صفة الوليد أيضا. قوله تعالى: (وجعلت له مالا ممدودا) أي خولته وأعطيته مالا ممدودا، وهو ما كان للوليد بين مكة والطائف من الإبل والحجور (٤) والنعم والجنان والعييد والجواري، كذا كان ابن عباس يقول: وقال مجاهد: غلة ألف دينار، قاله سعيد بن جبير وابن عباس أيضا. وقال قتادة: ستة آلاف دينار. وقال سفيان الثوري وقتادة: أربعة آلاف دينار. الثوري أيضا: ألف ألف دينار. مقاتل: كان له بستان لا ينقطع خيره شتاء ولا صيفا. وقال عمر رضي الله عنه: " وجعلت له مالا ممدودا " غلة شهر بشهر. النعمان بن سالم: أرضا يزرع فيها. القشيري: والأظهر أنه إشارة إلى ما لا ينقطع رزقه، بل يتوالى كالزرع

والضرع والتجارة.

-
- (١) في ا، ح، و: (أفردت).
(٢) كلمة (له) ساقطة من ا، ح، ل.
(٣) في ز، ط، ل: (لا يتبين).
(٤) جمع حجرة وهي الأنتى من الخيل.

قوله تعالى: (وبنين شهودا) أي حضورا لا يغيبون عنه في تصرف. قال مجاهد وقتادة: كانوا عشرة. وقيل: اثنا عشر، قاله السدي والضحاك. قال الضحاك: سبعة ولدوا بمكة وخمسة ولدوا بالطائف. وقال سعيد بن جبير: كانوا ثلاثة عشر ولدا. مقاتل:

كانوا سبعة كلهم رجال، أسلم منهم ثلاثة: خالد وهشام والوليد بن الوليد. قال: فما زال الوليد

بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك. وقيل: شهودا، أي إذا ذكر ذكروا

معه، قاله ابن عباس. وقيل: شهودا، أي قد صاروا مثله في شهود ما كان يشهده، والقيام

بما كان يباشره. والأول قول السدي، أي حاضرين مكة لا يظعنون عنه في تجارة ولا يغيبون.

قوله تعالى: (ومهدت له تمهيدا) أي بسطت له في العيش بسطا، حتى أقام ببلدته مطمئنا مترفها يرجع إلى رأيه. والتمهيد عند العرب: التوطئة والتهيئة، ومنه مهد الصبي. وقال

ابن عباس: " ومهدت له تمهيدا " أي وسعت له ما بين اليمن والشام وقاله مجاهد. وعن مجاهد أيضا في " ومهدت له تمهيدا " أنه المال بعضه فوق بعض كما يمهد الفراش.

قوله تعالى: (ثم يطمع أن أزيد) أي ثم إن الوليد يطمع بعد هذا كله أن أزيده في المال والولد. (كلا) أي ليس يكون ذلك مع كفره بالنعم. وقال الحسن وغيره: أي ثم يطمع أن أدخله الجنة، وكان الوليد يقول: إن كان محمد صادقا فما خلقت الجنة إلا لي،

فقال الله تعالى ردا عليه وتكذيبا له: " كلا " أي لست أزيده، فلم يزل يرى النقصان في ماله وولده حتى هلك. و " ثم " في قوله تعالى: " ثم يطمع " ليست بثم التي للنسق ولكنها

تعجيب، وهي كقوله تعالى: " وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون [الانعام: ١]

وذلك كما تقول: أعطيتك ثم أنت تجفوني، كالمتعجب من ذلك. وقيل يطمع أن أترك ذلك في عقبه، وذلك أنه كان يقول: إن محمدا مبتور، أي أبتور وينقطع ذكره بموته. وكان

يظن أن ما رزق لا ينقطع بموته. وقيل: أي ثم يطمع أن أنصره على كفره. و " كلا " قطع للرجاء عما كان يطمع فيه من الزيادة، فيكون متصلا بالكلام الأول. وقيل: " كلا "

بمعنى حقا ويكون ابتداء " إنه " يعني الوليد " كان لآياتنا عنيدا " أي معاندا للنبي صلى
الله

عليه وسلم وما جاء به، يقال: عاند فهو عنيد مثل جالس فهو جليس، قاله مجاهد.
وعند يعند بالكسر أي خالف ورد الحق وهو يعرفه فهو عنيد وعاند. والعاوند: البعير
الذي

يحور عن الطريق ويعدل عن القصد والجمع عند مثل راعع وررع، وأنشد أبو عبيدة
قول الحارثي:

إذا ركبت فاجعلاني وسطا (١) * إنني كبير لا أطيق العندا
وقال أبو صالح: " عنيدا " معناه مباعدا، قال الشاعر:

أرانا على حال تفرق بيننا * نوى غربة (٢) إن الفراق عنود

قتادة: جاحدا. مقاتل: معرضا. ابن عباس: جحودا. وقيل: إنه المجاهر بعدوانه.

وعن مجاهد أيضا قال: مجانبا للحق معاندا له معرضا عنه. والمعنى كله متقارب.
والعرب

تقول: عند الرجل إذا عتا وجاوز قدره. والعنود من الإبل: الذي لا يخالط الإبل، إنما
هو

في ناحية. ورجل عنود إذا كان يحل وحده لا يخالط الناس. والعنيد من التجبر. وعرق
عاند: إذا لم يرقأ دمه، كل هذا قياس واحد وقد مضى في سورة " إبراهيم " (٣).

وجمع العنيد

عند، مثل رغيف ورغف.

قوله تعالى: " سأرهقه " أي سأكلفه. وكان ابن عباس يقول: سألجئه، والارهاق

في كلام العرب: أن يحمل الانسان على الشيء. " صعودا " (الصعود: جبل من نار

يتصعد فيه

سبعين خريفا ثم يهوي كذلك فيه أبدا) رواه أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه
وسلم،

خرجه الترمذي وقال فيه حديث غريب. وروى عطية عن أبي سعيد قال: صخرة في

جهنم إذا

وضعوا عليها أيديهم ذابت فإذا رفعوها عادت، قال: فيبلغ أعلاها في أربعين سنة يجذب

من

أمامه بسلاسل ويضرب من خلفه بمقامع، حتى إذا بلغ أعلاها رمى به إلى أسفلها،

فذلك

دأبه أبدا. وقد مضى هذا المعنى في سورة " قل أوحى " (٤) [الجن: ١] وفي التفسير:

أنه صخرة ملساء

(١) رواية لسان العرب: * إذا رحلت فاجعلوني وسطا *

(٢) نوى غربة: بعيدة.

(٣) راجع ج ٩ ص ٣٤٩.
(٤) راجع ص ٢٨ من هذا الجزء.

يكلف صعودها فإذا صار في أعلاها حدر في جهنم، فيقوم يهوي ألف عام من قبل أن يبلغ قرار جهنم، يحترق في كل يوم سبعين مرة ثم يعاد خلقا جديدا. وقال ابن عباس: المعنى سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة له فيه. ونحوه عن الحسن وقتادة. وقيل: إنه تصاعد نفسه للنزاع وإن لم يتعقبه موت، ليعذب من داخل جسده كما يعذب من خارجه. قوله تعالى: إنه فكر وقدر (١٨) فقتل كيف قدر (١٩) ثم قتل كيف قدر (٢٠) ثم نظر (٢١) ثم عبس وبسر (٢٢) ثم أدبر واستكبر (٢٣) فقال إن هذا إلا سحر يؤثر (٢٤) إن هذا إلا قول البشر (٢٥) قوله تعالى: (إنه فكر وقدر) يعني الوليد فكر في شأن النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن و " قدر " أي هيا الكلام في نفسه، والعرب تقول: قدرت الشيء إذا هيأته، وذلك أنه لما نزل: " حم. تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم " [غافر: ١] إلى قوله: " إليه المصير " سمعه الوليد يقرأها فقال: والله لقد سمعت منه كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وما يقول هذا بشر. فقالت قريش: صبا الوليد لتصبون قريش كلها. وكان يقال للوليد ريحانة قريش، فقال أبو جهل: أنا أكفيكموه. فمضى إليه حزينا؟ فقال له: مالي أراك حزينا. فقال له: ومالي لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك بها على كبر سنك ويزعمون أنك زينت كلام محمد، وتدخل على ابن أبي كبشة وابن أبي قحافة لتنال من فضل طعامهما، فغضب الوليد وتكبر، وقال: أنا أحتاج إلى كسر محمد وصاحبه، فأنتم تعرفون قدر مالي، واللوات والعزى ما بي حاجة إلى ذلك، وإنما أنتم تزعمون أن محمدا مجنون، فهل رأيتموه قط يخنق؟ قالوا: لا والله، قال: وتزعمون أنه شاعر، فهل رأيتموه نطق بشعر قط؟ قالوا: لا والله. قال: فتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه كذبا قط؟ قالوا: لا والله.

قال: فتزعمون أنه كاهن فهل رأيتموه تكهن قط، ولقد رأينا للكهنة أسجعا وتخالجا
فهل (١)

رأيتموه كذلك؟ قالوا: لا والله. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمى الصادق الأمين
من

كثرة صدقه. فقالت قريش للوليد: فما هو؟ ففكر في نفسه، ثم نظر، ثم عبس، فقال:
ما هو إلا ساحر! أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه؟! فذلك قوله تعالى:
" إنه فكر " أي في أمر محمد والقرآن " وقدر " في نفسه ماذا يمكنه أن يقول فيهما. " فقتل "

أي لعن. وكان بعض أهل التأويل يقول: معناها فقهر وغلب، وكل مدلل مقتل،
قال الشاعر (٢)

وما ذرفت عينك إلا لتقدحي * بسهميك في أعشار قلب مقتل
وقال الزهري: عذب، وهو من باب الدعاء. " كيف قدر " قال ناس: " كيف " تعجيب،

كما يقال للرجل تتعجب من صنيعه: كيف فعلت هذا؟ وذلك كقوله: " انظر كيف
ضربوا لك الأمثال " [الاسراء: ٤٨]. " ثم قتل " أي لعن لعنا بعد لعن. وقيل: فقتل
بضرب من

العقوبة، ثم قتل بضرب آخر من العقوبة " كيف قدر " أي على أي حال قدر. (ثم نظر)
بأي شيء يرد الحق ويدفعه. (ثم عبس) أي قطب بين عينيه في وجوه المؤمنين، وذلك
أنه لما حمل قريشا على ما حملهم عليه من القول في محمد صلى الله عليه وسلم بأنه
ساحر، مر

على جماعة من المسلمين، فدعوه إلى الاسلام، فعبس في وجوههم.. قيل: عبس وبسر
على

النبي صلى الله عليه وسلم حين دعاه. والعبس مخففا (٣) مصدر عبس يعبس عبسا
وعبوسا: إذا

قطب. والعبس ما يتعلق بأذنان الإبل من أبعادها وأبوالها قال أبو النجم:
كأن في أذناهن الشول * من عبس الصيف قرون الأيل
(وبسر) أي كلح وجهه وتغير لونه، قاله قتادة والسدي، ومنه قول بشر بن أبي حازم:
صبحنا تميما غداة الجفار (٤) * بشهباء ملمومة باسره

(١) تخلج المجنون في مشيته: تجاذب يميناً وشمالاً.

(٢) هو امرؤ القيس.

(٣) كلمة: (مخففا) ساقطة من الأصل المطبوع.

(٤) الجفار: موضع. وقيل هو ماء لبني تميم.



(٧٥)

وقال آخر (١):

وقد رابني منها صدود رأيته * وإعراضها عن حاجتي وبسورها
وقيل: إن ظهور العبوس في الوجه بعد المحاورة، وظهور البسور في الوجه قبل
المحاورة.
وقال قوم: " بسر " وقف لا يتقدم ولا يتأخر. قالوا: وكذلك يقول أهل اليمن إذا وقف
المركب،

فلم يجئ ولم يذهب: قد بسر المركب، وأبسر أي وقف وقد أبسرنا. والعرب تقول:
وجه باسر

بين البسور: إذا تغير واسود. " ثم أدبر " أي ولى وأعرض ذاهبا إلى أهله. " واستكبر "
أي تعظم عن أن يؤمن. وقيل: أدبر عن الايمان واستكبر حين دعي إليه. " فقال إن
هذا " أي ما هذا الذي أتى به محمد صلى الله عليه وسلم " إلا سحر يؤثر " أي يآثره
عن غيره.

والسحر: الخديعة. وقد تقدم بيانه في سورة (البقرة) (٢). وقال قوم: السحر: إظهار
الباطل

في صورة الحق. والاثرة: مصدر قولك: أثرت الحديد آثره إذا ذكرته عن غيرك، ومنه
قيل: حديث مأثور: أي ينقله خلف عن سلف، قال امرؤ القيس:
ولو عن نثا غيره جاءني * وجرح اللسان كجرح اليد
لقلت من القول ما لا يزال * يؤثر عني يد المسند
يريد: آخر الدهر، وقال الأعشى:

إن الذي فيه تماريتما (٤) * بين للسامع والآثر

ويروى: بين. (إن هذا إلا قول البشر) أي ما هذا إلا كلام المخلوقين، يختدع به
القلوب

كما تختدع بالسحر، قال السدي: يعنون أنه من قول سيار (٥) عبد لبني الحضرمي،
كان يجالس النبي

(١) هو توبة بن الحمير. وزاد بعض النسخ بعد هذا البيت ما يأتي كحاشية: قوله (بشهباء): أراد بكتيبة شهباء
ومنه قول عنتره:

وكتيبة لبستها بكتيبة * شهباء باسلة يخاف رداها

ويقال: كتيبة ململمة وملمومة أيضا أي محتمة مضموم بعضها إلى بعض. وصخرة ملمومة وململمة أي
مستديرة

صلية قاله الجوهري.

(٢) راجع ٢ ص ٤٣.

(٣) يقول: لو أتاني هذا النبأ عن حديث غيره

لقلت قولاً يشيع في الناس ويؤثر عني آخر الدهر. والنثا: ما يحدث به من خير وشر. والمسند: الدهر.

(٤) الذي في ديوان الأعشى طبع أوربا: (تداريما).
(٥) في ز: (من قول أبي اليسر سيار).

صلى الله عليه وسلم، فنسبوه إلى أنه تعلم منه ذلك. وقيل: أراد أنه تلقنه من أهل بابل. وقيل:

عن مسيلمة. وقيل: عن عدي الحضرمي الكاهن. وقيل: إنما تلقنه ممن ادعى النبوة قبله،

فنسج على منوالهم. قال أبو سعيد الضرير: إن هذا إلا أمر سحر يؤثر، أي يورث. قوله تعالى: سأصليه سقر (٢٦) وما أدراك ما سقر (٢٧) لا تبقى ولا تذر (٢٨) لواحة للبشر (٢٩)

قوله تعالى: (سأصليه سقر) أي سأدخله سقر كي يصلى حرها. وإنما سميت سقر من سقرته الشمس: إذا أذابته ولوحته، وأحرقته جلدة وجهه. ولا ينصرف للتعريف والتأنيث.

قال ابن عباس: هي الطبقة السادسة من جهنم. وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال: [سأل موسى ربه فقال: أي رب، أي عبادك أفقر؟ قال صاحب سقر] ذكره الثعلبي:

(وما أدراك ما سقر) هذه مبالغة في وصفها، أي وما أعلمك أي شيء هي؟ وهي كلمة تعظيم ثم فسر حالها فقال: " لا تبقى ولا تذر " أي لا تترك لهم عظما ولا لحما ولا دما إلا أحرقتة.

وكرر اللفظ تأكيدا. وقيل: لا تبقى منهم شيئا ثم يعادون خلقا جديدا، فلا تذر أن تعاود إحراقهم هكذا أبدا. وقال مجاهد: لا تبقى من فيها حيا ولا تذر ميتا، تحرقهم كلما جددوا.

وقال السدي: لا تبقى لهم لحما ولا تذر لهم عظما (لواحة للبشر) أي مغيرة من لآحه إذا غيره.

وقراءة العامة " لواحة " بالرفع نعت ل " - سقر. في قوله تعالى: " وما أدراك ما سقر "

وقرأ عطية العوفي ونصر بن عاصم وعيسى بن عمر " لواحة " بالنصب على الاختصاص،

للتهويل. وقال أبو رزين: تلفح وجوههم لفحة تدعها أشد سوادا من الليل، وقاله مجاهد.

والعرب تقول: لآحه البرد والحر والسقم والحزن: إذا غيره، ومنه قول الشاعر: تقول ما لأحك يا مسافر* يا بنه عمي لآحني الهواجر (٢)

(١) كلمة: (أمر) ساقطة من الأصل المطبوع.

(٢) الهواجر: جمع هاجرة وهي شدة الحر عند منتصف النهار.



(YY)

وقال آخر:

وتعجب هند أن رأيتني شاحبا * تقول لشيء لوحته السمائم (١)
وقال رؤبة بن العجاج:

لوح منه بعد بدن وسنق * تلويحك الضامر يطوى للسبق (٢)
وقيل: إن اللوح شدة العطش، يقال: لاحة العطش ولوحه أي غيره. والمعنى أنها معطشة
للشعر أي لأهلها، قاله الأخفش، وأنشد:

سقتني على لوح من الماء شربة * سقاها بها الله الرهام الغواديا
يعني باللوح شدة العطش، والتاح أي عطش، والرهام جمع رهمة بالكسر وهي المطرة
الضعيفة

وأرهمت السحابة أتت بالرهام.

وقال ابن عباس: "لواحة" أي تلوح للشعر من مسيرة خمسمائة
عام. الحسن وابن كيسان: تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا. نظيره: "وبرزت الجحيم
للغاوين" [الشعراء: ٩١]

وفي البشر وجهان: أحدهما - أنه الانس من أهل النار، قاله الأخفش والأكثر. والثاني - أنه جمع بشرة، وهي جلدة الانسان الظاهرة، قاله مجاهد وقتادة، وجمع البشر
أبشار،

وهذا على التفسير الأول، وأما على تفسير ابن عباس فلا يستقيم فيه إلا الناس لا الجلود،
لأنه من لاح الشيء يلوح، إذا لمع.

قوله تعالى: عليها تسعة عشر (٣٠) وما جعلنا أصحاب النار
إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن
الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً ولا يرتاب الذين
أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض

(١) السمائم: جمع سموم وهي الريح الحارة.

(٢) لوحه السفر غيره وأضره. والبدن: السمن واكتناز اللحم. والسنق: الشبع حتى يكون كالتخمة. الضامر:
الفرس. يطوى: يجوع لأجل السباق.

والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر (٣١)

قوله تعالى: (عليها تسعة عشر) أي على سقر تسعة عشر من الملائكة يلقون فيها أهلها. ثم قيل: على جملة النار تسعة عشر من الملائكة هم خزنتها، مالك وثمانية عشر ملكا. ويحتمل أن تكون التسعة عشر نقيبا، ويحتمل أن يكون تسعة عشر ملكا بأعيانهم. وعلى هذا أكثر المفسرين. الثعلبي: ولا ينكر هذا، فإذا كان ملك واحد يقبض أرواح جميع الخلائق كان أحرى أن يكون تسعة عشر على عذاب بعض الخلائق. وقال ابن جريج:

نعت النبي صلى الله عليه وسلم خزنة جهنم فقال: [فكأن أعينهم البرق، وكأن أفواههم الصياصي، يجرون أشعارهم، لأحدهم من القوة مثل قوة الثقلين، يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل، فيرميهم في النار، ويرمى فوقهم الجبل].

قلت: وذكر ابن المبارك قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن الأزرق بن قيس، عن رجل من بني تميم قال: كنا عند أبي العوام، فقرأ هذه الآية: " وما أدراك ما سقر. لا تبقى ولا تذر.

لواحة للبشر. عليها تسعة عشر " فقال ما تسعة عشر؟ تسعة عشر ألف ملك، أو تسعة عشر

ملكا؟ قال: قلت: لا بل تسعة عشر ملكا. فقال: وأنى تعلم ذلك؟ فقلت: لقول الله عز وجل: " وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا " قال: صدقت هم تسعة عشر ملكا، بيد كل ملك منهم مرزبة (١) لها شعبتان، فيضرب الضربة فيهوى بها في النار سبعين ألفا.

وعن عمرو بن دينار: كل واحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر.

خرج الترمذي عن جابر بن عبد الله. قال: قال ناس من اليهود لأناس من أصحاب النبي صلى

الله عليه وسلم: هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم؟ قالوا: لا ندري حتى نسأل نبينا. فجاء رجل

(١) المرزبة: عصية من حديد والمطرقة الكبيرة التي للحداد.

إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد غلب أصحابك اليوم، فقال: (وماذا (١) غلبوا)؟ قال:

سألهم يهود: هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم؟ قال: (فماذا قالوا) قال: قالوا لا ندري حتى نسأل نبينا. قال: (أفغلب قوم سئلوا عما لا يعلمون، فقالوا لا نعلم حتى نسأل نبينا؟ لكنهم قد سألوا

نبيهم فقالوا أرنا الله جهرة، علي بأعداء الله! إني سألهم عن تربة الجنة وهي الدرملك). فلما جاءوا

قالوا: يا أبا القاسم كم عدد خزنة جهنم؟ قال: (هكذا وهكذا) في مرة عشرة وفي مرة تسعة. قالوا: نعم. قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (ما تربة الجنة) قال: فسكنوا هنيهة ثم قالوا: أخبزة يا أبا القاسم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الخبز من الدرملك).

قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه من حديث مجالد عن الشعبي عن

جابر. وذكر ابن وهب قال: حدثنا عبد الرحمن بن زيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم في خزنة جهنم: [ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب]. وقال ابن عباس:

ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة، وقوة الواحد منهم أن يضرب بالمقمع فيدفع بتلك

الضربة سبعين ألف إنسان في قعر جهنم.

قلت: والصحيح إن شاء الله أن هؤلاء التسعة عشر، هم الرؤساء والنقباء، وأما جملتهم فالعبارة تعجز عنها، كما قال الله تعالى: "وما يعلم جنود ربك إلا هو" وقد ثبت في الصحيح

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون

ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها). وقال ابن عباس وقتادة والضحاك: لما نزل: "عليها تسعة عشر" قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم! أسمع ابن أبي كبشة

يخبركم أن خزنة جهنم تسعة عشر، وأنتم الدهم - أي العدد - والشجعان، فيعجز كل عشرة

منكم أن يبطشوا بواحد منهم! قال السدي: فقال أبو الأسود (٢) بن كلدة الجمحي: لا يهولنكم

التسعة عشر، أنا أَدْفَعُ بَمَنْكَبِي الأَيْمَنَ عَشْرَةَ مِنَ المَلَائِكَةِ، وَبَمَنْكَبِي الأَيْسَرَ التَّسْعَةَ، ثُمَّ
تَمْرُونَ

(١) كذا في ا، ح، ط، و. وفي نسخة: وبم؟
(٢) كذا في نسخ الأصل: (الأسود). والذي في حاشية الجمل ص ٤٥٧ ج ٤: (أبو الأشد).

إلى الجنة، يقولها مستهزئاً. في رواية: أن الحرث بن كلدة قال أنا أكفيكم سبعة عشر، واكفوني أنتم اثنين. وقيل: إن أبا جهل قال أفيعجز كل مائة منكم أن ييطشوا بواحد منهم، ثم تخرجون من النار؟ فنزل قوله تعالى: " وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة " أي

لم نجعلهم رجالاً فتعاطون مغالبتهم. وقيل: جعلهم ملائكة لأنهم خلاف جنس المعديين

من الجن والإنس، فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرأفة والرقّة، ولا يستروحوهم إليهم، ولأنهم

أقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له، فتؤمن هواتهم، ولأنهم أشد خلق الله بأساً وأقواهم

بطشاً. (وما جعلنا عدتهم إلا فتنة) أي بلية. وروي عن ابن عباس من غير وجه قال: ضلالة للذين كفروا، يريد أبا جهل وذويه. وقيل: إلا عذاباً، كما قال تعالى: " يوم هم على النار يفتنون. ذوقوا فتنتكم " [الذاريات: ١٤]. أي جعلنا ذلك سبب كفرهم وسبب العذاب.

وفي " تسعة عشر " سبع قراءات (١): قراءة العامة " تسعة عشر ". وقرأ أبو جعفر بن القعقاع

وطلحة بن سليمان " تسعة عشر " بإسكان العين. وعن ابن عباس " تسعة عشر " بضم الهاء.

وعن أنس بن مالك " تسعة وعشر " وعنه أيضاً " تسعة وعشر ". وعنه أيضاً " تسعة أعشر " ذكرها المهدوي وقال: من قرأ " تسعة عشر " أسكن العين لتوالي الحركات. ومن قرأ " تسعة وعشر " جاء به على الأصل قبل التركيب، وعطف عشراً على تسعة، وحذف التنوين لكثرة الاستعمال، وأسكن الراء من عشر على نية السكوت عليها. ومن قرأ

" تسعة عشر " فكأنه من التداخل، كأنه أراد العطف وترك التركيب، فرفع هاء التانيث، ثم راجع البناء وأسكن. وأما " تسعة أعشر ": فغير معروف، وقد أنكرها أبو حاتم. وكذلك " تسعة وعشر " لأنها محمولة على " تسعة أعشر " والواو بدل من الهمزة، وليس

لذلك وجه عند النحويين. الزمخشري: وقرئ: " تسعة أعشر " جمع عشير، مثل يمين وأيمن.

(١) ورد في الأصول ست قراءات فقط ولعل السابعة قراءة سليمان بن قتة (تسعة أعشر) بضم التاء وهمزة مفتوحة

وسكون العين وضم الشين وجر الراء. وتعقب السمين هذه القراءات فقال: (في هذه الكلمة قراءات شاذة

وتوجيھات تشاكلھا).

(۸۱)

قوله تعالى: (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) أي ليوفن الذين أعطوا التوراة والإنجيل أن عدة خزنة جهنم موافقة لما عندهم، قاله ابن عباس وقتادة والضحاك ومجاهد وغيرهم.

ثم يحتمل أنه يريد الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام. ويحتمل أنه يريد الكل. (ويزداد الذين آمنوا إيماناً) بذلك، لأنهم كلما صدقوا بما في كتاب الله آمنوا، ثم ازدادوا

إيماناً لتصدقهم بعدد خزنة جهنم. " ولا يرتاب " أي ولا يشك " الذين أوتوا الكتاب " أي أعطوا الكتاب " والمؤمنون " أي المصدقون من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في أن

عدة خزنة جهنم تسعة عشر. (وليقول الذين في قلوبهم مرض) أي في صدورهم شك ونفاق من منافقي أهل المدينة، الذين ينجمون في مستقبل الزمان بعد الهجرة ولم يكن بمكة

نفاق وإنما نجم بالمدينة. وقيل: المعنى، أي وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل

الزمان بعد الهجرة. " والكافرون " أي اليهود والنصارى (ماذا أراد الله بهذا مثلاً) يعني بعدد خزنة جهنم. وقال الحسين بن الفضل: السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق، فالمرض

في هذه الآية الخلاف و " الكافرون " أي مشركو العرب. وعلى القول الأول أكثر المفسرين.

ويجوز أن يراد بالمرض: الشك والارتياب، لأن أهل مكة كان أكثرهم شاكين، وبعضهم

قاطعين بالكذب وقوله تعالى إخباراً عنهم: " ماذا أراد الله " أي ما أراد " بهذا " العدد الذي ذكره حديثاً، أي ما هذا من الحديث. قال الليث: المثل الحديث، ومنه: " مثل الجنة

التي وعد المتقون " أي حديثها والخبر عنها " كذلك " أي كإضلال الله أبا جهل وأصحابه

المنكرين لخزنة جهنم " يضل الله " أي يخزي ويعمي " من يشاء ويهدي " أي ويرشد " من يشاء "

كإرشاد أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم. وقيل: " كذلك يضل الله " عن الجنة " من يشاء

ويهدي " إليها " من يشاء ". (وما يعلم جنود ربك إلا هو) أي وما يدري عدد ملائكة ربك

الذين خلقهم لتعذيب أهل النار " إلا هو " أي إلا الله جل ثناؤه. وهذا جواب لأبي

جهل
حين قال: أما لمحمد من الجنود إلا تسعة عشر! وعن ابن عباس: أن النبي صلى الله
عليه وسلم
كان يقسم غنائم حنين، فأتاه جبريل فجلس عنده، فأتى ملك فقال: إن ربك يأمرك

بكذا وكذا، فخشى النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون شيطانا، فقال: (يا جبريل أتعرفه)؟

فقال: هو ملك وما كل ملائكة ربك أعرف. وقال الأوزاعي: قال موسى: "يا رب من في السماء؟ قال ملائكتي. قال كم عدتهم يا رب؟ قال: اثني (١) عشر سبطا. قال: كم عدة كل

سبط؟ قال: عدد التراب " ذكرهما الثعلبي. وفي الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم:

(أطت (٢) السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله

ساجدا).

قوله تعالى: (وما هي إلا ذكرى للبشر) يعني الدلائل والحجج والقرآن. وقيل: "وما هي" أي وما هذه النار التي هي سقر "إلا ذكرى" أي عظة "للبشر" أي للخلق.

وقيل: نار الدنيا تذكرة لنار الآخرة. قاله الزجاج. وقيل: أي ما هذه العدة "إلا ذكرى للبشر" أي ليتذكروا ويعلموا كمال قدرة الله تعالى، وأنه لا يحتاج إلى أعوان وأنصار، فالكناية على هذا في قوله تعالى: "وما هي" ترجع إلى الجنود، لأنه أقرب مذكور.

قوله تعالى: كلا والقمر (٣٢) ولليل إذ أدبر (٣٣) والصبح

إذا أسفر (٣٤) إنها لإحدى الكبر (٣٥) نذيرا للبشر (٣٦) لمن شاء

منكم أن يتقدم أو يتأخر (٣٧) كل نفس بما كسبت رهينة (٣٨)

إلا أصحاب اليمين (٣٩) في جنات يتساءلون (٤٠) عن المجرمين (٤١)

ما سلككم في سقر (٤٢) قالوا لم نك من المصلين (٤٣) ولم نك

نطعم المسكين (٤٤) وكنا نخوض مع الخائضين (٤٥) وكنا نكذب

يوم الدين (٤٦) حتى أتانا اليقين (٤٧) فما تنفعهم شفاعة الشافعين (٤٨)

(١) كذا في الأصول. والصواب: اثنا عشر.

(٢) الأظيط: صوت الأقتاب (إكاف البعير). وأظيط الإبل: أصواتها وحينها. أي أن كثرة ما فيها من الملائكة قد ثقلها حتى أظط. وهذا مثل وإيدان بكثرة الملائكة وإن لم يكن ثم أظيط. (النهاية).

قوله تعالى: (كلا والقمر) قال الفراء: " كلا " صلة للقسم، التقدير أي والقمر. وقيل: المعنى حقا والقمر، فلا يوقف على هذين التقديرين على " كلا " وأجاز الطبري الوقف

عليها، وجعلها ردا للذين زعموا أنهم يقاومون خزنة جهنم، أي ليس الامر كما يقول من زعم أنه يقاوم خزنة النار. ثم أقسم على ذلك عز وجل بالقمر وبما بعده، فقال: " والليل إذا أدبر "

أي ولي وكذلك " دبر ". وقرأ نافع وحمزة وحفص " إذ أدبر " الباقون " إذا " بألف و " دبر "

بغير ألف وهما لغتان بمعنى، يقال: دبر وأدبر، وكذلك قبل الليل وأقبل. وقد قالوا: أمس

الداير والمدبر، قال صخر بن عمرو بن الشريد السلمي: ولقد قتلناكم ثناء وموحدا * وتركت مرة مثل أمس الداير ويروي المدبر. وهذا قول الفراء والأخفش. وقال بعض أهل اللغة: دبر الليل: إذا مضى، وأدبر: أخذ في الادبار. وقال مجاهد: سألت ابن عباس عن قوله تعالى: " والليل إذا دبر "

فسكت حتى إذا دبر قال: يا مجاهد، هذا حين دبر الليل. وقرأ محمد بن السميعة " والليل

إذا أدبر " بألفين، وكذلك في مصحف عبد الله وأبي بألفين. وقال قطرب من قرأ " دبر "

فيعني أقبل، من قول العرب دبر فلان: إذا جاء من خلفي. قال أبو عمرو: وهي لغة قريش.

وقال ابن عباس في رواية عنه: الصواب: " أدبر "، إنما يدبر ظهر البعير. واختار أبو عبيد:

" إذا أدبر " قال: لأنها أكثر موافقة للحروف التي تليه، ألا تراه يقول: " والصبح إذا أسفر "، فكيف

يكون أحدهما " إذ " والآخر " إذا " وليس في القرآن قسم تعقبه " إذ " وإنما يتعقبه " إذا ".

ومعنى " أسفر " : ضاء. وقراءة العامة " أسفر " بالألف. وقرأ ابن السميعة: " سفر ". وهما لغتان. يقال: سفر وجه فلان وأسفر: إذا أضاء. وفي الحديث: (أسفروا بالفجر، فإنه

أعظم للاجر) أي صلوا صلاة الصبح مسافرين، ويقال: طولوها إلى الاسفار، والاسفار: الإنارة.

وأسفر وجهه حسنا أي أشرق، وسفرت المرأة كشفت عن وجهها فهي سافر. ويجوز أن يكون [من] سفر الظلام أي كمنسه، كما يسفر البيت، أي يكنس، ومنه السفير: لما سقط من ورق الشجر وتحات، يقال: إنما سمي سفيرا لان الريح تسفره أي تكنسه. والمسفرة: المكنسة.

قوله تعالى: (إنها لإحدى الكبر) جواب القسم، أي إن هذه النار " لإحدى الكبر " أي لإحدى الدواهي. وفي تفسير مقاتل " الكبر ": اسم من أسماء النار. وروي عن ابن عباس

" إنها " أي إن تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم " لإحدى الكبر " أي لكبيرة من الكبائر.

وقيل: أي إن قيام الساعة لإحدى الكبر. والكبر: هي العظام من العقوبات، قال الراجز: يا بن المعلى نزلت إحدى الكبر * داهية الدهر وصماء الغير وواحدة (الكبر)، كبرى مثل الصغرى والصغر، والعظمى والعظم. وقرأ العامة (لإحدى) وهو اسم بني ابتداء للتأنيث، وليس مبنيا على المذكر، نحو عقبى وأخرى، وألفه ألف قطع،

لا تذهب في الوصل. وروي جرير بن حازم عن ابن كثير " إنها لحدي الكبر " بحذف الهمزة. (نذيرا للبشر) يريد النار، أي أن هذه النار الموصوفة " نذيرا للبشر " فهو نصب على الحال من المضمرة في " إنها " قاله الزجاج. وذكر، لأن معناه معنى العذاب، أو أراد ذات إنذار على معنى النسب، كقولهم: امرأة طالق وطاهر. وقال الخليل: النذير: مصدر كالنكير، ولذلك يوصف به المؤمن. وقال الحسن: والله ما أنذر الخلائق بشيء أدهى

منها. وقيل: المراد بالنذير محمد صلى الله عليه وسلم، أي قم نذيرا للبشر، أي مخوفا لهم

ف " - نذيرا " حال من " قم " في أول السورة حين قال: " قم فأنذر " [المدثر: ٢] قال أبو علي الفارسي

وابن زيد، وروي عن ابن عباس وأنكره الفراء. ابن الأنباري: وقال بعض المفسرين معناه " يا أيها المدثر قم نذيرا للبشر ". وهذا قبيح، لأن الكلام قد طال فيما بينهما. وقيل:

هو من صفة الله تعالى. روى أبو معاوية الضريير: حدثنا إسماعيل بن سميع عن أبي رزين

" نذيرا للبشر " قال: يقول الله عز وجل: أنا لكم نذير فاتقوها. و (نذيرا) على هذا نصب على الحال، أي " وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة " منذرا بذلك البشر. وقيل:

هو حال من " هو " في قوله تعالى: " وما يعلم جنود ربك إلا هو ". وقيل: هو في موضع

المصدر، كأنه قال: إنذار للبشر. قال الفراء: يجوز أن يكون النذير بمعنى الانذار، أي أنذر

إنذارا فهو كقوله تعالى: " فكيف كان نذير " أي إنذاري، فعلى هذا يكون راجعا إلى



(۸۵)

أول السورة، أي (قم فأندِر) أي إنذارا. وقيل: هو منصوب بإضمار فعل. وقرأ ابن أبي عبله " نذير " بالرفع على إضمار هو. وقيل: أي إن القرآن نذير للبشر، لما تضمنه

من الوعد والوعيد.

قوله تعالى: (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) اللام متعلقة ب " - نذيرا "، أي نذيرا لمن شاء منكم أن يتقدم إلى الخير والطاعة، أو يتأخر إلى الشر والمعصية، نظيره: " ولقد علمنا

المستقدمين منكم " [الحجر: ٢٤] أي في الخير " ولقد علمنا المستأخرين " [الحجر: ٢٤] عنه. قال الحسن: هذا وعيد

وتهديد وإن خرج مخرج الخبر، كقوله تعالى: " فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر " [الكهف: ٢٩]. وقال

بعض أهل التأويل: معناه لمن شاء الله أن يتقدم أو يتأخر، فالمشيئة متصلة بالله جل ثناؤه،

والتقديم الايمان، والتأخير الكفر. وكان ابن عباس يقول: هذا تهديد وإعلام أن من تقدم

إلى الطاعة والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم جوزي بثواب لا ينقطع، ومن تأخر عن الطاعة

وكذب محمدا صلى الله عليه وسلم عوقب عقابا لا ينقطع. وقال السدي: " لمن شاء منكم

أن يتقدم " إلى النار المتقدم ذكرها، " أو يتأخر " عنها إلى الجنة.

قوله تعالى: (كل نفس بما كسبت رهينة) أي مرتهنة بكسبها، مأخوذة بعملها، إما خلصها وإما أوبقها. وليست " رهينة " تأنيث رهين في قوله تعالى: " كل امرئ بما كسب رهين " [الطور: ٢١] لتأنيث النفس، لأنه لو قصدت الصفة لقل رهين، لان فعلا بمعنى

مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث. وإنما هو اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم، كأنه

قيل: كل نفس بما كسبت رهين، ومنه بيت الحماسة:

أبعد الذي بالنعف نعف كويكب * رهينة رمس ذي تراب وجندل (١)

كأنه قال رهن رمس. والمعنى: كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك (إلا أصحاب

اليمين) فإنهم لا يرتهنون بذنوبهم. واختلف في تعيينهم، فقال ابن عباس: الملائكة.

(١) النعف من الأرض: المكان المرتفع في اعتراض. والبيت من قول عبد الرحمن بن زيد العذري وقد قتل أخوه وعرضت عليه الدية فأبى أن يأخذها وأخذ بثأره.

علي بن أبي طالب: أولاد المسلمين لم يكتسبوا فيرتهنوا بكسبهم. الضحاك: الذين سبقت لهم من الله الحسنى، ونحوه عن ابن جريج، قال: كل نفس بعملها محاسبة " إلا أصحاب اليمين " وهم أهل الجنة، فإنهم لا يحاسبون. وكذا قال مقاتل أيضا: هم أصحاب الجنة الذين كانوا عن يمين آدم يوم الميثاق حين قال الله لهم: هؤلاء في الجنة ولا أبالي. وقال الحسن وابن كيسان: هم المسلمون المخلصون ليسوا بمرتئين، لأنهم أدوا ما كان عليهم. وعن أبي ظبيان عن ابن عباس قال: هم المسلمون. وقيل: إلا أصحاب الحق وأهل الايمان. وقيل: هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم. وقال أبو جعفر الباقر: نحن وشيعتنا أصحاب اليمين، وكل من أبغضنا أهل البيت فهم المرتئون. وقال الحكم: هم الذين اختارهم الله لخدمته، فلم يدخلوا في الرهن، لأنهم خدام الله وصفوته وكسبهم لم يضرهم. وقال القاسم: كل مأخوذة بكسبها من خير أو شر، إلا من اعتمد على الفضل والرحمة، دون الكسب والخدمة، فكل من اعتمد على الكسب فهو مرهون، وكل من اعتمد على الفضل فهو غير مأخوذ به. " في جنات " أي في بساتين " يتساءلون " أي يسألون (عن المجرمين) أي المشركين " ما سلككم " أي أدخلكم " في سقر " كما تقول: سلكت الخيط في كذا أي أدخلته فيه. قال الكلبي: فيسأل الرجل من أهل الجنة الرجل من أهل النار باسمه، فيقول له: يا فلان. وفي قراءة عبد الله بن الزبير " يا فلان ما سلكك في سقر "؟ وعنه قال: قرأ عمر بن الخطاب " يا فلان ما سلككم في سقر " وهي قراءة على التفسير، لا أنها قرآن كما زعم من طعن في القرآن، قاله أبو بكر بن الأنباري. وقيل: إن المؤمنين يسألون الملائكة عن أقربائهم، فتسأل الملائكة المشركين فيقولون لهم: " ما سلككم في سقر ". قال الفراء: في هذا ما يقوي أن أصحاب اليمين الولدان، لأنهم لا يعرفون الذنوب. " قالوا " يعني أهل النار " لم نك من المصلين

”

أي المؤمنين الذين يصلون. (ولم نك نطعم المسكين) أي لم نك نتصدق. (وكننا نخوض مع الخائضين) أي كنا نخالط أهل الباطل في باطلهم. وقال ابن زيد: نخوض مع الخائضين في أمر محمد صلى الله عليه وسلم، وهو قولهم - لعنهم الله - كاهن، مجنون، شاعر، ساحر.

وقال السدي: أي وكنا نكذب مع المكذبين. وقال قتادة: كلما غوى غاو غوينا معه. وقيل معناه: وكنا أتباعا ولم نكن متبوعين. (وكنا نكذب بيوم الدين) أي لم نك نصدق بيوم القيامة، يوم الجزاء والحكم. قوله تعالى: (حتى أتانا اليقين) أي جاءنا ونزل بنا الموت، ومنه قوله تعالى: "واعبد ربك حتى يأتيك اليقين" (١) [الحجر: ٩٩].
قوله تعالى: (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) هذا دليل على صحة الشفاعة للمذنبين، وذلك أن قوما من أهل التوحيد عذبوا بذنوبهم، ثم شفع فيهم، فرحمهم الله بتوحيدهم والشفاعة،

فأخرجوا من النار، وليس للكفار شفيع يشفع فيهم. وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

يشفع نبيكم صلى الله عليه وسلم رابع أربعة: جبريل، ثم إبراهيم، ثم موسى أو عيسى (٢)، ثم نبيكم

صلى الله عليه وسلم، ثم الملائكة، ثم النبيون، ثم الصديقون، ثم الشهداء، ويبقى قوم في جهنم، فيقال

لهم: "ما سللكم في سقر قالوا لم نك من المصلين. ولم نك نطعم المسكين" إلى قوله:

"فما تنفعهم شفاعة الشافعين" قال عبد الله بن مسعود: فهؤلاء هم الذين يبقون في جهنم،

وقد ذكرنا إسناده في كتاب (التذكرة).

قوله تعالى: فما لهم عن التذكرة معرضين (٤٩) كأنهم حمر

مستنفرة (٥٠) فرت من قسورة (٥١) بل يريد كل امرئ منهم أن

يؤتى صحفا منشرة (٥٢) كلا بل لا يخافون الآخرة (٥٣)

قوله تعالى: (فما لهم عن التذكرة معرضين) أي فما لأهل مكة أعرضوا وولوا عما

جئتم به. وفي تفسير مقاتل: الاعراض عن القرآن من وجهين: أحدهما الجحود

والانكار،

والوجه الآخر ترك العمل بما فيه. و "معرضين" نصب على الحال من الهاء والميم في

"لهم"

وفي اللام معنى الفعل، فانتصاب الحال على معنى الفعل. "كأنهم" أي كأن هؤلاء

الكفار

في فرارهم من محمد صلى الله عليه وسلم "حمر مستنفرة" قال ابن عباس: أراد

الحمر الوحشية.

(١) راجع ج ١٠ ص ٦٤.

(٢) في ح، ل: (وعيسى).



(^^)

وقرأ نافع وابن عامر بفتح الفاء، أي منفرة مذعورة، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم. الباقون بالكسر، أي نافرة. يقال. نفرت واستنفرت بمعنى، مثل عجت واستعجت، وسخرت واستسخرت، وأنشد الفراء:

أمسك حمارك إنه مستنفر* في إثر أحمره عمدن لغرب (١)
قوله تعالى (٢): " فرت " أي نفرت وهربت " من قسورة " أي من رماة يرمونها.
وقال بعض أهل اللغة: إن القسورة الرامي، وجمعه القسورة. وكذا قال سعيد بن جبير
وعكرمة

ومجاهد وقتادة والضحاك وابن كيسان: القسورة: هم الرماة والصيادون، ورواه عطاء
عن ابن

عباس وأبو [ظبيان] (٣) عن أبي موسى الأشعري. وقيل: إنه الأسد، قاله أبو هريرة وابن
عباس

أيضا. ابن عرفة: من القسر بمعنى القهر أي، إنه يقهر السباع، والحر الوحشية تهرب
من

السباع. وروى أبو جمره عن ابن عباس قال: ما أعلم القسورة الأسد في لغة أحد من
العرب،

ولكنها عصب الرجال، قال: فالقسورة جمع الرجال، وأنشد:

يا بنت كوني خيرة لخيره* أحوالها الجن وأهل القسورة
وعنه: ركز الناس أي حسهم وأصواتهم. وعنه أيضا: " فرت من قسورة " أي من حبال
الصيادين. وعنه أيضا: القسورة بلسان العرب: الأسد، وبلسان الحبشة: الرماة، وبلسان
فارس:

شير، وبلسان النبط: أريا. وقال ابن الأعرابي: القسورة: أول الليل، أي فرت من ظلمة
الليل. وقاله عكرمة أيضا. وقيل: هو أول سواد الليل، ولا يقال لآخر سواد الليل قسورة.
وقال زيد بن أسلم: من رجال أقوياء، وكل شديد عند العرب فهو قسورة وقسور.
وقال لبيد بن ربيعة:

إذا ما هتفنا هتفة في ندينا* أتانا الرجال العائدون القساور

(١) غرب (كسكر): اسم موضع وجبل دون الشام في بلاد بني كلاب.

(٢) جملة (قوله تعالى) وكلمة (هربت) ساقطتان من أ، ح.

(٣) في الأصول: (أبو حيان) وهو تحريف. والتصحيح من تفسير الثعلبي (والتهذيب).

قوله تعالى: (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة) أي يعطى كتباً مفتوحة، وذلك أن أبا جهل وجماعة من قريش قالوا: يا محمد! ايتنا بكتب من رب العالمين مكتوب فيها: إني قد أرسلت إليكم محمداً، صلى الله عليه وسلم. نظيره: " ولن تؤمن

لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه " [الاسراء: ٩٣]. وقال ابن عباس: كانوا يقولون إن كان محمد صادقاً

فليصبح عند كل رجل منا صحيفة فيها براءته وأمنه من النار. قال مطر الوراق: أرادوا أن

يعطوا بغير عمل. وقال الكلبي: قال المشركون: بلغنا أن الرجل من بني إسرائيل كان يصبح

عند رأسه مكتوباً ذنبه وكفارته، فأتنا بمثل ذلك. وقال مجاهد: أرادوا أن ينزل على كل واحد منهم كتاب فيه من الله عز وجل: إلى فلان بن فلان. وقيل: المعنى أن يذكر بذكر

جميل، فجعلت الصحف موضع الذكر مجازاً. وقالوا: إذا كانت ذنوب الإنسان تكتب عليه فما بالناس لا نرى ذلك؟ " كلا " أي ليس يكون ذلك. وقيل: حقا. والأول أجود، لأنه رد لقولهم. " بل لا يخافون الآخرة " أي لا أعطيهم ما يتمنون لأنهم لا يخافون الآخرة،

اغترارا بالدنيا. وقرأ سعيد بن جبير " صحفا منشرة " بسكون الحاء والنون، فأما تسكين الحاء

فتخفيف، وأما النون فشاذ. إنما يقال: نشرت الثوب وشبهه ولا يقال أنشرت. ويجوز أن يكون شبه الصحيفة بالميت كأنها ميتة بطيها، فإذا نشرت حييت، فجاء على أنشر الله الميت،

كما شبه إحياء الميت بنشر الثوب، فقيل فيه نشر الله الميت، فهي لغة فيه.

قوله تعالى: كلا إنه تذكرة (٥٤) فمن شاء ذكره (٥٥)

وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة (٥٦)

قوله تعالى: (كلا إنه تذكرة) أي حقا إن القرآن عظة. (فمن شاء ذكره) أي أتعظ به. " وما يذكرون " أي وما يتعظون " إلا أن يشاء الله " أي ليس يقدر على الاعتراض والتذكر إلا بمشيئة الله ذلك لهم. وقراءة العامة " يذكرون " بالياء واختاره أبو عبيد،

لقوله تعالى: " كلا بل لا يخافون الآخرة ". وقرأ نافع ويعقوب بالتاء، واختاره أبو حاتم، لأنه

أعم واتفقوا على تخفيفها. (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) في الترمذي وسنن ابن ماجه عن



(٩٠)

أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في هذه الآية: " هو أهل التقوى وأهل المغفرة " قال: [قال الله تبارك وتعالى أنا أهل أن أتقى فمن اتقاني فلم يجعل معي إليها فأنا أهل أن أغفر له] لفظ الترمذي، وقال فيه: حديث حسن غريب. وفي بعض التفسير: هو أهل المغفرة لمن تاب إليه من الذنوب الكبار، وأهل المغفرة أيضا للذنوب الصغار، باجتناب الذنوب الكبار. وقال محمد بن نصر: أنا أهل أن يتقيني عبدي، فإن لم يفعل كنت أهلا أن أغفر له [وأرحمه، وأنا الغفور الرحيم] (١).
سورة القيامة

مكية، وهي تسع وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: لا أقسم بيوم القيامة (١) ولا أقسم بالنفس اللوامة (٢)
أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه (٣) بلى قادرين على أن نسوي بنانه (٤) بل يريد الإنسان ليفجر أمامه (٥) يستل أيان يوم القيامة (٦)

قوله تعالى: (لا أقسم بيوم القيامة) قيل: إن " لا " صلة، وجاز وقوعها في أول السورة، لان القرآن متصل ببعضه ببعض، فهو في حكم كلام واحد، ولهذا قد يذكر الشيء

في سورة ويحى جوابه في سورة أخرى، كقوله تعالى: " وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر

إنك لمجنون " (٢) [الحجر: ٦]. وجوابه في سورة أخرى: " ما أنت بنعمة ربك بمجنون " (٣) [القلم: ٢]. ومعنى الكلام:

أقسم بيوم القيامة، قاله ابن عباس وابن جبير وأبو عبيدة، ومثله قول الشاعر:
تذكرت ليلي فاعترتني صباة* فكاد صميم القلب لا يتقطع

(١) ما بين المربعين زيادة من ط.

(٢) سورة الحجر ج ١٠ ص ٤.

(٣) سورة القلم

ج ١٨ ص ٢٥٣.

وحكى أبو الليث السمرقندي: أجمع المفسرون أن معنى " لا أقسم ": أقسم. واختلفوا في تفسير: " لا " قال بعضهم: " لا " زيادة في الكلام للزينة، ويجري في كلام العرب زيادة (لا) كما قال في آية أخرى: " قال ما منعك أن لا تسجد " [ص: ٧٥]. يعني أن تسجد، وقال

بعضهم: " لا ": رد لكلامهم حيث أنكروا البعث، فقال: ليس الامر كما زعمتم.

قلت: وهذا قول الفراء، قال الفراء: وكثير من النحويين يقولون " لا " صلة،

ولا يجوز أن يبدأ بجحد ثم يجعل صلة، لان هذا لو كان كذلك لم يعرف خبر فيه

جحد من

خبر لا جحد فيه، ولكن القرآن جاء بالرد على الذين أنكروا البعث والجنة والنار، فجاء

الأقسام

بالرد عليهم [في كثير من الكلام المبتدأ منه وغير المبتدأ] (١) وذلك كقولهم لا والله

لا أفعل ف " - لا "

رد لكلام قد مضى، وذلك كقولك: لا والله إن القيامة لحق، كأنك أكذبت قوما

أنكروه.

وأنشد غير الفراء لامرئ القيس:

فلا وأبيك ابنة العامري * لا يدعي القوم أنني أفر

وقال غوية بن سلمى:

ألا نادت أمامة باحتمال * لتحزني فلا بك ما أبالي

وفائدتها توكيد القسم في الرد. قال الفراء: وكان من لا يعرف هذه الجهة يقرأ " لأقسم "

بغير ألف، كأنها لام تأكيد دخلت على أقسم، وهو صواب، لان العرب تقول: لأقسم

بالله

وهي قراءة الحسن وابن كثير والزهري وابن هرمز " بيوم القيامة " أي بيوم يقوم الناس

فيه لربهم، ولله عز وجل أن يقسم بما شاء. (ولا أقسم بالنفس اللوامة) لا خلاف في

هذا

بين القراء، وهو أنه أقسم سبحانه بيوم القيامة تعظيماً لشأنه [ولم يقسم بالنفس] (٢).

وعلى قراءة

ابن كثير أقسم بالأولى ولم يقسم بالثانية. وقيل: " ولا أقسم بالنفس اللوامة " رد آخر

وابتداء قسم بالنفس اللوامة. قال الثعلبي: والصحيح أنه أقسم بهما جميعاً. ومعنى: "

بالنفس

اللوامة " أي بنفس المؤمن الذي لا تراه إلا يلوم نفسه، يقول: ما أردت بكذا؟ فلا تراه

(١) الزيادة من تفسير الفراء.
(٢) الزيادة من تفسير ابن عطية وغيره.

إلا وهو يعاتب نفسه، قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم. قال الحسن: هي والله نفس المؤمن، ما يرى المؤمن إلا يلوم نفسه: ما أردت بكلامي؟ ما أردت بأكلي؟ ما أردت

بحديث نفسي؟ والفاجر لا يحاسب نفسه. وقال مجاهد: هي التي تلوم على ما فات وتندم،

فتلوم نفسها على الشر لم فعلته، وعلى الخير لم لا تستكثر منه. وقيل: إنها ذات اللوم. وقيل:

إنها تلوم نفسها بما تلوم عليه غيرها، فعلى هذه الوجوه تكون اللوامة بمعنى اللائمة، وهو صفة

مدح، وعلى هذا يجيء القسم بها سائغا حسنا. وفي بعض التفسير: إنه آدم عليه السلام لم يزل

لائما لنفسه على معصيته التي أخرج بها من الجنة. وقيل: اللوامة بمعنى الملوامة المذمومة -

عن ابن عباس أيضا - فهي صفة ذم وهو قول من نفى أن يكون قسما، إذ ليس للعاصي خطر يقسم به، فهي كثيرة اللوم. وقال مقاتل: هي نفس الكافر يلوم نفسه، ويتحسر في الآخرة

على ما فرط في جنب الله. وقال الفراء: ليس من نفس محسنة أو مسيئة إلا وهي تلوم نفسها،

فالمحسن يلوم نفسه أن لو كان ازداد إحسانا، والمسيء يلوم نفسه ألا يكون ارعوى عن إساءته.

قوله تعالى: (أيحسب الانسان أن لن نجتمع عظامه) فنعيدها خلقا جديدا بعد أن صارت رفاتا. قال الزجاج: أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة: ليجمعن العظام للبعث،

فهذا جواب القسم. وقال النحاس: جواب القسم محذوف أي لتبعثن، ودل عليه قوله تعالى: " أيحسب الانسان أن لن نجتمع عظامه " للاحياء والبعث. والانسان هنا

الكافر المكذب للبعث. الآية نزلت في عدي بن ربيعة قال للنبي صلى الله عليه وسلم: حدثني

عن يوم القيامة متى تكون، وكيف أمرها وحالها؟ فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، فقال:

لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أؤمن به، أو يجمع الله العظام؟! ولهذا

كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (اللهم اكفني جاري السوء عدي بن ربيعة، والأخنس بن شريق).

وقيل: نزلت في عدو الله أبي جهل حين أنكر البعث بعد الموت. وذكر العظام والمراد نفسه
كلها، لان العظام قالب الخلق. " بلى " وقف حسن ثم تبدى " قادرين ". قال سيبويه:
على معنى نجمعها قادرين، ف " - قادرين " حال من الفاعل المضمرة في الفعل
المحذوف على ما ذكرناه

من التقدير. وقيل: المعنى بل نقدر قادرين. قال الفراء: " قادرين " نصب على الخروج من " نجمع " أي نقدر ونقوى " قادرين " على أكثر من ذلك. وقال أيضا: يصلح نصبه على التكرير أي " بلى " فليحسبنا قادرين. وقيل: المضمرة (كنا) أي كنا قادرين في الابتداء،

وقد اعترف به المشركون. وقرأ ابن أبي عبيدة وابن السميعة " بلى قادرين " بتأويل نحن قادرين. (على أن نسوي بنانه) البنان عند العرب: الأصابع، واحدها بنانة، قال النابغة: بمخضب رخص كأن بنانه * عنم يكاد من اللطافة يعقد (١) وقال عنتره:

وأن الموت طوع يدي إذا ما * وصلت بنانها بالهندواني
فبه بالبنان على بقية الأعضاء. وأيضا فإنها أصغر العظام، فخصها بالذكر لذلك. قال القتيبي

والزجاج: وزعموا أن الله لا يبعث الموتى ولا يقدر على جمع العظام، فقال الله تعالى:
بلى قادرين

على أن نعيد السلاميات على صغرها، ونؤلف بينها حتى تستوي، ومن قدر على هذا فهو على

جمع الكبار أقدر. وقال ابن عباس وعامة المفسرين: المعنى " على أن نسوي بنانه " أي نجعل أصابع يديه ورجليه شيئا واحدا كخف البعير، أو كحافر الحمار، أو كظلف الخنزير،

ولا يمكنه أن يعمل به شيئا، ولكننا فرقنا أصابعه حتى يأخذ بها ما شاء. وكان الحسن يقول: جعل لك أصابع فأنت تبسطهن، وتقبضهن بهن، ولو شاء الله لجمعهن فلم تتق الأرض

إلا بكفيك. وقيل: أي نقدر أن نعيد الانسان في هيئة البهائم، فكيف في صورته التي كان

عليها، وهو كقوله تعالى: " وما نحن بمسبوقين. على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون " [الواقعة: ٦٠ - ٦١].

قلت: والتأويل الأول أشبه بمساق الآية. والله أعلم.

قوله تعالى: (بل يريد الانسان ليفجر أمامه) قال ابن عباس: يعني الكافر يكذب بما أمامه من البعث والحساب. وقاله عبد الرحمن بن زيد، ودليله: " يسأل أيان يوم القيامة "

(١) رواية الشطر الأخير كما في اللسان: * عنم على أغصانه لم يعقد *
والعنم: شجر لين الأغصان لطيفها يشبه به البنان.

أي يسأل متى يكون! على وجه الإنكار والتكذيب. فهو لا يقنع بما هو فيه من
التكذيب،
ولكن يَأْتُم لما بين يديه. ومما يدل على أن الفجور التكذيب ما ذكره القتبي وغيره: أن
أعرابيا
قصد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وشكا إليه نقب إبله (١) ودبرها، وسأله أن يحمله
على غيرها

فلم يحمله، فقال الأعرابي:

أقسم بالله أبو حفص عمر * ما مسها من نقب ولا دبر
* فاغفر له اللهم إن كان فجر *

يعني إن كان كذبي فيما ذكرت. وعن ابن عباس أيضا: يعجل المعصية ويسوف التوبة.
وفي بعض الحديث قال: يقول سوف أتوب ولا يتوب، فهو قد أخلف فكذب. وهذا
قول مجاهد والحسن وعكرمة والسدي وسعيد بن جبير، يقول: سوف أتوب، سوف
أتوب،

حتى يأتيه الموت على أشرف أحواله. وقال الضحاك: هو الأمل يقول سوف أعيش
وأصيب

من الدنيا ولا يذكر الموت. وقيل: أي يعزم على المعصية أبدا وإن كان لا يعيش إلا
مدة

قليلة. فالهاء على هذه الأقوال للإنسان. وقيل: الهاء ليوم القيامة. والمعنى بل يريد
الإنسان

ليكفر بالحق بين يدي يوم القيامة. والفجور أصله الميل عن الحق. (يسأل أيان يوم
القيامة)

أي متى يوم القيامة.

قوله تعالى: فإذا برق البصر (٧) وخسف القمر (٨) وجمع

الشمس والقمر (٩) يقول الإنسان يومئذ أين المفر (١٠) كلا

لا وزر (١١) إلى ربك يومئذ المستقر (١٢) ينبأ الإنسان يومئذ

بما قدم وأخر (١٣)

قوله تعالى: (فإذا برق البصر) قرأ نافع وأبان عن عاصم " برق " بفتح الراء، معناه: لمع

بصره من شدة شخوصه، فتراه لا يطرف. قال مجاهد وغيره: هذا عند الموت. وقال

الحسن:

() النقب: قرحة تخرج في الجنب. والحرب والدبر: قرحة الدابة والبعير.

هذا يوم القيامة. وقال فيه معنى الجواب عما سأل عنه الانسان كأنه يوم القيامة " إذا برق

البصر. وخسف القمر " والباقون بالكسر " برق " ومعناه: تحير فلم يطرف، قاله أبو عمرو والزجاج وغيرهما. قال ذو الرمة:
ولو أن لقمان الحكيم تعرضت * لعينيه مي سافرا كاد يبرق
الفراء والخليل: " برق " بالكسر: فزع وبهت وتحير (١). والعرب تقول للانسان المتحير

المبهوت: قد برق فهو برق، وأنشد الفراء:
فنفسك فانع ولا تنعني * وداو الكلوم ولا تبرق (٢)
أي لا تفزع من كثرة الكلوم التي بك. وقيل: برق يبرق بالفتح: شق عينيه وفتحهما.
قاله أبو عبيدة، وأنشد قول الكلابي:

لما أتاني ابن عمير راغبا * أعطيته عيسا صهايا فبرق (٣)
أي فتح عينيه. وقيل: إن كسر الراء وفتحها لغتان بمعنى.
قوله تعالى: (وخسف القمر) أي ذهب ضوءه. والخسوف في الدنيا إلى انجلاء،
بخلاف الآخرة، فإنه لا يعود ضوءه. ويحتمل أن يكون بمعنى غاب، ومنه قوله تعالى:
" فخشفنا به وبداره الأرض " [القصص: ٨١]. وقرأ ابن أبي إسحاق وعيسى والأعرج:
" وخسف القمر "

بضم الخاء وكسر السين يدل عليه " وجمع الشمس والقمر ". وقال أبو حاتم محمد بن إدريس:

إذا ذهب بعضه فهو الكسوف، وإذا ذهب كله فهو الخسوف (وجمع الشمس والقمر)
أي جمع بينهما في ذهاب ضوءهما، فلا ضوء للشمس كما لا ضوء للقمر بعد خسوفه،
قاله الفراء

والزجاج. قال الفراء: ولم يقل جمعت، لان المعنى جمع بينهما. وقال أبو عبيدة: هو على

تغليب المذكر. وقال الكسائي: هو محمول على المعنى، كأنه قال الضوءان. المبرد:
التأنيث

(١) كلمة (تحير) ساقطة من الأصل المطبوع.

(٢) قائله: طرفة.

(٣) في غير القرطبي: لما أتاني ابن صبيح. والعيس الصهاب هي الإبل التي خالط بياضها حمرة وهي تعد عند العرب من أشرفها.

غير حقيقي. وقال ابن عباس وابن مسعود: جمع بينهما أي قرن بينهما في طلوعهما من المغرب

أسودين مكورين مظلّمين مقرنين كأنهما ثوران عقيران. وقد مضى الحديث بهذا المعنى

في آخر سورة "الانعام" (١). وفي قراءة عبد الله " وجمع بين الشمس والقمر " وقال عطاء

ابن يسار: يجمع بينهما يوم القيامة ثم يقذفان في البحر، فيكونان نار الله الكبرى. وقال علي

وابن عباس: يجعلان في [نور] (٢) الحجب. وقد يجمعان في نار جهنم، لأنهما قد عبدا

من دون الله ولا تكون النار عذاباً لهما لأنهما جماد، وإنما يفعل ذلك بهما زيادة في تبيكيت

الكافرين وحسرتهم. وفي مسند أبي داود الطيالسي، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك

يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الشمس

والقمر ثوران عقيران في النار) وقيل: هذا الجمع أنهما يجتمعان ولا يفترقان، ويقربان من الناس، فيلحقهم العرق لشدة الحر، فكأن المعنى يجمع حرهما عليهم. وقيل: يجمع

الشمس

والقمر، فلا يكون ثم تعاقب ليل ولا نهار.

قوله تعالى: (يقول الانسان يومئذ أين المفر)؟ أي يقول ابن آدم، ويقال:

أبو جهل، أي أين المهرب؟ قال الشاعر:

أين المفر والكباش تنتطح* وأي كبش حاد عنها يفتضح

الماوردي: ويحتمل وجهين: أحدهما " أين المفر " من الله استحياء منه. الثاني " أين

المفر " من جهنم حذراً منها. ويحتمل هذا القول من الانسان وجهين: أحدهما - أن

يكون من الكافر خاصة في عرضة القيامة دون المؤمن، لثقة المؤمن ببشرى ربه. الثاني

-

أن يكون من قول المؤمن والكافر عند قيام الساعة لهول ما شاهدوا منها. وقراءة العامة " المفر "

بفتح الفاء واختاره أبو عبيدة وأبو حاتم، لأنه مصدر. وقرأ ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة

بكسر الفاء مع فتح الميم، قال الكسائي: هما لغتان مثل مدب ومدب، ومصح ومصح.

وعن الزهري بكسر الميم وفتح الفاء. المهدوي: من فتح الميم والفاء من " المفر " فهو

مصدر

-
- (١) راجع ج ٧ ص ١٤٦ .
(٢) الزيادة من كتب التفسير.

بمعنى الفرار، ومن فتح الميم وكسر الفاء فهو الموضع الذي يفر إليه. ومن كسر الميم وفتح الفاء

فهو الانسان الجيد الفرار، فالمعنى أين الانسان الجيد الفرار ولن ينجو مع ذلك.

قلت: ومنه قول امرئ القيس:

* مكر مفر مقبل مدبر معا (١) *

يريد أنه حسن الكر والفر جیده. (كلا) أي لا مفر ف " - كلا " رد وهو من قول الله تعالى،

ثم فسر هذا الرد فقال: " لا وزر " أي لا ملجأ من النار. وكان ابن مسعود يقول: لا حصن.

وكان الحسن يقول: لا جبل. وابن عباس يقول: لا ملجأ. وابن جبیر: لا محيص ولا منعة.

المعنى في ذلك كله واحد. والوزر في اللغة: ما يلجأ إليه من حصن أو جبل أو غيرهما، قال الشاعر:

لعمري ما للفتى من وزر * من الموت يدركه والكبر

قال السدي: كانوا في الدنيا إذا فزعوا تحصنوا في الجبال، فقال الله لهم: لا وزر يعصمكم يومئذ مني، قال طرفة:

ولقد تعلم بكر أننا * فاضلو الرأي وفي الروع وزر

أي ملجأ للخائف. ويروى: وقر. (إلى ربك يومئذ المستقر) أي المنتهى قاله قتادة.

نظيره: (وأن إلى ربك المنتهى). وقال ابن مسعود إلى ربك المصير والمرجع. قيل:

أي المستقر في الآخرة حيث يقره الله تعالى، إذ هو الحاكم بينهم. وقيل: إن " كلا " من قول

الانسان لنفسه إذا علم أنه ليس له مفر قال لنفسه: " كلا لا وزر. إلى ربك يومئذ المستقر ".

قوله تعالى: " ينبأ الانسان " أي يخبر ابن آدم برا كان أو فاجرا " بما قدم وأخر ": أي بما أسلف من عمل سئ أو صالح، أو آخر من سنة سيئة أو صالحة يعمل بها بعده، قاله

ابن عباس وابن مسعود. وروى منصور عن مجاهد قال: ينبأ بأول عمله وآخره. وقاله

النخعي. وقال ابن عباس أيضا: أي بما قدم من المعصية، وأخر من الطاعة. وهو قول قتادة.

(١) تمام البيت: * كحلمود صخر حطه السيل من عل *

وقال ابن زيد: " بما قدم " من أمواله لنفسه " وأخر " : خلف للورثة. وقال الضحاك: ينبأ بما قدم من فرض، وأخر من فرض. قال القشيري: وهذا الانباء يكون في القيامة عند

وزن الأعمال. ويجوز أن يكون عند الموت.

قلت: والأول أظهر، لما خرج ابن ماجة في سننه من حديث الزهري، حدثني أبو عبد الله الأغر عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن مما يلحق

المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره، وولدا صالحا تركه، أو مصحفا ورثه

أو مسجدا بناه، أو بيتا لابن السبيل بناه، أو نهرا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته

تلحقه من بعد موته) وخرجه أبو نعيم الحافظ بمعناه من حديث قتادة عن أنس بن مالك قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سبع يجري أجرهن للعبد بعد موته وهو في قبره: من علم

علما أو أجرى نهرا أو حفر بئرا أو غرس نخلا أو بنى مسجدا أو ورث مصحفا أو ترك ولدا

يستغفر له بعد موته) فقله: (بعد موته وهو في قبره) نص على أن ذلك لا يكون عند الموت، وإنما يخبر بجميع ذلك عند وزن عمله، وإن كان يبشر بذلك في قبره. ودل على هذا

أيضا قوله الحق: " وليحملن أثقالهم وأثقالا مع (١) أثقالهم " [العنكبوت: ١٣] وقوله تعالى: " ومن أوزار

الذين يضلونهم بغير (٢) علم " [النحل: ٢٥] وهذا لا يكون إلا في الآخرة بعد وزن الأعمال. والله أعلم.

وفي الصحيح: (من سن في الاسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر

من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء). قوله تعالى: بل الانسان على نفسه بصيرة (١٤) ولو ألقى

معاذيره (١٥)

قوله تعالى: (بل الانسان على نفسه بصيرة) قال الأخفش: جعله هو البصيرة، كما تقول للرجل أنت حجة على نفسك. وقال ابن عباس: " بصيرة " أي شاهد، وهو شهود جوارحه

(١) راجع ج ١٣ ص ٣٣٠.
(٢) راجع ج ١٠ ص ٩٦.

عليه: يداه بما بطش بهما، ورجلاه بما مشى عليهما، وعيناه بما أبصر بهما. والبصيرة: الشاهد. وأنشد الفراء:

كأن على ذي العقل عينا بصيرة * بمقعده أو منظر هو ناظره
يحاذر حتى يحسب الناس كلهم * من الخوف لا تخفى عليهم سرائره
ودليل هذا التأويل من التنزيل قوله تعالى: " يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم
بما كانوا يعملون " (١) [النور: ٢٤]. وجاء تأنيث البصيرة لان المراد بالانسان ها هنا
الجوارح، لأنها شاهدة

على نفس الانسان، فكأنه قال: بل الجوارح على نفس الانسان بصيرة، قال معناه القتيبي
وغيره. وناس يقولون: هذه الهاء في قوله: " بصيرة " هي التي يسميها أهل الاعراب هاء
المبالغة، كالهاء في قولهم: داهية وعلامة وراوية. وهو قول أبي عبيد. وقيل المراد
بالبصيرة

الكاتبان اللذان يكتبان ما يكون منه من خير أو شر، يدل عليه قوله تعالى: " ولو ألقى
معاذيره " فيمن جعل المعاذير الستور. وهو قول السدي والضحاك. وقال بعض أهل
التفسير:

المعنى بل على الانسان من نفسه بصيرة، أي شاهد فحذف حرف الجر. ويجوز أن
يكون

" بصيرة " نعنا لاسم مؤنث فيكون تقديره: بل الانسان على نفسه عين بصيرة، وأنشد
الفراء:

* كأن على ذي العقل عينا بصيرة *

وقال الحسن في قوله تعالى: " بل الانسان على نفسه بصيرة " يعني بصير بعيوب غيره،
جاهل بعيوب نفسه. (ولو ألقى معاذيره) أي ولو أرخى ستوره. والستر بلغة أهل اليمن:
معدار، قاله الضحاك وقال الشاعر:

ولكنها ضنت بمنزل ساعة * علينا وأطت فوقها بالمعادر

قال الزجاج: المعادر: الستور، والواحد معدار، أي وإن أرخى ستره، يريد أن يخفى
عمله، فنفسه شاهدة عليه. وقيل: أي ولو أعتذر فقال لم أفعل شيئاً، لكان عليه من نفسه
من يشهد عليه من جوارحه، فهو وإن اعتذر وجادل عن نفسه، فعليه شاهد يكذب

(١) راجع ج ١٢ ص ٢١٠.

عذره، قاله مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وعبد الرحمن بن زيد وأبو العالية وعطاء
والفراء
والسدي أيضا ومقاتل. قال مقاتل: أي لو أدلى بعذر أو حجة لم ينفعه ذلك. نظيره قوله
تعالى: "يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم" [غافر: ٥٢] وقوله: "ولا يؤذن لهم فيعتذرون
" [المرسلات: ٣٦] فالمعاذير
على هذا: مأخوذ من العذر، قال الشاعر:
وإياك والامر الذي إن توسعت * موارد ضاقت عليك المصادر
فما حسن أن يعذر المرء نفسه * وليس له من سائر الناس عاذر
واعتذر رجل إلى إبراهيم النخعي فقال له: قد عذرتك غير معتذر، إن المعاذير يشوبها
الكذب. وقال ابن عباس: "ولو ألقى معاذيره" أي لو تجرد من ثيابه. حكاه
الماوردي.
قلت: والأظهر أنه الادلاء بالحجة والاعتذار من الذنب، ومنه قول النابغة:
ها إن ذي عذرة إلا تكن نفعت * فإن صاحبها مشارك النكد
والدليل على هذا قوله تعالى في الكفار "والله ربنا ما كنا (١) مشركين" [الانعام:
٢٣] وقوله تعالى
في المنافقين: "يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم" (٢) [المجادلة:
١٨]. وفي الصحيح أنه
يقول: (يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسولك، وصليت وصمت وتصدقت، ويشني بخير
ما استطاع) الحديث. وقد تقدم في "حم السجدة" (٣) وغيرها. والمعاذير والمعاذر:
جمع معذرة،
ويقال: عذرته فيما صنع أعذره عذرا وعذرا، والاسم المعذرة والعذري، قال الشاعر:
(٤)
* إنني حددت ولا عذرى لمحدود *

(١) راجع ج ٦ ص ٤٠١.

(٢) راجع ج ١٧ ص ٢٨٩.

(٣) راجع ج: ١٥ ص ٣٥ ففيه معنى ما أشار إليه القرطبي وأما الحديث فقد أورده في سورة الأنعام ج ٦
ص ٤٠٢

(٤) قائله الجموح الظفري. وقيل: هو راشد بن عبد ربه. وعذرى مقصور. وفي اللسان: صواب إنشاده لولا
حددت. على إرادة أن تقديره: لولا أن حددت لان لولا التي معناها امتناع الشيء لوجود غيره هي مخصوصة
بالأسماء
وقد تقع بعدها الافعال على تقدير أن.

وكذلك العذرة وهي مثل الركبة والجلسة، قال النابغة:
ها إن تا عذرة إلا تكن نفعت * فإن صاحبها قد تاه في البلد (١)

وتضمنت هذه الآية خمس مسائل:

الأولى - قال القاضي أبو بكر بن العربي قوله تعالى: " بل الانسان على نفسه بصيرة. ولو ألقى معاذيره ": فيها دليل على قبول إقرار المرء على نفسه، لأنها بشهادة منه عليها،

قال الله سبحانه وتعالى: " يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون " [النور: ٢٤]

ولا خلاف فيه، لأنه إخبار على وجه تنتفي التهمة عنه، لان العاقل لا يكذب على نفسه، وهي المسألة:

وقد قال سبحانه في كتابه الكريم: " وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم

على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين " (٢) [آل عمران: ٨١] ثم قال تعالى: " وآخرون

اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر (٣) سيئا " [التوبة: ١٠٢] وهو في الآثار كثير، قال النبي صلى الله عليه

وسلم: (اغدي يا أنيس على امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها). فأما إقرار الغير على الغير بوارث أو دين فقال مالك: الامر بالمجتمع عليه عندنا في الرجل يهلك وله بنون، فيقول أحدهم: إن أبي قد أقر أن فلانا ابنه، أن ذلك النسب لا يثبت بشهادة إنسان واحد، ولا يجوز إقرار الذي أقر إلا على نفسه في حصته من مال أبيه، يعطى الذي شهد له قدر الدين (٤)

الذي يصيبه من المال الذي في يده. قال مالك: وتفسير ذلك أن يهلك الرجل ويترك ابنين ويترك

ستمائة دينار، ثم يشهد أحدهما بأن أباه الهالك أقر أن فلانا ابنه، فيكون على الذي شهد للذي

استحق مائة دينار، وذلك نصف ميراث المستلحق لو لحق، وإن أقر له الآخر أخذ المائة الأخرى فاستكمل حقه وثبت نسبه. وهو أيضا بمنزلة المرأة تقر بالدين على أبيها أو على زوجها

(١) تقدم البيت برواية: ها إن ذي - مشارك الكمد. وهما روايتان.

(٢) راجع ج ٤ ص ١٢٤.

(٣) راجع ج ٨ ص ٢٤٠.

(٤) كلمة (الدين) ساقطة من ز، ط، ل، المتطوع.

(١٠٢)

وينكر ذلك الورثة، فعليها أن تدفع إلى الذي أقرت له قدر الذي يصيبها من ذلك الدين لو ثبت على الورثة كلهم، إن كانت امرأة فورثت الثمن دفعت إلى الغريم ثمن دينه، وإن

كانت ابنة ورثت النصف دفعت إلى الغريم نصف دينه، على حساب هذا يدفع إليه من أقر له من النساء.

الثالثة - لا يصح الاقرار إلا من مكلف، لكن بشرط ألا يكون محجورا عليه، لان الحجر يسقط قوله إن كان لحق نفسه، فإن كان لحق غيره كالمريض كان منه ساقط،

ومنه جائز. وبيانه في مسائل الفقه. وللعبد حالتان في الاقرار: إحداهما في ابتدائه، ولا خلاف فيه على الوجه المتقدم. والثانية في انتهائه، وذلك مثل إبهام الاقرار، وله صور

كثيرة وأمهاها ست: الصورة الأولى - أن يقول له عندي شيء، قال الشافعي: لو فسر به بتمرة أو كسرة قبل منه. والذي تقتضيه أصولنا أنه لا يقبل إلا فيما له قدر، فإذا فسر به قبل منه وحلف عليه. الصورة الثانية - أن يفسر هذا بخمر أو خنزير أو ما لا يكون مالا في الشريعة: لم يقبل باتفاق ولو ساعده عليه المقر له. الصورة الثالثة -

أن يفسره بمختلف فيه مثل جلد الميتة أو سرقين أو كلب، [فإن الحاكم يحكم عليه في ذلك بما يراه

من رد وإمضاء] (١) فإن رده لم يحكم عليه حاكم آخر غيره بشيء، لان الحكم قد نفذ بإبطاله، وقال

بعض أصحاب الشافعي: يلزم الخمر والخنزير، وهو قول باطل. وقال أبو حنيفة: إذا قال له

علي شيء لم يقبل تفسيره إلا بمكيل أو موزون، لأنه لا يثبت في الذمة بنفسه إلا هما. وهذا

ضعيف، فإن غيرهما يثبت في الذمة إذا وجب ذلك إجماعا. الصورة الرابعة - إذا قال له:

عندي مال قبل تفسيره بما لا يكون مالا في العادة كالدرهم والدرهمين، ما لم يجيء من قرينة

الحال ما يحكم عليه بأكثر منه. الصورة الخامسة - أن يقول له: عندي مال كثير أو عظيم،

فقال الشافعي: يقبل في الحبة. وقال أبو حنيفة: لا يقبل إلا في نصاب الزكاة. وقال علماءنا في ذلك أقوالا مختلفة، منها نصاب السرقة والزكاة والدية وأقله عندي نصاب السرقة،

(١) ما بين المربعين ساقط من الأصل المطبوع.

(١٠٣)

لأنه لا بيان عضو المسلم إلا في مال عظيم. وبه قال أكثر الحنفية. ومن يعجب فيتعجب

لقول الليث بن سعد: إنه لا يقبل في أقل من اثنين وسبعين درهما. فقيل له: ومن أين تقول ذلك؟ قال: لان الله تعالى قال: " لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين " (١) [التوبة: ٢٥]

وغزواته وسراياه كانت اثنتين وسبعين. وهذا لا يصح، لأنه أخرج حيننا منها، وكان حقه أن

يقول يقبل في أحد وسبعين، وقد قال الله تعالى: " اذكروا الله ذكرا كثيرا " [الأحزاب: ٤١]، وقال: " لا خير

في كثير من نجواهم " [النساء: ١١٤]، وقال: " وألغنهم لعنا كبيرا " [الأحزاب: ٦٨]. الصورة السادسة - إذا قال له: عندي

عشرة أو مائة أو ألف، فإنه يفسرها بما شاء ويقبل منه، فإن قال ألف درهم أو مائة وعبد

أو مائة وخمسون درهما فإنه يفسر المبهم ويقبل منه. وبه قال الشافعي: وقال أبو حنيفة:

إن عطف على العدد المبهم مكيلا أو موزونا كان تفسيرا، كقوله: مائة وخمسون درهما، لان

الدرهم تفسير للخمسين، والخمسين تفسير للمائة. وقال ابن خيران الإصطخري من أصحاب الشافعي:

الدرهم لا يكون تفسيرا في المائة والخمسين إلا للخمسين خاصة ويفسر هو المائة بما شاء.

المسألة الرابعة - قوله تعالى: " ولو ألقى معاذيره " ومعناه لو اعتذر بعد الاقرار لم يقبل منه. وقد اختلف العلماء فيمن رجع بعد ما أقر في الحدود التي هي خالص حق الله، فقال

أكثرهم منهم الشافعي وأبو حنيفة: يقبل رجوعه بعد الاقرار. وقال به مالك في أحد قولييه،

وقال في القول الآخر: لا يقبل إلا أن يذكر لرجوعه وجها صحيحا. والصحيح جواز الرجوع

مطلقا، لما روى الأئمة منهم البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم رد المقر بالزنى مرارا

أربعا كل مرة يعرض عنه، ولما شهد على نفسه أربع مرات دعاه النبي صلى الله عليه وسلم

وقال: (أبك جنون) قال: لا. قال: (أحصنت) قال: نعم. وفي حديث البخاري:

(لعلك قبلت أو غمزت أو نظرت). وفي النسائي وأبي داود: حتى قال له في الخامسة (أجامعتها) (٢) قال: نعم. قال: (حتى غاب ذلك منك في ذلك منها) قال: نعم. قال: (كما يغيب المرود في المكحلة والرشاء في البئر). قال: نعم. ثم قال: (هل تدري ما الزنى) قال: نعم، أتيت منها حراما مثل ما يأتي الرجل من أهله حلالا. قال: (فما تريد مني)؟

(١) جملة (ويوم حنين) ساقطة من ز، ط والمطبوع.

(٢) اللفظ في رواية لأبي داود.

قال: أريد أن تطهرني. قال: فأمر به فرجم. قال الترمذي وأبو داود: فلما وجد مس الحجارة فرشتد (١)، فضربه رجل بلحي جمل، وضربه الناس حتى مات. فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

(هلا تركتموه) وقال أبو داود والنسائي: لثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأما لترك حد فلا. وهذا كله طريق للرجوع وتصريح بقبوله. وفي قوله عليه السلام: (لعلك قبلت أو غمزت) إشارة إلى قول مالك: إنه يقبل رجوعه إذا ذكر وجهها. الخامسة - وهذا في الحر المالك لأمر نفسه، فأما العبد فإن إقراره لا يخلو من أحد قسمين: إما أن يقر على بدنه، أو على ما في يده وذمته، فإن أقر على ما في بدنه فيما فيه عقوبة من

القتل فما دونه نفذ ذلك عليه. وقال محمد بن الحسن: لا يقبل ذلك منه، لان بدنه مستغرق

لحق السيد، وفي إقراره إتلاف حقوق السيد في بدنه، ودليلنا قوله صلى الله عليه وسلم:

(من أصاب من هذه القاذورات شيئاً فليستتر بستر الله، فإن من يبدلنا صفحته نقم عليه الحد).

المعنى: أن محل العقوبة أصل الخلقة، وهي [الدمية] (٢) في الآدمية، ولا حق للسيد فيها، وإنما حقه

في الوصف والتبع، وهي المالية الطارئة عليه، ألا ترى أنه لو أقر بمال لم يقبل، حتى قال

أبو حنيفة: إنه لو قال سرقت هذه السلعة أنه لم تقطع يده ويأخذها المقر له. وقال علماؤنا:

السلعة للسيد ويتبع العبد بقيمتها إذا عتق، لان مال العبد للسيد إجماعاً، فلا يقبل قوله فيه

ولا إقراره عليه، لا سيما وأبو حنيفة يقول: إن العبد لا ملك له ولا يصح أن يملك ولا يملك، ونحن وإن قلنا إنه يصح تملكه. ولكن جميع ما في يده لسيدته بإجماع على القولين. والله أعلم.

قوله تعالى: لا تحرك به لسانك لتعجل به (١٦) إن علينا جمعه وقرآنه (١٧) فإذا قرأناه فاتبع قرآنه (١٨) ثم إن علينا بيانه (١٩) كلا بل تحبون العاجلة (٢٠) وتذرون الآخرة (٢١)

(١) يشند: يعدو.

(٢) التصحيح من ابن العربي. وفي الأصول (الذمة).

(1.0)

قوله تعالى: (لا تحرك به لسانك لتعجل به) في الترمذي: عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه القرآن يحرك به لسانه، يريد أن يحفظه، فأنزل الله تبارك وتعالى: " لا تحرك به لسانك لتعجل به " قال: فكان يحرك به شفثيه. وحرك سفیان شفثيه. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. ولفظ مسلم عن

ابن جبير عن ابن عباس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة، كان يحرك شفثيه، فقال لي ابن عباس: أنا أحركهما كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما، فقال سعيد: أنا أحركهما كما كان ابن عباس يحركهما، فحرك شفثيه، فأنزل الله عز وجل: " لا تحرك

به لسانك لتعجل به. إن علينا جمعه وقرآنه " قال جمعه في صدرك ثم تقرؤه " فإذا قرأناه

فاتبع قرآنه " قال فاستمع له وأنصت. ثم إن علينا أن نقرأه، قال: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل عليهما السلام استمع، وإذا انطلق جبريل عليه السلام قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما أقرأه، خرجه البخاري أيضا. ونظير هذه الآية قوله تعالى:

" ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه " [طه: ١١٤] (١) وقد تقدم. وقال عامر الشعبي: إنما

كان يعجل بذكره إذا نزل عليه من حبه له، وحلاوته في لسانه، فنهى عن ذلك حتى يجتمع،

لأن بعضه مرتبط ببعض، وقيل: كان عليه السلام إذا نزل عليه الوحي حرك لسانه مع الوحي مخافة أن ينساه، فنزلت " ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه " [طه: ١١٤]

ونزل: " سنقرئك فلا تنسى " [الاعلى: ٦] ونزل: " لا تحرك به لسانك " قاله ابن عباس: " وقرآنه " أي

وقراءته عليك. والقراءة والقرآن في قول الفراء مصدران. وقال قتادة: " فاتبع قرآنه " أي فاتبع شرائعه وأحكامه. وقوله: (ثم إن علينا بيان) أي تفسير ما فيه من الحدود والحلال والحرام، قاله قتادة. وقيل: ثم إن علينا بيان ما فيه من الوعد والوعيد وتحققهما.

وقيل: أي إن علينا أن نبينه بلسانك. قوله تعالى: " كلا " قال ابن عباس: أي إن

(١) راجع ج ١١ ص ٢٥٠.

(١٠٦)

أبا جهل لا يؤمن بتفسير القرآن وبيانه. وقيل: أي (كلا) لا يصلون ولا يزكون يريد
كفار
مكة. " بل تحبون " أي بل تحبون يا كفار أهل مكة " العاجلة " أي الدار الدنيا والحياة
فيها " وتذرون " أي تدعون " الآخرة " والعمل لها. وفي بعض التفسير قال: الآخرة
الجنة.
وقرأ أهل المدينة والكوفيون " بل تحبون " " وتذرون " بالتاء فيهما على الخطاب
واختاره
أبو عبيد، قال: ولولا الكراهة لخلاف هؤلاء القراء لقرأتها بالياء، لذكر الانسان قبل
ذلك.
الباقون بالياء على الخبر، وهو اختيار أبي حاتم، فمن قرأ بالياء فردا على قوله تعالى: "
ينبأ الانسان " [القيامة: ١٣]
وهو بمعنى الناس. ومن قرأ بالتاء فعلى أنه واجههم بالتقريع، لان ذلك أبلغ في
المقصود،
نظيره: " إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا " (١) [الانسان: ٢٧].
قوله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة (٢٢) إلى ربها ناظرة (٢٣) ووجوه
يومئذ باسرة (٢٤) تظن أن يفعل بها فاقرة (٢٥)
قوله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة) الأول من النضرة التي هي
الحسن والنعمة. والثاني من النظر أي وجوه المؤمنين مشرقة حسنة ناعمة، يقال:
نضروهم
الله ينضروهم نضرة ونضارة وهو الاشراق والعيش والغنى، ومنه الحديث (نضر (٢) الله
امراً
سمع مقالتي فوعاها). " إلى ربها " إلى خالقها ومالكها (ناظرة) أي تنظر إلى ربها
على هذا جمهور العلماء. وفي الباب حديث صهيب خرجته مسلم وقد مضى في
(يونس) عند
قوله تعالى: (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) (٣). وكان ابن عمر يقول: أكرم أهل
الجنة
على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية، ثم تلا هذه الآية: " وجوه يومئذ ناضرة. إلى
ربها
ناظرة " وروى يزيد النحوي عن عكرمة قال: تنظر إلى ربها نظرا. وكان الحسن
يقول: نضرت وجوههم ونظروا إلى ربهم.

(١) راجع ص ١٤٨ من هذا الجزء.

(٢) يروى الحديث بالتخفيف والتشديد من النضارة وهي

في الأصل حسن الوجه والبريق.
(٣) راجع ج ٨ ص ٣٣٠

(١٠٧)

وقيل: إن النظر هنا انتظار ما لهم عند الله من الثواب. وروي عن ابن عمر ومجاهد. وقال عكرمة: تنتظر أمر ربها. حكاه الماوردي عن ابن عمر وعكرمة أيضا. وليس معروفا

إلا عن مجاهد وحده. واحتجوا بقوله تعالى: " لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار " [الانعام: ١٠٣] وهذا

القول ضعيف جدا، خارج عن مقتضى ظاهر الآية والاحبار. وفي الترمذي عن ابن عمر قال: قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه وخدمه

وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية) ثم قرأ رسول الله

صلى الله عليه وسلم: " وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة " قال هذا حديث غريب. وقد روى عن ابن عمرو ولم يرفعه. وفي صحيح مسلم عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب

آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على

وجهه في جنة عدن). وروى جرير بن عبد الله قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

جلوسا، فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: (إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها

فافعلوا). ثم قرأ " وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب " متفق عليه. وخرجه

أيضا أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح. وخرج أبو داود عن أبي رزين العقيلي

قال: قلت يا رسول الله أكلنا يرى ربه؟ قال ابن معاذ: مخليا به يوم القيامة؟ قال: (نعم يا أبا رزين) قال: وما آية ذلك في خلقه؟ قال: (يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر) قال ابن معاذ: ليلة البدر مخليا به. قلنا: بلى. قال: (فالله أعظم) [قال ابن معاذ قال] (١):

(فإنما هو خلق من خلق الله - يعني القمر - فالله أجل وأعظم). وفي كتاب النسائي عن صهيب قال: (فيكشف الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم

من النظر، ولا أقر لأعينهم) وفي التفسير لأبي إسحاق الثعلبي عن الزبير عن جابر قال:

(١) الزيادة من مسند أبي داود.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [يتجلى ربنا عز وجل حتى ينظروا إلى وجهه، فيخرون له سجدا، فيقول ارفعوا رءوسكم فليس هذا بيوم عبادة] قال الثعلبي: وقول مجاهد إنها بمعنى تنتظر الثواب من ربها ولا يراه شيء من خلقه، فتأويل مدخول، لان العرب

إذا أرادت بالنظر الانتظار قالوا نظرت، كما قال تعالى: " هل ينظرون إلا الساعة " [الزخرف: ٦٦]، " هل

ينظرون إلا تأويله " [الأعراف: ٥٣]، و " ما ينظرون إلا صيحة واحدة " [يس: ٤٩] وإذا أرادت به التفكير والتدبر قالوا:

نظرت فيه، فأما إذا كان النظر مقرونا بذكر إلى، وذكر الوجه فلا يكون إلا بمعنى الرؤية والعيان.

وقال الأزهري: إن قول مجاهد تنتظر ثواب ربها خطأ، لأنه لا يقال نظر إلى كذا بمعنى الانتظار، وإن قول القائل: نظرت إلى فلان ليس إلا رؤية عين، كذلك تقوله العرب، لأنهم يقولون نظرت إليه: إذا أرادوا نظر العين، فإذا أرادوا الانتظار قالوا نظرت، قال: فإنكما إن تنظراني ساعة * من الدهر تنفعني لدى أم جندب لما أراد الانتظار قال تنظراني، ولم يقل تنظران إلي، وإذا أرادوا نظر العين قالوا: نظرت إليه، قال:

نظرت إليها والنجوم كأنها * مصاييح رهبان تشب لقفال (١)
وقال آخر:

نظرت إليها بالمحصب من منى * ولي نظر (٢) لولا التخرج عارم
وقال آخر:

إني إليك لما وعدت لناظر * نظر الفقير إلى الغني الموسر
أي إني أنظر إليك بذل، لان نظر الذل والخضوع أرق لقلب المسؤول، فأما ما استدلوا به من قوله تعالى: " لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار " [الانعام: ١٠٣] فإنما ذلك

(١) تشب: توقد. والقفال جمع قافل وهو الراجع من السفر. البيت من قصيدة لامرئ القيس.

(٢) في نسخ الأصل نظرة والصواب ما ذكرنا كما في ديوان قائله وهو عمر بن ربيعة.

في الدنيا. وقد مضى القول فيه (١) في موضعه مستوفى. وقال عطية العوفي: ينظرون إلى الله لا تحيط أبصارهم به من عظمته، ونظره يحيط بها، يدل عليه: " لا تدركه الابصار

وهو يدرك الابصار " [الانعام: ١٠٣] قال القشيري أبو نصر: وقيل: " إلى " واحد الآلاء: أي نعمه منتظرة وهذا أيضا باطل، لان واحد الآلاء يكتب بالألف لا بالياء، ثم الآلاء: نعمه الدفع (٢)، وهم

في الجنة لا ينتظرون دفع نقمه عنهم، والمنتظر للشئ متنغص العيش، فلا يوصف أهل الجنة

بذلك. وقيل: أضاف النظر إلى الوجه، وهو كقوله تعالى: " تجري من تحتها الأنهار " [المائدة: ١١٩]

والماء يجري في النهر لا النهر. ثم قد يذكر الوجه بمعنى العين، قال الله تعالى: " فألقوه على

وجه أبي يأت بصيرا " [يوسف: ٩٣] أي على عينيه. ثم لا يبعد قلب العادة غدا، حتى يخلق الرؤية والنظر

في الوجه، وهو كقوله تعالى: " أفمن يمشي مكبا على وجهه " [الملك: ٢٢]، فقيل: يا رسول الله! كيف

يمشون في النار على وجوههم؟ قال: [الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم].

(ووجوه يومئذ باسرة) أي وجوه الكفار يوم القيامة كالحة كاسفة عابسة. وفي الصحاح:

وبسر الفحل الناقة وابتسرها: إذا ضربها من غير ضبعة (٣). وبسر الرجل وجهه بسورا أي كلح،

يقال: عبس وبسر. وقال السدي: " باسرة " أي متغيرة والمعنى واحد. (تظن أن يفعل بها

فاقرة) أي توقن وتعلم، والفاقرة: الداهية والامر العظيم، يقال: فقرته الفاقرة: أي كسرت فقار ظهره. قال معناه مجاهد وغيره. وقال قتادة: الفاقرة الشر. السدي: الهلاك.

ابن عباس وابن زيد: دخول النار. والمعنى متقارب وأصلها الوسم على أنف البعير بحديدة

أو نار حتى يخلص إلى العظم، قاله الأصمعي. يقال: فقرت أنف البعير: إذا حزته بحديدة

ثم جعلت على موضع الحز الجريير (٤) وعليه وتر ملوي، لتدله بذلك وتروضه، ومنه قولهم:

قد عمل به الفاقرة. وقال النابغة:
أبى لي قبر لا يزال مقابلي * وضربة فأس فوق رأسي فاقره
أي كاسرة.

-
- (١) راجع ج ٧ ص ٥٤.
(٢) هكذا في كل الأصول.
(٣) ضبعت الناقة: اشتتت الفحل.
(٤) الجرير: حبل من آدم يخطم به البعير.

قوله تعالى: كلا إذا بلغت التراقي (٢٦) وقيل من راق (٢٧) وظن أنه الفراق (٢٨) والتفت الساق بالساق (٢٩) إلى ربك يومئذ المساق (٣٠)

قوله تعالى: (كلا إذا بلغت التراق) " كلا " ردع وزجر، أي بعيد أن يؤمن الكافر بيوم القيامة، ثم استأنف فقال: " إذا بلغت التراقي " أي بلغت النفس أو الروح التراقي، فأخبر عما لم يجر له ذكر، لعلم المخاطب به، كقوله تعالى: " حتى توارت بالحجاب " [ص: ٣٢] وقوله تعالى:

" فلولا إذا بلغت الحلقوم " [الواقعة: ٨٣] وقد تقدم (١). وقيل: " كلا " معناه حقا، أي حقا أن المساق إلى

الله " إذا بلغت التراقي " أي إذا ارتقت النفس إلى التراقي. وكان ابن عباس يقول: إذا بلغت نفس الكافر التراقي. والتراقي جمع ترقوة وهي العظام المكتنفة لنقرة النحر، وهو مقدم

الحلق من أعلى الصدر، موضع الحشرجة، قال دريد بن الصمة (٢).

ورب عزيمة دافعت عنهم * وقد بلغت نفوسهم التراقي
وقد يكنى عن الاشفاء على الموت ببلوغ النفس التراقي، والمقصود تذكيرهم شدة الحال

عند نزول الموت.

قوله تعالى: (وقيل من راق) اختلف فيه، فقيل: هو من الرقية، عن ابن عباس وعكرمة وغيرهما. روي سماك عن عكرمة قال: من راق يرقى: أي يشفي. وروى ميمون بن

مهران عن ابن عباس: أي هل من طبيب يشفيه، وقاله أبو قلابة وقتادة، وقال الشاعر:

هل للفتى من بنات الدهر من واق * أم هل له من حمام الموت من راق

(١) راجع ج ١٥ ص ١٩٥ و ج ١٧ ص ٢٣٠.

(٢) كذا في الأصل. والبيت لابنته عمرة من قصيدة لها ترثي بها أبها كما في شعراء النصرانية.

وكان هذا على وجه الاستبعاد واليأس، أي من يقدر أن يرقى من الموت. وعن ابن عباس أيضا وأبي الجوزاء أنه من رقى يرقى: إذا صعد، والمعنى: من يرقى بروحه إلى السماء؟

أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ وقيل: إن ملك الموت يقول من راق؟ أي من يرقى بهذه

النفس، وذلك أن نفس الكافر تكره الملائكة قربها، فيقول ملك الموت: يا فلان اصعد بها. وأظهر عاصم وقوم النون في قوله تعالى: " من راق " واللام في قوله: " بل ران " لئلا يشبهه راق وهو بائع المرققة، وبران في تشية البر. والصحيح ترك الاظهار، وكسرة القاف

في " من راق "، وفتحة النون في " بل ران " تكفى في زوال اللبس. وأمثلة مما ذكر: قصد

الوقف على " من " و " بل "، فأظهرهما، قاله القشيري. قوله تعالى: " وظن " أي أيقن الانسان " أنه الفراق " أي فراق الدنيا والأهل والمال والولد، وذلك حين عاين الملائكة. قال الشاعر: فراق ليس يشبهه فراق * قد انقطع الرجاء عن التلاق (والتفت الساق بالساق) أي فاتصلت الشدة بالشدة، شدة آخر الدنيا بشدة أول الآخرة، قاله

ابن عباس والحسن وغيرهما. وقال الشعبي وغيره: المعنى التفت ساقا الانسان عند الموت من شدة الكرب. وقال قتادة: أما رأيته إذا أشرف على الموت يضرب إحدى رجله على الأخرى.

وقال سعيد بن المسيب والحسن أيضا: هما ساقا الانسان إذا التفتا في الكفن. وقال زيد ابن أسلم: التفت ساق الكفن بساق الميت. وقال الحسن أيضا: ماتت رجلاه وبيست ساقاه فلم تحملاه، ولقد كان عليهما جوالا. قال النحاس: القول الأول أحسنها. وروى علي

ابن أبي طلحة عن ابن عباس: " والتفت الساق بالساق " قال: آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة، فتلتقي الشدة بالشدة إلا من رحمه الله، أي شدة كرب الموت بشدة هول

المطلع، والدليل على هذا قوله تعالى: " إلى ربك يومئذ المساق " وقال. مجاهد: بلاء بلاء. يقول: تتابع عليه الشدائد. وقال الضحاك وابن زيد: اجتمع عليه أمران شديدان: الناس يجهزون جسده، والملائكة يجهزون روحه، والعرب لا تذكر الساق إلا في المحن

والشدائد العظام، ومنه قولهم: قامت الدنيا على ساق، وقامت الحرب على ساق.
قال الشاعر:

* وقامت الحرب بنا على ساق (١) *
وقد مضى هذا المعنى في آخر سورة " ن (٢) والقلم ". وقال قوم: الكافر تعذب روحه
عند

خروج نفسه، فهذه الساق الأولى، ثم يكون بعدهما ساق البعث وشدائده " إلى ربك "
أي إلى خالقك " يومئذ " أي يوم القيامة " المساق " أي المرجع. وفي بعض التفاسير
قال:

يسوقه ملكه الذي كان يحفظ عليه السيئات. والمساق: المصدر من ساق يسوق،
كالمقال من
قال يقول.

قوله تعالى: فلا صدق ولا صلى (٣١) ولكن كذب وتولى (٣٢)
ثم ذهب إلى أهله يتمطى (٣٣) أولى لك فأولى (٣٤) ثم أولى لك
فأولى (٣٥)

قوله تعالى: (فلا صدق ولا صلى) أي لم يصدق أبو جهل ولم يصل. وقيل: يرجع
هذا إلى الانسان في أول السورة، وهو اسم جنس. والأول قول ابن عباس. أي لم
يصدق

بالرسالة " ولا صلى " ودعا لربه، وصلى على رسوله. وقال قتادة: فلا صدق بكتاب
الله،

ولا صلى لله. وقيل: ولا صدق بمال له، ذخرا له عند الله، ولا صلى الصلوات التي
أمره الله بها. وقيل: فلا آمن بقلبه ولا عمل ببدنه. قال الكسائي: " لا " بمعنى لم
ولكنه يقرن بغيره، تقول العرب: لا عبد الله خارج ولا فلان، ولا تقول: مررت
برجل لا محسن حتى يقال ولا مجمل، وقوله تعالى: " فلا اقتحم العقبة " [البلد: ١١]
ليس من هذا

القبيل، لان معناه أفلا أقتحم، أي فهلا اقتحم، فحذف ألف الاستفهام. وقال الأخفش:
" فلا صدق " أي لم يصدق، كقوله: " فلا اقتحم " أي لم يقتحم، ولم يشترط أن يعقبه

(١) صدر البيت: * صبرا أمام إنه شر باق *

(٢) راجع ج ١٨ ص ٢٤٨.

بشيء آخر، والعرب تقول: لا ذهب، أي لم يذهب، فحرف النفي ينفي الماضي كما ينفي

المستقبل، ومنه قول زهير:

* فلا هو أبداها ولم يتقدم (١) *

قوله تعالى: (ولكن كذب وتولى) أي كذب بالقرآن وتولى عن الإيمان (ثم ذهب إلى أهله يتمطى) أي يتبختر، افتخارا بذلك، قاله مجاهد وغيره. مجاهد: المراد به أبو جهل.

وقيل: " يتمطى " من المطا وهو الظهر، والمعنى يلوي مطاه. وقيل: أصله يتمطط، وهو التمدد

من التكسل والتثاقل، فهو يتثاقل عن الداعي إلى الحق، فأبدل من الطاء ياء كراهة التضعيف،

والتمطي يدل على قلة الاكتر، وهو التمدد، كأنه يمد ظهره ويلويه من التبخر. والمطيطة

الماء الخاثر في أسفل الحوض، لأنه يتمطى أي يتمدد، وفي الخبر: (إذا مشت أمتي الميطياء (٢)

وخدمتهم فارس والروم كان بأسهم بينهم ". والميطياء: التبخر ومد اليدين في المشي. قوله تعالى: (أولى لك فأولى. ثم أولى لك فأولى): تهديد بعد تهديد، ووعيد بعد وعيد،

أي فهو وعيد أربعة لأربعة، كما روى أنها نزلت في أبي جهل الجاهل بربه فقال: " فلا صدق ولا صلى. ولكن كذب وتولى " أي لا صدق رسول الله، ولا وقف بين يدي فصلى،

ولكن كذب رسولي، وتولى عن التصليية بين يدي. فترك التصديق خصلة، والتكذيب خصلة، وترك الصلاة خصلة، والتولي عن الله تعالى خصلة، فجاء الوعيد أربعة مقابلة لترك

الخصال الأربعة. والله أعلم. لا يقال: فإن قوله: " ثم ذهب إلى أهله يتمطى " خصلة خامسة، فإننا نقول: تلك كانت عادته قبل التكذيب والتولي، فأخبر عنها. وذلك بين في قول

قتادة على ما ذكره. وقيل: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المسجد ذات يوم، (٣)

فاستقبله أبو جهل على باب المسجد، مما يلي باب بني مخزوم، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم

- (١) صدر البيت: * وكان طوى كشحا على مستكنة *
- (٢) المطيطاء يمد ويقصر قال ابن الأثير: وهي من المصغرات التي لم يستعمل لها مكبر.
- (٣) في ز، ط، ل: (ذات ليلة).

بيده، فهزه مرة أو مرتين ثم قال: (أولى لك فأولى) فقال له أبو جهل: أتهددني؟ فوالله إني لأعز أهل الوادي وأكرمه. ونزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال

لأبي جهل. وهي كلمة وعيد. قال الشاعر:
فأولى ثم أولى ثم أولى * وهل للدر يحلب من مرد
قال قتادة: أقبل أبو جهل بن هشام يتبختر، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيده فقال:
[أولى لك فأولى، ثم أولى لك فأولى]. فقال: ما تستطيع أنت ولا ربك لي شيئاً، إني لأعز

من بين جليلها. فلما كان يوم بدر أشرف على المسلمين فقال: لا يعبد الله بعد هذا اليوم أبداً.

فضرب الله عنقه، وقتله شر قتلة. وقيل: معناه: الويل لك، ومنه قول الخنساء:

هممت بنفسي كل الهموم * فأولى لنفسي أولى لها
سأحمل نفسي على آلة (١) * فإما عليها وإما لها

الآلة: الحالة، والآلة: السرير أيضاً الذي يحمل عليه الميت، وعلى هذا التأويل قيل: هو من المقلوب، كأنه قيل: أويل، ثم آخر الحرف المعتل، والمعنى: الويل لك حياً، والويل لك ميتاً، والويل لك يوم البعث، والويل لك يوم تدخل النار، وهذا التكرير كما قال (٢):

* لك الويلات إنك مرجلي *

أي لك الويل، ثم الويل، ثم الويل، وضعف هذا القول. وقيل: معناه الذم لك، أولى من تركه، إلا أنه كثير في الكلام فحذف. وقيل: المعنى أنت أولى وأجدر بهذا العذاب.

وقال أبو العباس أحمد بن يحيى: قال الأصمعي " أولى " في كلام العرب معناه مقاربة الهلاك،

كأنه يقول: قد وليت الهلاك، قد دانيت الهلاك، وأصله من الولي، وهو القرب،

(١) في ا (على ألة) بفتح فشد وهي الحربة. وصوابه آلة أي حالة.

(٢) هو امرؤ القيس والبيت بتمه:

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة * فقالت لك الويلات إنك مرجلي

قال الله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار " [التوبة: ١٢٣] أي يقربون منكم، وأنشد الأصمعي:

* وأولى أن يكون له الولاء *
 أي قارب أن يكون له، وأنشد أيضا:
 * أولى لمن هاجت له أن يكمدا *
 أي قد دنا صاحبها [من] (١) الكمد. وكان أبو العباس ثعلب يستحسن قول الأصمعي ويقول: ليس أحد يفسر كتفسير الأصمعي. النحاس: العرب تقول أولى لك: كدت تهلك ثم أفلت، وكان تقديره: أولى لك وأولى بك الهلكة. المهدي قال: ولا تكون أولى (أفعل منك)، وتكون خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: الوعيد أولى له من غيره، لان أبا زيد (٢) قد حكى: أولاة الآن: إذا أو عدوا. فدخل علامة التأنيث دليل على أنه ليس كذلك. و " لك " خبر عن " أولى ". ولم ينصرف " أولى " لأنه صار علما للوعيد، فصار كرجل اسمه أحمد. وقيل: التكرير فيه على معنى ألزم لك على عمك السئ الأول، ثم على الثاني، والثالث، والرابع، كما تقدم. قوله تعالى: أيحسب الانسان أن يترك سدى (٣٦) ألم يك نطفة من منى يمى (٣٧) ثم كان علقة فخلق فسوى (٣٨) فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى (٣٩) أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى (٤٠) قوله تعالى: (أيحسب الانسان) أي يظن ابن آدم " أن يترك سدى " أي أن يخلى مهملا، فلا يؤمر ولا ينهى، قاله ابن زيد ومجاهد، ومنه إبل سدى: ترعى بلا راع. وقيل: أيحسب أن يترك في قبره كذلك أبدا لا يبعث. وقال الشاعر: فأقسم بالله جهد اليمين * ما ترك الله شيئا سدى

(١) من: ساقطة من الأصول.

(٢) في (اللسان: ولي) وأسند الحكاية إلى ابن جنى. قال: وحكى ابن جنى: أولاة الآن فأنت أولى. قال: وهذا يدل على أنه اسم لا فعل.

قوله تعالى: (ألم يك نطفة من منى يمى) أي من قطرة ماء تمنى في الرحم، أي تراق فيه، ولذلك سميت (منى) لإراقة الدماء. وقد تقدم (١). والنطفة: الماء القليل، يقال: نطف نطفة

الماء: إذا قطر. أي ألم يك ماء قليلا في صلب الرجل وترائب المرأة. وقرأ حفص " من منى يمى " بالياء، وهي قراءة ابن محيصن ومجاهد ويعقوب وعياش عن أبي عمرو، واختاره

أبو عبيد لأجل المنى. الباقون بالتاء لأجل النطفة، واختاره أبو حاتم. " ثم كان علقة " أي دما بعد النطفة، أي قد رتبته تعالى بهذا كله على خسة قدره. ثم قال: " فخلق " أي فقدر " فسوى " أي فسواه تسوية، وعدله تعديلا، بجعل الروح فيه " فجعل منه " أي من

الانسان. وقيل: من المنى. " الزوجين الذكر والأنثى " أي الرجل والمرأة. وقد احتج بهذا من رأى إسقاط الخنثى. وقد مضى في سورة " الشورى " (٢) أن هذه الآية وقرينتها إنما

خرجتا مخرج الغالب. وقد مضى في أول سورة " النساء " (٣) أيضا القول فيه، وذكرنا في آية

المواريث حكمه، فلا معنى لإعادته " أليس ذلك بقادر " أي أليس الذي قدر على خلق هذه

النسمة (٤) من قطرة من ماء " بقادر على أن يحيي الموتى " أي على أن يعيد هذه الأجسام كهيتها

للبعث بعد البلى. وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قرأها قال: [سبحانك

اللهم، بلى] وقال ابن عباس. من قرأ " سبح اسم ربك الاعلى " [الاعلى: ١] إماما كان أو غيره

فليقل: " سبحان ربي الاعلى " ومن قرأ " لا أقسم بيوم القيامة " [القيامة: ١] إلى آخرها إماما كان

أو غيره فليقل: " سبحانك اللهم بلى " (٥) ذكره الثعلبي من حديث أبي إسحاق السبيعي عن سعيد

ابن جبير عن ابن عباس. ختمت السورة والحمد (٦) لله.

(١) راجع ج ١٧ ص ١١٨ وص ٢١٦

(٢) راجع ج ١٦ ص ٤٨

(٣) راجع ج ٥ ص ٣

(٤) في ح: (المضفة).

(٥) في ا، ح: (سبحانك اللهم وبحمدك).
(٦) في ح: (والحمد لله على كل حال).

سورة الانسان
وهي إحدى وثلاثون آية
مكية في قول ابن عباس ومقاتل والكلبي. وقال الجمهور: مدنية. وقيل: فيها
مكي، من قوله تعالى: " إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً " (١) [الانسان: ٢٣] إلى
آخر السورة، وما تقدمه
مدني.

وذكر ابن وهب قال: وحدثنا ابن زيد قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقرأ
" هل أتى على الانسان حين من الدهر " وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود كان يسأل
النبي
صلى الله عليه وسلم، فقال له عمر بن الخطاب: لا تثقل على النبي صلى الله عليه
وسلم، قال:

(دعه يا بن الخطاب) قال: فنزلت عليه هذه السورة وهو عنده، فلما قرأها عليه وبلغ
صفة الجنان زفر زفرة فخرجت نفسه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أخرج
نفس
صاحبكم - أو أخيكم - الشوق إلى الجنة) وروي عن ابن عمر بخلاف هذا اللفظ،
وسياتي.

وقال القشيري: إن هذه السورة نزلت في علي بن طالب رضي الله عنه. والمقصود من
السورة عام. وهكذا القول في كل ما يقال إنه نزل بسبب كذا وكذا.

بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى: هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً
مذكوراً (١) إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه
سميعاً بصيراً (٢) إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً (٣)
قوله تعالى: (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) " هل " :
بمعنى (٢) قد، قاله الكسائي والفراء وأبو عبيدة. وقد حكى عن سيويوه " هل " بمعنى
قد.

(١) الآية ٢٣.

(٢) في ح: (تقديره).

قال الفراء: هل تكون جحدا، وتكون خبرا، فهذا من الخبر، لأنك تقول: هل أعطيتك؟
تقرره

بأنك أعطيته. والجحد أن تقول: هل يقدر أحد على مثل هذا؟ وقيل: هي بمنزلة
الاستفهام،

والمعنى: أتى. والانسان هنا آدم عليه السلام، قاله قتادة والثوري وعكرمة والسدي.
وروى

عن ابن عباس. " حين من الدهر " قال ابن عباس في رواية أبي صالح: أربعون سنة مرت
به، قبل أن ينفخ فيه الروح، وهو ملقى بين مكة والطائف. وعن ابن عباس أيضا في
رواية

الضحاك أنه خلق من طين، فأقام أربعين سنة، ثم من حمأ مسنون أربعين سنة، ثم من
صلصال أربعين سنة، فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة. وزاد ابن مسعود فقال: أقام وهو
من تراب أربعين سنة، فتم خلقه بعد مائة وستين سنة، ثم نفخ فيه الروح. وقيل: الحين
المذكور ها هنا: لا يعرف مقدارها، عن ابن عباس أيضا، حكاه الماوردي. " لم يكن
شيئا مذكورا " قال الضحاك عن ابن عباس: لا في السماء ولا في الأرض. وقيل: أي
كان

جسدا مصورا ترابا وطينا، لا يذكر ولا يعرف، ولا يدري ما اسمه ولا ما يراد به، ثم
نفخ فيه

الروح، فصار مذكورا، قال الفراء وقطرب وثعلب. وقال يحيى بن سلام: لم يكن شيئا
مذكورا في الخلق وإن كان عند الله شيئا مذكورا. وقيل: ليس هذا الذكر بمعنى
الاخبار،

فإن إخبار الرب عن الكائنات قديم، بل هذا الذكر بمعنى الخطر والشرف والقدر،
تقول:

فلان مذكور أي له شرف وقدر. وقد قال تعالى: " وإنه لذكر لك ولقومك " [الزخرف: ٤٤]. أي قد أتى

على الانسان حين لم يكن له قدر عند الخليفة. ثم لما عرف الله الملائكة أنه جعل آدم
خليفة،

وحمله الأمانة التي عجز عنها السماوات والأرض والجبال، ظهر فضله على الكل،
فصار

مذكورا. قال القشيري: وعلى الجملة ما كان مذكورا للخلق، وإن كان مذكورا لله.
وحكى

محمد بن الجهم عن الفراء: " لم يكن شيئا " قال: كان شيئا ولم يكن مذكورا. وقال
قوم:

النفى يرجع إلى الشيء، أي قد مضى مدد من الدهر وادم لم يكن شيئا يذكر في

الخليقة،
لأنه آخر ما خلقه من أصناف الخليقة، والمعدوم ليس بشيء حتى يأتي عليه حين.
والمعنى:
قد مضت عليه أزمنة وما كان آدم شيئاً ولا مخلوقاً ولا مذكوراً لاحد من الخليقة.
وهذا معنى
قول قتادة ومقاتل: قال قتادة: إنما خلق الانسان حديثاً ما نعلم من خليقة الله جل ثناؤه
خليقة

كانت بعد الانسان. وقال مقاتل: في الكلام تقديم وتأخير، وتقديره: هل أتى حين من الدهر لم يكن الانسان شيئاً مذكوراً، لأنه خلقه بعد خلق الحيوان كله، ولم يخلق بعده حيواناً.

وقد قيل: " الانسان " في قوله تعالى " هل أتى على الانسان حين " عني به الجنس من ذرية آدم، وأن الحين تسعة أشهر، مدة حمل الانسان في بطن أمه " لم يكن شيئاً مذكوراً ":

إذ كان علقه ومضغة، لأنه في هذه الحالة جماد لا خطر له. وقال أبو بكر رضي الله عنه لما

قرأ هذه الآية: ليتها تمت فلا نتلى. أي ليت المدة التي أتت على آدم لم تكن شيئاً مذكوراً

تمت على ذلك، فلا يلد ولا يتلى أولاده. وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يقرأ " هل

أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً " فقال ليتها تمت. قوله تعالى: " إنا خلقنا الانسان " أي ابن آدم من غير خلاف " من نطفة " أي من ماء يقطر وهو المنى، وكل ماء قليل في وعاء فهو نطفة، كقول عبد الله بن رواحة يعاتب نفسه:

مالي أراك تكرهين الجنة * هل أنت إلا نطفة في شنه (١)
وجمعها: نطف ونطاف. (أمشاج): أخلاط. واحدها: مشج ومشيح، مثل خدن

وخدين،

قال: رؤية:

يطرحن كل معجل نشاج * لم يكس جلدا في دم أمشاج
ويقال: مشجت هذا بهذا أي خلطته، فهو ممشوج ومشيح، مثل مخلوط وخليط. وقال المبرد: واحد الأمشاج: مشيح، يقال: مشج يمشج: إذا خلط، وهو هنا اختلاط النطفة بالدم،

قال الشماخ:

طوت أحشاء مرتجة لوقت * على مشج سلالته مهين
وقال الفراء: أمشاج: أخلاط ماء الرجل وماء المرأة، والدم والعلقة. ويقال للشئ من هذا إذا

خلط: مشيح كقولك خليط، وممشوج كقولك مخلوط. وروى عن ابن عباس رضي الله عنه

قال: الأمشاج: الحمرة في البياض، والبياض في الحمرة. وهذا قول يختاره كثير من أهل

اللغة، قال الهذلي (١):

كأن الريش والفوقين منه * خلاف النصل سيط به مشيح
وعن (٢) ابن عباس أيضا قال: يختلط ماء الرجل وهو أبيض غليظ بماء المرأة وهو أصفر رقيق

فيخلق منهما الولد، فما كان من عصب وعظم وقوة فهو من ماء الرجل، وما كان من لحم ودم

وشعر فهو من ماء المرأة. وقد روى هذا مرفوعا، ذكره البزار. وروى عن ابن مسعود: أمشاجها عروق المضغة. وعنه: ماء الرجل وماء المرأة وهما لوان. وقال مجاهد: نطفة الرجل

بيضاء وحمراء ونطفة المرأة خضراء وصفراء. وقال ابن عباس: خلق من ألوان، خلق من تراب، ثم من ماء الفرج والرحم، وهي نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظم ثم لحم. ونحوه قال

قتادة: هي أطوار الخلق: طور وطور وعلقة وطور مضغة عظام ثم يكسو العظام لحما، كما قال

في سورة "المؤمنون" " ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين " [المؤمنون: ١٢] الآية. وقال ابن السكيت:

الأمشاج الأخلاط، لأنها ممتزجة من أنواع فخلق الانسان منها ذا طبائع مختلفة. وقال أهل

المعاني: الأمشاج ما جمع وهو في معنى الواحد، لأنه نعت للنطفة، كما يقال: برمة أعشار

وثوب أخلاق. وروي عن أبي أيوب الأنصاري: قال جاء حبر من اليهود إلى النبي صلى الله

عليه وسلم فقال: أخبرني عن ماء الرجل وماء المرأة؟ فقال: [ماء الرجل أبيض غليظ وماء

المرأة أصفر رقيق فإذا علا ماء المرأة آثت وإذا علا ماء الرجل أذكرت] فقال الحبر: أشهد

أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. وقد مضى هذا القول مستوفى في سورة "البقرة". (نبتليه) أي نختبره. وقيل: نقدر فيه الابتلاء وهو الاختبار. وفيما يختبر به وجهان: أحدهما -

(١) هو عمرو بن الداخل الهذلي. وفي (اللسان: مشج) زهير بن حرام الهذلي. سيط به: أي خرج قذ من الريش مختلط من الدم والماء.
(٢) وفي حاشية الحمل نقلا عن القرطبي ما يأتي:
والمعنى: (من نطفة قد امتزج فيها الماءان وكل منهما مختلف الاجزاء متباين الأوصاف في الرقة والشحن والقوام،
والخواص تجتمع من الأخلاط وهي العناصر الأربعة ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فأيهما علا كان الشبه له).

نختبره بالخير والشر، قال الكلبي. الثاني - نختبر شكره في السراء وصبره في الضراء، قاله الحسن.

وقيل: " نبتليه " نكلفه. وفيه أيضا وجهان: أحدهما - بالعمل بعد الخلق، قاله مقاتل. الثاني - بالدين ليكون مأمورا بالطاعة ومنهيا عن المعاصي. وروى عن ابن عباس: " نبتليه ":

نصرفه خلقا بعد خلق، لنبتليه بالخير والشر. وحكى محمد بن الجهم عن الفراء قال:

المعنى

والله أعلم (فجعلناه سميعا بصيرا) لنبتليه، وهي مقدمة معناها التأخير.

قلت: لان الابتلاء لا يقع إلا بعد تمام الخلقة. وقيل: " جعلناه سميعا بصيرا " : يعني جعلنا له سمعا يسمع به الهدى، وبصرا يبصر به الهدى.

قوله تعالى: (إنا هديناه السبيل) أي بينا له وعرفناه طريق الهدى والضلال، والخير والشر يبعث الرسل، فأمن أو كفر، كقوله تعالى: " وهديناه النجدين " [البلد: ١٠]. وقال

مجاهد: أي بينا له السبيل إلى الشقاء والسعادة. وقال الضحاك وأبو صالح والسدي: السبيل هنا خروجه من الرحم. وقيل: منافعه ومضاره التي يهتدي إليها بطبعه وكمال عقله.

(إما شاكرا وإما كفورا) أي أيهما فعل فقد بينا له. قال الكوفيون: " إن " ها هنا تكون جزاء و " ما " زائدة أي بينا له الطريق إن شكر أو كفر. واختاره الفراء ولم يجزه البصريون، إذ لا تدخل " إن " للجزاء على الأسماء إلا أن يضم بعدها فعل. وقيل: أي هديناه الرشد، أي بينا له سبيل التوحيد بنصب الأدلة عليه، ثم إن خلقنا له الهداية اهتدى

وآمن، وإن خذلناه كفر. وهو كما تقول: قد نصحت لك، إن شئت فاقبل، وإن شئت فاترك، أي فإن شئت، فتحذف الفاء. وكذا " إما شاكرا " والله أعلم. ويقال: هديته السبيل

وللسبيل وإلى السبيل. وقد تقدم في " الفاتحة " (١) وغيرها. وجمع بين الشاكر والكفور،

ولم يجمع بين الشكور والكفور مع اجتماعهما في معنى المبالغة، نفيا للمبالغة في الشكر وإثباتا لها

في الكفر، لان شكر الله تعالى لا يؤدي، فانتفت عنه المبالغة، ولم تنتف عن الكفر المبالغة،

فقل شكره، لكثرة النعم عليه (٢) وكثرة كفره وإن قل مع الاحسان إليه. حكاه الماوردي.

(١) راجع ج ١ ص ١٤٧ وص ١٦٠.
(٢) في ا، ح، و: (وكترة كفره).

قوله تعالى: إنا أعتدنا للكافرين سلاسلًا وأغلالًا وسعيرا (٤)
قوله تعالى: (إنا أعتدنا للكافرين سلاسلًا وأغلالًا وسعيرا) بين حال الفريقين،
وأنه تعبد العقلاء وكلفهم ومكنهم مما أمرهم، فمن كفر فله العقاب، ومن وحد وشكر
فله

الثواب. والسلاسل: القيود في جهنم طول كل سلسلة سبعون ذراعا كما مضى في " الحاقة " (١).

وقرأ نافع والكسائي وأبو بكر عن عاصم وهشام عن ابن عامر " سلاسلًا " منونا.
الباقون

بغير تنوين. ووقف قبل وابن كثير وحمزة بغير ألف. الباقون بالألف. فأما " قوارير " الأول فنونه نافع وابن كثير والكسائي وأبو بكر عن عاصم، ولم ينون الباقون. ووقف فيه

يعقوب وحمزة بغير ألف. والباقون بالألف. وأما " قوارير " الثانية فنونه أيضا نافع والكسائي وأبو بكر، ولم ينون الباقون. فمن نون قرأها بالألف، ومن لم ينون أسقط منها

الألف، واختار أبو عبيد التنوين في الثلاثة، والوقف بالألف اتباعا لخط المصحف، قال: رأيت في مصحف عثمان " سلاسلًا " بالألف و " قواريرا " الأول بالألف، وكان الثاني

مكتوبا بالألف فحكت فرأيت أثرها هناك بينا. فمن صرف فله أربع حجج: أحدها - أن

الجموع أشبهت الآحاد فجمعت جمع الآحاد، فجعلت في حكم الآحاد فصرفت. الثانية -

أن الأخفض حكى عن العرب صرف جميع ما لا ينصرف إلا أفعل منك، وكذا قال الكسائي

والفراء: هو على لغة من يجر الأسماء كلها إلا قولهم هو أظرف منك فإنهم لا يجرونه، وأنشد

ابن الأنباري في ذلك قول عمرو بن كلثوم:
كأن سيوفنا فينا وفيهم * مخاريق بأيدي لاعبيننا
وقال لبيد:

وجزور أيسار دعوت لحتفها * بمغالق متشابه أجسامها
وقال لبيد أيضا:

فضلا وذو كرم يعين على الندى * سمح كسوب رغائب غنامها

(١) راجع ج ١٨ ص ٢٧٢.

(١٢٣)

فصرف مخاريق ومغالق ورغائب، وسبيلها ألا تصرف. والحجة الثالثة - أن يقول نونت قوارير الأول لأنه رأس آية، ورؤوس الآي جاءت بالنون، كقوله عز وجل: " مذكورا ". " سميعا بصيرا " فنونا الأول ليوقف بين رؤوس الآي، ونونا الثاني على الجوار للأول.

والحجة

الرابعة - اتباع المصاحف، وذلك أنهما جميعا في مصاحف مكة والمدينة والكوفة بالألف.

وقد احتج من لم يصرفهن بأن قال: إن كل جمع بعد الألف منه ثلاثة أحرف أو حرفان أو حرف مشدد لم يصرف في معرفة ولا نكرة، فالذي بعد الألف منه ثلاثة أحرف قولك:

قناديل ودنانير ومناديل، والذي بعد الألف منه حرفان قول الله عز وجل: " لهدمت صوامع " [الحج: ٤٠] لان بعد الألف منه حرفين، وكذلك قوله: " ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا " [الحج: ٤٠].

والذي بعد الألف منه حرف مشدد شواب ودواب. وقال خلف: سمعت يحيى بن آدم يحدث عن ابن إدريس قال: في المصاحف الأول الحرف الأول بالألف والثاني بغير ألف،

فهذا حجة لمذهب حمزة. وقال خلف: رأيت في مصحف ينسب إلى قراءة ابن مسعود الأول بالألف والثاني بغير ألف. وأما أفعل منك فلا يقول أحد من العرب في شعره ولا في غيره هو أفعل منك منونا، لان من تقوم مقام الإضافة فلا يجمع بين تنوين وإضافة

في حرف، لأنهما دليلا من دلائل الأسماء ولا يجمع بين دليلين، قاله الفراء وغيره. قوله تعالى: " وأغلالا " جمع غل تغل بها أيديهم إلى أعناقهم. وعن جبير بن نفير عن أبي الدرداء كان يقول: ارفعوا هذه الأيدي إلى الله جل ثناؤه قبل أن تغل بالاغلال. قال الحسن: إن الأغلال لم تجعل في أعناق أهل النار، لأنهم أعجزوا الرب سبحانه ولكن

إذلالا. " وسعيرا " تقدم القول فيه.

قوله تعالى: إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا (٥)

عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا (٦)

قوله تعالى: (إن الأبرار يشربون من كأس) الأبرار: أهل الصدق واحدهم بر، وهو من امتثل أمر الله تعالى. وقيل: البر الموحد والأبرار جمع بار مثل شاهد وأشهد، وقيل: هو جمع بر مثل نهر وأنهار، وفي الصحاح: وجمع البر الأبرار، وجمع البار البررة، وفلان يبر

خالقه ويتبره أي يطيعه، والام برة بولدها. وروى ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [إنما سماهم الله جل ثناؤه الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء، كما أن لوالدك عليك حقا

كذلك لولدك عليك حقا]. وقال الحسن: البر الذي لا يؤذي الذر. وقال قتادة: الأبرار الذين يؤدون حق الله ويوفون بالندر. وفي الحديث: [الأبرار الذين لا يؤذون أحدا]. " يشربون من كأس " أي من إناء فيه الشراب. قال ابن عباس: يريد الخمر. والكأس في اللغة الإناء فيه الشراب: وإذا لم يكن فيه شراب لم يسم كأسا. قال عمرو بن كلثوم:

صبنت (١) الكأس عنا أم عمرو * وكان الكأس مجراها اليمين
وقال الأصمعي: يقال صبنت عنا الهدية أو ما كان من معروف تصبن صبنا: بمعنى كفت،

قاله الجوهري. " كان مزاجها " أي شوبها (٢) وخلطها، قال حسان:
كأن (٣) سبيئة من بيت رأس * يكون مزاجها عسل وماء
ومنه مزاج البدن وهو ما يمازجه من الصفراء والسوداء والحرارة والبرودة. " كافورا " قال

ابن عباس: هو اسم عين ماء في الجنة، يقال له عين الكافور. أي يمازجه ماء هذه العين التي

تسمى كافورا. وقال سعيد عن قتادة: تمزج لهم بالكافور وتختم بالمسك. وقاله مجاهد.

وقال عكرمة: مزاجها طعمها. وقيل: إنما الكافور في ريحها لا في طعمها. وقيل: أراد كالكافور في بياضه وطيب رائحته وبرده، لأن الكافور لا يشرب، كقوله تعالى: " حتى إذا جعله نارا " [الكهف: ٩٦] أي كنار. وقال ابن كيسان: طيب بالمسك والكافور والزنجبيل. وقال

(١) الرواية المشهورة في المعلقات: صددت الكأس.

(٢) في ا، ح: (شربها).

(٣) السبيئة: الخمر. وسميت بذلك لأنها تسبأ أي تشتري لتشرب وفي: (كأن خبيئة) وهي المصونة المضمون بها لنفاستها. وبيت رأس: موضع بالأردن مشهور بالخمر.



(۱۲۵)

مقاتل: ليس بكافور الدنيا. ولكن سمي الله ما عنده بما عندكم حتى تهتدي لها القلوب. وقوله:

" كان مزاجها " " كان " زائدة أي من كأس مزاجها كافور. (عينا يشرب بها عباد الله) قال الفراء: إن الكافور اسم لعين ماء في الجنة، ف " - عينا " بدل من كافور على هذا. وقيل:

بدل من كأس على الموضوع. وقيل: هي حال من المضمر في " مزاجها ". وقيل: (نصب على المدح، كما يذكر الرجل فتقول: العاقل اللبيب، أي ذكرتم العاقل اللبيب فهو نصب بإضمار أعني. وقيل يشربون عينا. وقال الزجاج المعنى من عين. ويقال: كافور وقافور. والكافور أيضا: وعاء طلع النخل وكذلك الكفري، قاله الأصمعي. وأما قول الراعي:

تكسو المفارق واللبات ذا أرج * من قصب معتلف الكافور دراج
فإن الظبي الذي يكون منه المسك إنما يرعى سنبل الطيب فجعله كافورا. " يشرب بها "

قال الفراء: يشرب بها ويشربها سواء في المعنى، وكأن يشرب بها يروى بها وينقع، وأنشد:

شربن بماء البحر ثم ترفعت * متى لحج حضر لهن نثيج (١)
قال: ومثله فلان يتكلم بكلام حسن، ويتكلم كلاما حسنا. وقيل: المعنى يشربها والباء زائدة. وقيل: الباء بدل " من " تقديره يشرب منها، قاله القتيبي. (يفجرونها تفجيرا) فيقال: إن الرجل منهم ليمشي في بيوتاته ويصعد إلى قصوره، وييده قضيب يشير به إلى الماء فيجرى معه حيثما دار في منازل على مستوى الأرض في غير أخدود، ويتبعه حيثما صعد إلى أعلى قصوره، وذلك قوله تعالى: " عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا " أي يشققونها شقا كما يفجر الرجل النهر ها هنا وها هنا إلى حيث يريد. وعن ابن أبي نجيح عن مجاهد " يفجرونها تفجيرا " يقودونها حيث شاءوا وتتبعهم حيثما مالوا مالت معهم. وروى

(١) قائله أبو ذؤيب يصف السحابات والباء في (بماء) بمعنى (من) و (متى) معناها (في) في لغة هذيل ونثيج: أي مر سريع مع صوت.

أبو مقاتل عن أبي صالح عن سعد عن أبي سهل (١) عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أربع عيون في الجنة عينان تجريان من تحت العرش إحداهما التي ذكر الله " يفجرونها تفجيرا " [والأخرى الزنجبيل] (٢) والآخران نضاختان من فوق العرش إحداهما التي ذكر الله [عينا فيها تسمى] (٣) " سلسبيل " والأخرى التسنيم) ذكره الترمذي الحكيم

في " نواذر الأصول ". وقال: فالتسنيم للمقربين خاصة شربا لهم، والكافور للأبرار شربا لهم، يمزج للأبرار من التسنيم شرابهم، وأما الزنجبيل والسلسبيل فلأبرار منها مزاج هكذا ذكره في التنزيل وسكت عن ذكر ذلك لمن هي شرب، فما كان للأبرار مزاج فهو للمقربين

صرف، وما كان للأبرار صرف فهو لسائر أهل الجنة مزاج. والأبرار هم الصادقون، والمقربون: هم الصديقون.

قوله تعالى: يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا (٧) ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا (٨) إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا (٩)

قوله تعالى: (يوفون بالنذر) أي لا يخلفون إذا نذروا. وقال معمر عن قتادة: بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغيره من الواجبات. وقال

مجاهد وعكرمة: يوفون إذا نذروا في حق الله جل ثناؤه. وقال الفراء والجرجاني: وفي الكلام إضمار، أي كانوا يوفون بالنذر في الدنيا. والعرب قد تزيد مرة " كان " وتحذف أخرى. والنذر: حقيقته ما أوجبه المكلف على نفسه من شيء يفعله. وإن شئت قلت في حده: النذر: هو إيجاب المكلف على نفسه من الطاعات ما لو لم يوجبه لم يلزمه.

وقال الكلبي: " يوفون بالنذر " أي يتممون العهود والمعنى واحد، وقد قال الله تعالى:

(١) هذا السند في الأصول: أبو مقاتل عن صالح بن سعيد عن أبي سهل الخ وصوبناه من التذكرة للقرطبي.
(٢) الزيادة من الدر المنثور.
(٣) الزيادة من التذكرة والدر المنثور.

" ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم " [الحج: ٢٩] أي أعمال نسكهم التي ألزموها أنفسهم بإحرامهم بالحج. وهذا يقوي قول قتادة. وأن النذر يندرج فيه ما التزمه المرء بإيمانه من امتثال أمر الله، قاله القشيري. وروى أشهب عن مالك أنه قال: " يوفون بالنذر " هو نذر العتق والصيام والصلاة. وروى عنه أبو بكر بن عبد العزيز قال مالك. " يوفون بالنذر " قال: النذر: هو اليمين. قوله تعالى: " ويخافون " أي يحذرون " يوما " أي يوم القيامة. " كان شره مستطيرا " أي عاليا داهيا فاشيا (١) وهو في اللغة ممتدا، والعرب تقول: استطار الصدع في القارورة والزجاجة واستطال: إذا امتد، قال الأعشى: وبانت وقد أسارت (٢) في الفؤاد * صدعا على نأيها مستطيرا ويقال: استطار الحريق: إذا انتشر. واستطار الفجر إذا انتشر الضوء. وقال حسان: وهان على سراة بني لؤي * حريق بالبويرة مستطير (٣) وكان قتادة يقول: استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملا السماوات والأرض. وقال مقاتل: كان شره فاشيا في السماوات فانشقت، وتناثرت الكواكب، وفرغت الملائكة، وفي الأرض نسفت الجبال وغارت المياه. قوله تعالى: (ويطعمون الطعام على حبه) قال ابن عباس ومجاهد: على قلته وحبهم إياه وشهوتهم له. وقال الداراني: على حب الله. وقال الفضيل بن عياض: على حب إطعام الطعام. وكان الربيع بن خيثم إذا جاءه السائل قال: أطعموه سكرًا فإن الربيع يحب السكر. " مسكينا " أي ذا مسكنة. وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: هو الطواف يسألك مالك " ويتيما " أي من يتامى المسلمين. وروى منصور عن الحسن: أن

(١) في ا، ح، ل، و: (قاسيا) وهو تحريف.

(٢) ويروى: أورثت.

(٣) سراة بني لؤي أي خيارهم. والبويرة: موضع ببني قريظة يشير إلى ما فعله المسلمون ببني قريظة.

يتيما كان يحضر طعام ابن عمر، فدعا ذات يوم بطعامه، وطلب اليتيم فلم يجده، وجاءه بعد ما فرغ ابن عمر من طعامه فلم يجد الطعام، فدعا له بسويق وعسل، فقال: دونك هذا، فوالله ما غبنت، قال الحسن وابن عمر: والله ما غبن. " وأسييرا " أي الذي يؤسر فيحبس. فروى أبو صالح عن ابن عباس قال: الأسير من أهل الشرك يكون في أيديهم. وقاله قتادة. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: الأسير هو المحبوس. وكذا قال سعيد

ابن جبير وعطاء: هو المسلم يحبس بحق. وعن سعيد بن جبير مثل قول قتادة وابن عباس.

قال قتادة: لقد أمر الله بالأسرى أن يحسن إليهم، وأن أسراهم يومئذ لأهل الشرك، وأخوك المسلم أحق أن تطعمه. وقال عكرمة: الأسير العبد. وقال أبو حمزة الثمالي: الأسير المرأة، يدل عليه قوله عليه السلام: [استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوان عندكم] أي

أسيرات. وقال أبو سعيد الخدري: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم " ويطعمون الطعام

على حبه مسكينا ويتيما وأسييرا " فقال: (المسكين الفقير، واليتيم الذي لا أب له، والأسير

المملوك والمسجون) ذكره الثعلبي. وقيل: نسخ إطعام المسكين آية الصدقات، وإطعام الأسير [آية] السيف، قاله سعيد بن جبير. وقال غيره: بل هو ثابت الحكم، وإطعام اليتيم والمسكين على التطوع، وإطعام الأسير لحفظ نفسه إلا أن يتخير فيه الامام. الماوردي: ويحتمل أن يريد بالأسير الناقص العقل، لأنه في أسر خبله وجنونه، وأسر المشرك انتقام يقف على رأي الامام، وهذا بر وإحسان. وعن عطاء قال: الأسير من أهل القبلة وغيرهم.

قلت: وكأن هذا القول عام يجمع جميع الأقوال، ويكون إطعام الأسير المشرك قرابة إلى الله تعالى، غير أنه من صدقة التطوع، فأما المفروضة فلا. والله أعلم. ومضى القول في المسكين واليتيم والأسير واشتقاق ذلك من اللغة في " البقرة " (١) مستوفى والحمد لله.

(١) راجع ج ٢ ص ١٤ فما بعدها وص ٢١.

قوله تعالى: (إنما نطعمكم لوجه الله) أي يقولون بألسنتهم للمسكين واليتيم والأسير "إنما نطعمكم" في الله جل ثناؤه فرعا من عذابه وطمعا في ثوابه. "لا نريد منكم جزاء"

أي مكافأة. "ولا شكورا" أي ولا أن تثنوا علينا بذلك، قال ابن عباس: كذلك كانت نياتهم في الدنيا حين أطمعوا. وعن سالم عن مجاهد قال: أما إنهم ما تكلموا به ولكن علمه

الله جل ثناؤه منهم فأثنى به عليهم، ليرغب في ذلك راغب. وقاله سعيد بن جبير حكاه عنه

القشيري. وقيل: إن هذه الآية نزلت في مطعم بن ورقاء الأنصاري نذر نذرا فوفى به. وقيل: نزلت فيمن تكفل بأسرى بدر وهم سبعة من المهاجرين: أبو بكر وعمر وعلي والزبير

وعبد الرحمن بن عوف وسعد وأبو عبيدة رضي الله عنهم، ذكره الماوردي. وقال مقاتل:

نزلت في رجل من الأنصار أطمع في يوم واحد مسكينا ویتيما وأسيرا. وقال أبو حمزة الثمالي: بلغني أن رجلا قال يا رسول الله أطمعني فإني والله مجهود، فقال: [والذي نفسي

بيده ما عندي ما أطمعك ولكن اطلب] فأتى رجلا من الأنصار وهو يتعشى مع امرأته فسأله، وأخبره بقول النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت المرأة: أطمعه واسقه. ثم أتى النبي

صلى الله عليه وسلم يتيم فقال: يا رسول الله! أطمعني فإني مجهود. فقال: [ما عندي ما أطمعك ولكن اطلب] فاستطعم ذلك الأنصاري فقالت المرأة: أطمعه واسقه، فأطعمه.

ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم أسير فقال: يا رسول الله! أطمعني فإني مجهود. فقال:

[والله ما معي ما أطمعك ولكن اطلب] فجاء الأنصاري فطلب، فقالت المرأة: أطمعه واسقه. فنزلت: "ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ویتيما وأسيرا" ذكره الثعلبي. وقال

أهل التفسير: نزلت في علي وفاطمة رضي الله عنهما وجارية لهما اسمها فضة. قلت: والصحيح أنها نزلت في جميع الأبرار، ومن فعل فعلا حسنا، فهي عامة. وقد ذكر

النقاش والثعلبي والقشيري وغير واحد من المفسرين في قصة علي وفاطمة وجاريتيها حديثا

لا يصح ولا يثبت، رواه ليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله عز وجل: "يوفون

بالنذر
ويخافون يوما كان شره مستطيرا. ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا "
قال:

(١٣٠)

مرض الحسن والحسين فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعادهما عامة العرب، فقالوا:

يا أبا الحسن - ورواه جابر الجعفي عن قنبر مولى علي قال: مرض الحسن والحسين حتى عادهما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا أبا الحسن -

رجع الحديث إلى حديث ليث بن أبي سليم - لو نذرت عن ولديك شيئاً، وكل نذر ليس له وفاء

فليس بشيء. فقال رضي الله عنه: إن برأ ولداي صمت لله ثلاثة أيام شكراً. وقالت جارية لهم نوبية: إن برأ سيدي صمت لله ثلاثة أيام شكراً. وقالت فاطمة مثل ذلك. وفي حديث الجعفي فقال الحسن والحسين: علينا مثل ذلك فألبس الغلامان العافية، وليس

عند آل محمد قليل ولا كثير، فانطلق علي إلى شمعون بن حاريا الخيبري، وكان يهودياً، فاستقرض منه ثلاثة أصوع من شعير، فجاء به، فوضعه ناحية البيت، فقامت فاطمة إلى صاع فطحنته

واختبزته، وصلى علي مع النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه.

وفي حديث الجعفي: فقامت الجارية إلى صاع من شعير فخبزت منه خمسة أقراص، لكل واحد منهم قرص، فلما مضى صيامهم الأول وضع بين أيديهم الخبز والملح الجريش، إذ أتاهم

مسكين، فوقف بالباب وقال: السلام عليكم أهل بيت محمد - في حديث الجعفي - أنا مسكين من مساكين أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وأنا والله جائع، أطعموني أطعمكم

الله من موائد الجنة. فسمعه علي رضي الله عنه، فأنشأ (١) يقول:

فاطم ذات الفضل اليقين * يا بنت خير الناس أجمعين
أما ترين البائس المسكين * قد قام بالباب له حنين
يشكو إلى الله ويستكين * يشكو إلينا جائع حزين
كل امرئ بكسبه رهين * وفاعل الخيرات يستبين

(١) هذه الأبيات والتي بعدها كل النسخ مجمعة على تحريفها ولقد أحسن أبو حيان إذ يقول فيها: وذكر النقاش

في ذلك حكاية طويلة جدا ظاهرة الاختلاق وفيها أشعار للمسكين واليتيم والأسير يخاطبون بها بيت النبوة
وأشعار
لفاطمة رضي الله عنها تخاطب كل واحد منهم ظاهرها الاختلاق لسفساف ألفاظها وكسر أبياتها وسخافة
معانيها.
وسياتي للمؤلف رحمه الله ما يضعف هذا لحديث ويزيفه.

موعدنا جنة عليين * حرمها الله على الضنين
وللبخيل موقف مهين * تهوى به النار إلى سجين
شرابه الحميم والغسلين * من يفعل الخير يقم سمين
* ويدخل الجنة أي حين *

فأنشأت فاطمة رضي الله عنها تقول:

أمرك عندي يا ابن عم طاعة * ما بي من لؤم ولأوضاعة
غديت في الخبز له صناعه * أطعمه ولا أبالي الساعة
أرجو إذا أشبعت ذا المجاعة * أن ألحق الأخيار والجماعة
* وأدخل الجنة لي شفاعه *

فأطعموه الطعام، ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا شيئاً إلا الماء القراح، فلما أن كان
في اليوم الثاني قامت إلى صاع فطحنته واختبزته، وصلى علي مع النبي صلى الله عليه
وسلم، ثم
أتى المنزل فوضع الطعام بين أيديهم، فوقف بالباب يتيم فقال: السلام عليكم أهل بيت
محمد،

يتيم من أولاد المهاجرين أستشهد والدي يوم العقبة (١). أطعموني أطعمكم الله من
موائد الجنة.

فسمعه علي فأنشأ يقول:

فاطم بنت السيد الكريم * بنت نبي ليس بالزنييم
لقد أتى الله بذي اليتيم * من يرحم اليوم يكن رحيم
ويدخل الجنة أي سليم * قد حرم الخلد على اللئيم
ألا يجوز الصراط المستقيم * يزل في النار إلى الجحيم
* شرابه الصديد والحميم *

فأنشأت فاطمة رضي الله عنها تقول:

أطعمه اليوم ولا أبالي * وأوثر الله على عيالي
أمسوا جياعا وهم أشبالي * أصغرهم يقتل في القتال

(١) كذا في الأصل.

بكر بلا يقتل باغتيال * يا ويل للقاتل مع وبال
تهوي به النار إلى سفال * وفي يديه الغل والاعلال
* كبولة زادت على الأكبال *

فأطعموه الطعام ومكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا شيئاً إلا الماء القراح، فلما كانت
في اليوم الثالث قامت إلى الصاع الباقي فطحنته واختبزته، وصلى علي مع النبي صلى
الله عليه

وسلم، ثم أتى المنزل، فوضع الطعام بين أيديهم، إذ أتاهم أسير فوقف بالباب فقال:
السلام عليكم أهل بيت محمد، تأسروننا وتشدوننا ولا تطعموننا! أطعموني فإنني أسير
محمد.

فسمعه علي فأنشأ يقول:

فاطم يا بنت النبي أحمد * بنت نبي سيد مسود
وسماه الله فهو محمد * قد زانه الله بحسن أغيد
هذا أسير للنبي المهتد * مثقل في غله مقيد
يشكو إلينا الجوع قد تمدد * من يطعم اليوم يجده في غد
عند العلي الواحد الموحد * ما يزرع الزارع سوف يحصد
* أعطيه لا لا تجعله أقعد *

فأنشأت فاطمة رضي الله تعالى عنها تقول:

لم يبق مما جاء غير صاع * قد ذهبت كفي مع الذراع
ابناني والله هما جياع * يا رب لا تتركهما ضياع
أبوهما للخير ذو اصطناع * يصطنع المعروف بابتداع
عبل الذراعين شديد الباع * وما على رأسي من قناع
* إلا قناعاً نسجه أنساع (١) *

فأعطوه الطعام ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا شيئاً إلا الماء القراح، فلما أن كان
في اليوم الرابع، وقد قضى الله النذر أخذ بيده اليمنى الحسن، وبيده اليسرى الحسين،
وأقبل نحو

(١) النسع - بالكسر - سير يضفر على هيئة أعنة النعال تشد به الرحال.

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع، فلما أبصرهم رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال: [يا أبا الحسن ما أشد ما يسوءني ما أرى بكم انطلق بنا إلى ابنتي

فاطمة] فانطلقوا إليها وهي في محرابها، وقد لصق بطنها بظهرها، وغارت عيناها من شدة

الجوع، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف المجاعة في وجهها بكى وقال: [وا غوثاه

يا الله، أهل بيت محمد يموتون جوعاً] فهبط جبريل عليه السلام وقال: السلام عليك، ربك

يقرئك السلام يا محمد، خذه هنيئاً في أهل بيتك. قال: (وما آخذ يا جبريل) فأقرأه " هل

أتى على الانسان حين من الدهر " إلى قوله: " ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا. إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا " قال الترمذي الحكيم أبو عبد الله في نواذر الأصول: فهذا حديث مزوق مزيف، قد تطرف فيه صاحبه حتى تشبه

على المستمعين، فالجاهل بهذا الحديث يعرض شفتيه تلهفاً ألا يكون بهذه الصفة، ولا يعلم أن

صاحب هذا الفعل مذموم، وقد قال الله تعالى في تنزيهه: " ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو " [البقرة: ٢١٩] وهو الفضل الذي يفضل عن نفسك وعيالك، وجرت الاخبار عن رسول الله صلى

الله عليه وسلم متواترة بأن [خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى]. [وابداً بنفسك ثم بمن تعول] وافترض الله على الأزواج نفقة أهاليهم وأولادهم. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

[كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت] أفيحسب عاقل أن علياً جهل هذا الامر حتى أجهد

صبيانا صغاراً من أبناء خمس أو ست على جوع ثلاثة أيام ولياليهن؟ حتى تضوروا من الجوع،

وغارت العيون منهم، لخلاء أجوافهم، حتى أبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهم من الجهد.

هب أنه أثر على نفسه هذا السائل، فهل كان يجوز له أن يحمل أهله على ذلك؟! وهب أن

أهله سمحت بذلك لعلي فهل جاز له أن يحمل أطفاله على جوع ثلاثة أيام لبلياليهن؟!!

ما يروج
مثل هذا إلا على حمقى جهال، أبى الله لقلوب متنبهة أن تظن بعلي مثل هذا. وليت شعري
من حفظ هذه الأبيات كل ليلة عن علي وفاطمة، وإجابة كل واحد منهما صاحبه، حتى
أداه إلى هؤلاء الرواة؟ فهذا وأشباهه من أحاديث أهل السجون فيما أرى. بلغني أن قوما

يخلدون في السجون فيبقون بلا حيلة، فيكتبون أحاديث في السمر وأشباهه، ومثل هذه الأحاديث مفتعلة، فإذا صارت إلى الجهابذة رموا بها وزيفوها، وما من شيء إلا له آفة ومكيدة، وآفة الدين وكيده أكثر.

قوله تعالى: إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا (١٠) فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا (١١)

قوله تعالى: (إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا) "عبوسا" من صفة اليوم، أي يوما تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته، فالمعنى نخاف يوما ذا عبوس. وقال ابن عباس

يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل منه عرق كالقطران. وعن ابن عباس: العبوس: الضيق، والقمطير: الطويل، قال الشاعر:
* شديدا عبوسا قمطريرا *

وقيل: القمطير الشديد، تقول العرب: يوم قمطير وقماطر وعصيب بمعنى، وأنشد الفراء:

بني عمنا هل تذكرن بلاءنا * عليكم إذا ما كان يوم قماطر
بضم القاف. واقمطر إذا اشتد. وقال الأخفش: القمطير: أشد ما يكون من الأيام وأطولها في البلاء، قال الشاعر:

قفروا إذا ما الحرب ثار غبارها * ولج بها اليوم العبوس القماطر
وقال الكسائي: يقال اقمطر اليوم وازمهر اقمطارا وازمهرارا، وهو القمطير والزمهير، ويوم مقمطر إذا كان صعبا شديدا، قال الهذلي (١):

بنو الحرب أرضعنا لهم مقمطرة * ومن يلق منا ذلك اليوم يهرب

(١) البيت لحذيفة بن أنس الهذلي والذي في ديوان الهذليين:
بنو الحرب أرضعنا بها مقمطرة * ومن يلق منا يلق سيد مدرب
أرضعنا مبني للمجهول. مقمطرة: من اقمطرت الناقة إذا لقحت. ويلق بني للمجهول في اللفظين. والسيد عند
هذيل:
الأسد. والمدرب: الضاري.

وقال مجاهد: إن العبوس بالشففتين، والقمطير بالجبهة والحاجبين، فجعلها من صفات الوجه المتغير من شدائد ذلك اليوم، وأنشد ابن الأعرابي: يغدو على الصيد يعود منكسر * ويقمطر ساعة ويكفهر وقال أبو عبيدة: يقال رجل قمطير أي متقبض ما بين العينين. وقال الزجاج: يقال اقمطرت الناقة: إذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها، وزمت بأنفها، فاشتقه من القطر، وجعل الميم مزيدة. قال أسد بن ناعصة:

واصطليت الحروب في كل يوم * باسل الشر قمطير الصباح
قوله تعالى: " فوفاهم الله " أي دفع عنهم " شر ذلك اليوم " أي بأسه وشدته وعذابه " ولقاهم " أي أتاهم وأعطاهم حين لقوه أي رأوه " نضرة " أي حسنا " وسرورا " أي حبورا.

قال الحسن ومجاهد: " نضرة " في وجوههم " وسرورا " في قلوبهم. وفي النضرة ثلاثة أوجه:

أحدها أنها البياض والنقاء، قاله الضحاك. الثاني الحسن والبهاء، قاله ابن جبير. الثالث أنها أثر النعمة، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا (١٢) متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا (١٣) ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا (١٤)

قوله تعالى: (وجزاهم بما صبروا) على الفقر. وقال القرظي: على الصوم. وقال عطاء: على الجوع ثلاثة أيام وهي أيام النذر. وقيل: بصبرهم على طاعة الله، وصبرهم على

معصية الله ومحارمه. و " ما " : مصدرية، وهذا على أن الآية نزلت في جميع الأبرار ومن فعل

فعلا حسنا. وروى ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الصبر فقال: (الصبر

أربعة: أولها الصبر عند الصدمة الأولى، والصبر على أداء الفرائض، والصبر على اجتناب محارم

الله، والصبر على المصائب). (جنة وحريرا) أي أدخلهم الجنة وألبسهم الحرير. أي يسمى

(١) في ا، ح: (وروى).

بحرير الدنيا وكذلك الذي في الآخرة [وفيه] ما شاء الله عز وجل من الفضل. وقد تقدم (١):

أن من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، وإنما ألبسه من ألبسه في الجنة عوضاً عن حبسهم أنفسهم في الدنيا عن الملابس التي حرم الله فيها. قوله تعالى: (متكئين فيها) أي في الجنة، ونصب "متكئين" على الحال من الهاء والميم في "جزاهم" والعامل فيها جزى ولا يعمل فيها "صبروا"، لأن الصبر إنما كان في الدنيا

والإتكاء في الآخرة. وقال الفراء. وإن شئت جعلت "متكئين" تابعا، كأنه قال جزاهم جنة

"متكئين فيها". (على الأرائك) السرر في الحجال وقد تقدم (٢). وجاءت عن العرب أسماء

تحتوي على صفات: أحدها الأريكة لا تكون إلا في حجلة على سرير، ومنها السجل، وهو

الدلو الممتلئ ماء، فإذا صفرت لم تسم سجلا، وكذلك الذنوب لا تسمى ذنوبا حتى تملأ،

والكأس لا تسمى كأسا حتى تترع من الخمر. وكذلك الطبق الذي تهدي عليه الهدية مهدي،

فإذا كان فارغا قيل طبق أو خوان، قال ذو الرمة:

خدود جفت في السير حتى كأنما * يباشرن بالمعزاء مس الأرائك (٣)
أي الفرش على السرر. (لا يرون فيها شمسا) أي لا يرون في الجنة شدة حر كحر الشمس

"ولا زمهيرا" أي ولا بردا مفرطا، قال الأعشى:

منعمة طفلة كالمهاة * لم تر شمسا ولا زمهيرا (٤)

وعن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اشتكت

النار إلى ربها عز وجل قالت: يا رب أكل بعضي بعضا، فجعل لها نفسين نفسا في الشتاء

ونفسا في الصيف، فشدة ما تجدون من البرد من زمهيرها، وشدة ما تجدون من الحر في الصيف

(١) راجع ج ١٢ ص ١٩.

(٢) راجع ج ١٠ ص ٣٩٨.

(٣) المعزاء: الأرض الصلبة. يقول: من شدة الحاجة إلى النوم يرون الأرض الصلبة ذات الحجارة مثل الفرش

على الأرائك وهي السرر. يروى: (خودا) على أنه مفعول لفعل في البيت قبله.
(٤) الذي في ديوان الأعشى طبع أوربا. مبتلة الخلق مثل المهامة... الخ.

من سموها). وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن هواء الجنة سجسج: لا حر ولا برد)

والسجسج: الظل الممتد كما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس. وقال مرة الهمداني: الزمهير

البرد القاطع. وقال مقاتل بن حيان: هو شئ مثل رؤوس الأبر ينزل من السماء في غاية البرد. وقال ابن مسعود: هو لون من العذاب، وهو البرد الشديد، حتى إن أهل النار إذا ألقوا فيه سألو الله أن يعذبهم بالنار ألف سنة أهون عليهم من عذاب الزمهير يوما واحدا.

قال أبو النجم:

* أو كنت ريحا كنت زمهيرا *

وقال ثعلب: الزمهير: القمر بلغة طيبى، قال شاعرهم:

وليلة ظلامها قد اعتكر * قطعتها والزمهير ما زهر

ويروى: ما ظهر، أي لم يطلع القمر. فالمعنى لا يرون فيها شمسا كشمس الدنيا ولا قمرا

كقمر الدنيا، أي إنهم في ضياء مستديم، لا ليل فيه ولا نهار، لان ضوء النهار بالشمس، وضوء الليل بالقمر. وقد مضى هذا المعنى مجودا في سورة " مريم " (١) عند قوله تعالى:

" ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا " [مريم: ٦٢]. وقال ابن عباس: بينما أهل الجنة في الجنة إذ رأوا نورا

ظنوه شمسا قد أشرقت بذلك النور الجنة، فيقولون: قال ربنا: " لا يرون فيها شمسا ولا زمهيرا " فما هذا النور؟ فيقول لهم رضوان: ليست هذه شمس ولا قمر، ولكن هذه

فاطمة وعلي ضحكا، فأشرقت الجنان من نور ضحكهما، وفيهما أنزل الله تعالى: " هل أتى

على الانسان " وأنشد:

أنا مولى لفتى * أنزل فيه هل أتى

ذاك علي المرتضى * وابن عم المصطفى

قوله تعالى: (ودانية عليهم ظلالها) أي ظل الأشجار في الجنة قريبة من الأبرار، فهي مظلة عليهم زيادة في نعيمهم وإن كان لا شمس ولا قمر ثم، كما أن أمشاطهم الذهب والفضة،

وإن كان لا وسخ ولا شعث ثم. ويقال: إن ارتفاع الأشجار في الجنة مقدار مائة عام، فإذا انتهى ولي الله ثمرتها دانت حتى يتناولها. وانتصبت " دانية " على الحال عطفاً على

" متكئين " كما تقول: في الدار عبد الله متكئاً ومرسلة عليه الحجال. وقيل: انتصبت نعتاً للجنة، أي وجزاهم جنة دانية، فهي صفة لموصوف محذوف. وقيل: على موضع " لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا " ويرون دانية، وقيل: على المدح أي دنت دانية. قاله

الفراء. " ظلالها " الظلال مرفوعة بدانية، ولو قرئ برفع دانية على أن تكون الظلال مبتدأ

ودانية الخبر لجاز، وتكون الجملة في موضع الحال من الهاء والميم في " وجزاهم " وقد قرئ

بذلك. وفي قراءة عبد الله " ودانيا عليهم " لتقدم الفعل. وفي حرف أبي " ودان " رفع على الاستئناف " وذلك " أي سخرت لهم " قطوفها " أي ثمارها " تذليلاً " أي تسخييراً،

فيتناولها القائم والقاعد والمضطجع، لا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك، قاله قتادة. وقال مجاهد:

إن قام أحدا ارتفعت له، وإن جلس تدلت عليه، وإن اضطجع دنت منه فأكل منها. وعنه أيضاً: أرض الجنة من ورق، وترابها الزعفران، وطيبها مسك أذفر، وأصول شجرها ذهب وورق، وأفنانها اللؤلؤ والزبرجد والياقوت، والثمر تحت ذلك كله، فمن أكل منها

قائماً لم تؤذه، ومن أكل منها قاعداً لم تؤذه، ومن أكل منها مضطجعا لم تؤذه. وقال ابن

عباس: إذا هم أن يتناول من ثمارها تدلت إليه حتى يتناول منها ما يريد، وتذليل القطوف

تسهيل تناول. والقطوف: الثمار، الواحد قطف بكسر القاف، سمي به لأنه يقطف، كما سمي

الجنى لأنه يجنى. " تذليلاً " تأكيد لما وصف به من الذل، كقوله: " ونزلناه تنزيلاً " [الاسراء: ١٠٦]

" وكلم الله موسى تكليماً " [النساء: ١٦٤]. الماوردي: ويحتمل أن يكون تذليل قطوفها أن تبرز لهم

من أكمامها، وتخلص لهم من نواها.

قلت: وفي هذا بعد، فقد روى ابن المبارك، قال: أخبرنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: نخل الجنة: جذوعها زمرد أخضر، وكربها ذهب

أحمر،
وسعفها كسوة لأهل الجنة، منها مقطعاتهم وحللهم، وثمرها أمثال القلال والدلاء، أشد

بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد ليس فيه عجم. قال أبو جعفر النحاس:

ويقال المذلل الذي قد ذلله الماء أي أرواه. ويقال المذلل الذي يفينه أدنى ريح لنعمته، ويقال المذلل المسوى، لان أهل الحجاز يقولون: ذلل نخلك أي سوه، ويقال المذلل القريب المتناول، من قولهم: حائط ذليل أي قصير. قال أبو جعفر (١): وهذه الأقوال التي

حكيناها ذكرها أهل العلم باللغة وقالوها في قول امرئ القيس:
* وساق كأنبوب السقي المذلل (٢) *

قوله تعالى: ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا (١٥) قواريرا من فضة قدروها تقديرا (١٦) ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا (١٧) عينا فيها تسمى سلسبيلا (١٨) قوله تعالى: " ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب " أي يدور على هؤلاء الأبرار الخدم إذا أرادوا الشراب " بآنية من فضة " قال ابن عباس: ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء، أي ما في الجنة أشرف وأعلى وأنقى. ثم لم تنف الأواني الذهبية بل المعنى

يسقون في أواني الفضة، وقد يسقون في أواني الذهب. وقد قال تعالى: " يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب " [الزخرف: ٧١]. وقيل: نبه بذكر الفضة على الذهب، كقوله: " سراييل

تقيكم الحر " [النحل: ٨١] أي والبرد، فنبه بذكر أحدهما على الثاني. والأكواب: الكيزان العظام التي

لا آذان لها ولا عرى، الواحد منها كوب، وقال عدي:

متكئا تفرع (٣) أبوابه * يسعى عليه العبد بالكوب

وقد مضى في " الزخرف " (٤). (كانت قوارير. قوارير من فضة) أي في صفاء القوارير وبياض الفضة، فصفاءها صفاء الزجاج وهي من فضة. وقيل: أرض الجنة

(١) كذا في نسخ الأصل. والذي في المطبوع: (أبو حنيفة).

(٢) الأنبوب: البردي. والسقي: النخل المسقى. شبه ساق المرأة بيردى قد نبت تحت نخل فالنخل يظله من الشمس وذلك أحسن ما يكون منه. وصدر البيت: وكشح لطيف كالجديل مختصر.

(٣) يروى: تخفق. بدل تفرع.

(٤) راجع ج ١٦ ص ١١١

من فضة، والأواني تتخذ من تربة الأرض التي هي منها. ذكره ابن عباس وقال: ليس في الجنة شيء إلا قد أعطيتم في الدنيا شبهه، إلا القوارير من فضة. وقال: لو أخذت فضة

من فضة الدنيا فضربتها حتى تجعلها مثل جناح الذباب لم تر من ورائها الماء، ولكن قوارير

الجنة مثل الفضة (١) في صفاء القوارير. (قدروها تقديرا) قراءة العامة بفتح القاف والداد،

أي قدرها لهم السقاة الذين يطوفون بها عليهم.

قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: أتوا بها

على قدر ريبهم، بغير زيادة ولا نقصان. الكلبي: وذلك ألد وأشهى، والمعنى: قدرتها الملائكة

التي تطوف عليهم. وعن ابن عباس أيضا: قدروها على ملء الكف لا تزيد ولا تنقص، حتى لا تؤذيهم بثقل أو بإفراط صغر. وقيل: إن الشاربيين قدروا لها مقادير في أنفسهم على

ما اشتهوا وقدروا. وقرأ عبيد بن عمير والشعبي وابن سيرين "قدروها" بضم القاف وكسر

الداد، أي جعلت لهم على قدر إرادتهم. وذكر هذه القراءة المهدوي عن علي وابن عباس

رضي الله عنهما، وقال: ومن قرأ "قدروها" فهو راجع إلى معنى القراءة الأخرى، وكان

الأصل قدروا عليها فحذف الجر، والمعنى قدرت عليهم، وأنشد سيويه: (٢)

آليت حب العراق الدهر آكله * والحب يأكله في القرية السوس

وذهب إلى أن المعنى على حب العراق. وقيل: هذا التقدير هو أن الاقداح تطير فتغترف بمقدار شهوة الشارب، وذلك قوله تعالى: "قدروها تقديرا" أي لا يفضل عن الري لا ينقص منه، فقد ألهمت الاقداح معرفة مقدار ري المشتهى حتى تغترف بذلك المقدار.

ذكر هذا القول الترمذي الحكيم في "نوادير الأصول".

قوله تعالى: (ويسقون فيها كأسا) وهي الخمر في الاناء. "كان مزاجها زنجيلا" "كان" صلة، أي مزاجها زنجيلا، أو كان في حكم الله زنجيلا. وكانت العرب تستلذ من

(١) أي في بياضها.

(٢) قائله المتلمس. ويروى: أطمعه. والرواية الصحيحة في (آليت) بالفتح لأنه يخاطب عمرو بن هند

المملك و كان قد أقسم ألا يطعم المتلمس حب العراق . فقال له المتلمس مستهزئاً آليت على حب العراق لا
أطعمه
وقد وجدت منه بالشام ما يغنى عما عندك فمنه هناك كثير بحيث يأكله السوس . وأراد بالقرية الشام .

الشراب ما يمزج بالزنجبيل لطيب رائحته، لأنه يحذو اللسان، ويهضم المأكول، فرغبوا في نعيم الآخرة بما اعتقدوه نهاية النعمة والطيب. وقال المسيب بن علس يصف ثغر المرأة:

و كأن طعم الزنجبيل به * إذ ذقته وسلافة الخمر
ويروى. الكرم. وقال آخر (١):

كأن جنيا من الزنجبيل * بات بفيها وأريا مشورا
ونحوه قول الأعشى:

كأن القرنفل والزنجبيل * باتا بفيها وأريا مشورا

وقال مجاهد: الزنجبيل اسم للعين التي منها مزاج شراب الأبرار. وكذا قال قتادة:
والزنجبيل

اسم العين التي يشرب بها المقربون صرفا وتمزج لسائر أهل الجنة. وقيل: هي عين في الجنة

يوجد فيها طعم الزنجبيل. وقيل: إن فيه معنى الشراب الممزوج بالزنجبيل. والمعنى
كأن

فيها زنجبيلا. " عينا " بدل من كأس. ويجوز أن ينتصب بإضمار فعل أي يسقون
عينا. ويجوز نصبه بإسقاط الخافض أي من عين على ما تقدم في قوله تعالى: " عينا
يشرب بها عباد الله " [الانسان: ٦]. " فيها " أي في الجنة " تسمى سلسبيلا "

السلسبيلا الشراب

اللذيذ، وهو فعليل من السلالة، تقول العرب: هذا شراب سلس وسلسال وسلسل
وسلسبيلا

بمعنى، أي طيب الطعم لذیذه. وفي الصحاح: وتسلسل الماء في الحلق جرى،
وسلسلته

أنا صببته فيه، وماء سلسل وسلسال: سهل الدخول في الحلق لعذوبته وصفائه،
والسلاسل

بالضم مثله. وقال الزجاج: السلسبيلا في اللغة: اسم لما كان في غاية السلاسة، فكأن
العين

سميت بصفتها. وعن مجاهد قال: سلسبيلا: حديدة الجرية تسيل في حلقهم انسلالا.
ونحوه

عن ابن عباس: إنها الحديدية الجري. ذكره الماوردي، ومنه قول حسان بن ثابت رضي
الله عنه:

(١) الذي في ديوان الأعشى هذا البيت لا الذي بعده وفيه: خالط فاه... الخ والظاهر أن البيتين واحد
واختلفت الرواية. والأرى: العسل.



(١٤٢)

يسقون من ورد البريص عليهم* بردى يصفق بالرحيق السلسل (١)
وقال أبو العالية ومقاتل: إنما سميت سلسيلا، لأنها تسيل عليهم في الطرق وفي
منازلهم،

تنبع من أصل العرش من جنة عدن إلى أهل الجنة. وقال قتادة: سلسلة منقاد ماؤها حيث
شاءوا. ونحوه عن عكرمة. وقال القفال: أي تلك عين شريفة فسل سبيلا إليها. وروى
هذا عن علي رضي الله عنه. وقوله: " تسمى " أي إنها مذكورة عند الملائكة وعند
الأبرار

وأهل الجنة بهذا الاسم. وصرف سلسيل، لأنه رأس آية، كقوله تعالى: " الظنونا "
[الأحزاب: ١٠]

و " السبيلا " [الأحزاب: ٦٧].

قوله تعالى: ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم
لؤلؤا منتورا (١٩) وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا (٢٠)
عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة
وسقاهم ربهم شرابا طهورا (٢١) إن هذا كان لكم جزاء وكان
سعيكم مشكورا (٢٢)

قوله تعالى: (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) بين من الذي يطوف عليهم بالآنية،
أي ويخدمهم ولدان مخلدون، فإنهم أخف في الخدمة. ثم قال: " مخلدون " أي باقون
على

ما هم عليه من الشباب والغضاضة والحسن، لا يهرمون ولا يتغيرون، ويكونون على
سن واحدة

على مر الأزمنة. وقيل: مخلدون لا يموتون. وقيل: مسورون مقرطون، أي محلون
والتخليد التحلية. وقد تقدم (٢) هذا. (إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منتورا) أي ظننتهم من
حسنهم وكثرتهم وصفاء ألوانهم: لؤلؤا مفرقا في عرصة المجلس، واللؤلؤ إذا نشر على
بساط (٣)

كان أحسن منه منظوما. وعن المأمون أنه ليلة زفت إليه بوران بنت الحسن بن سهل،
وهو

(١) البريص: نهر بدمشق. وبردی نهر آخر بدمشق أيضا أي ماء بردی. ويصفق: يمزج. والرحيق:
الخمر البيضاء.

(٢) راجع ج ١٧ ص ٢٠٢.

(٣) في ل، و: (واللؤلؤ إذ نشر كان أحسن...).

على بساط منسوج من ذهب، وقد نثرت عليه نساء دار الخليفة اللؤلؤ، فنظر إليه منشورا على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال: لله در أبي نواس كأنه أبصر هذا حيث يقول:

كأن صغري وكبرى من فقاقتها * حصباء در على أرض من الذهب
وقيل: إنما شبههم بالمنثور، لأنهم سراع في الخدمة، بخلاف الحور العين إذ شبههن باللؤلؤ

المكون المخزون، لأنهن لا يمتهن بالخدمة.
قوله تعالى: (وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا) " ثم ": ظرف مكان أي هناك في الجنة، والعامل في " ثم " معنى " رأيت " أي وإذا رأيت ببصرك " ثم ". وقال الفراء:

في الكلام " ما " مضمرة، أي وإذا رأيت ما ثم، كقوله تعالى: " لقد تقطع بينكم "

[الانعام: ٩٤]

أي ما بينكم. وقال الزجاج: " ما " موصولة ب " - ثم " على ما ذكره الفراء، ولا يجوز إسقاط

الموصول وترك الصلة، ولكن " رأيت " يتعدى في المعنى إلى " ثم " والمعنى: إذا رأيت

ببصرك " ثم " ويعني ب " - ثم " الجنة، وقد ذكر الفراء هذا أيضا. والنعيم: سائر ما يتنعم به.

والملك الكبير: استئذان الملائكة عليهم، قاله السدي وغيره. قال الكلبي: هو أن يأتي الرسول من عند الله بكرامة من الكسوة والطعام والشراب والتحف إلى ولي الله وهو في منزله، فيستأذن عليه، فذلك الملك العظيم. وقاله مقاتل بن سليمان. وقيل: الملك الكبير: هو أن يكون لأحدهم سبعون حاجبا، حاجبا دون حاجب، فبينما ولي الله

فيما هو فيه من اللذة والسرور إذ يستأذن عليه ملك من عند الله، قد أرسله الله بكتاب وهدية

وتحفة من رب العالمين لم يرها ذلك الولي في الجنة قط، فيقول للحاجب الخارج: استأذن

على ولي الله فإن معي كتابا وهدية من رب العالمين. فيقول هذا الحاجب للحاجب الذي يليه:

هذا رسول من رب العالمين، معه كتاب وهدية يستأذن على ولي الله، فيستأذن كذلك حتى يبلغ إلى الحاجب الذي يلي ولي الله فيقول له: يا ولي الله! هذا رسول من رب العالمين

يستأذن عليك، معه كتاب وتحفة من رب العالمين أفيؤذن له؟ فيقول: نعم! فأذنوا له.

فيقول ذلك الحاجب الذي يليه: نعم فأذنوا له (١). فيقول الذي يليه للآخر كذلك حتى يبلغ

(١) في ا، ح، ل: (فقاربوا له).

الحاجب الآخر. فيقول له: نعم أيها الملك، قد أذن لك، فيدخل فيسلم عليه ويقول:
السلام
يقرئك السلام، وهذه تحفة، وهذا كتاب من رب العالمين إليك. فإذا هو مكتوب عليه:
من الحي الذي لا يموت، إلى الحي الذي يموت. فيفتحه فإذا فيه: سلام على عبدي
ووليي
ورحمتي وبركاتي، يا وليي أما آن لك أن تشتاق إلى رؤية ربك؟ فيستخفه الشوق
فيركب البراق
فيطير به البراق شوقا إلى زيادة علام الغيوب، فيعطيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت
ولا خطر
على قلب بشر. وقال سفيان الثوري: بلغنا أن الملك الكبير تسليم الملائكة عليهم، دليله
قوله تعالى: " والملائكة يدخلون عليهم من كل باب. سلام عليكم بما صبرتم فنعم
عقبى
الدار " [الرعد: ٢٣ - ٢٤]. وقيل: الملك الكبير كون التيجان على رؤوسهم كما
تكون على رأس ملك من الملوك.
وقال الترمذي الحكيم: يعني ملك التكوين، فإذا أرادوا شيئا قالوا له كن. وقال أبو بكر
الوراق:
ملك لا يتعقبه هلك. وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الملك الكبير هو
[أن] (١)
أدناهم منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألفي عام، يرى أقصاه كما يرى أدناه) قال: [وإن
أفضلهم
منزلة من ينظر في وجه ربه تعالى كل يوم مرتين] سبحان المنعم (٢).
قوله تعالى: (عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق) قرأ نافع وحمزة وابن محيصن
" عاليهم " ساكنة الياء، واختاره أبو عبيد اعتبارا بقراءة ابن مسعود وابن وثاب وغيرهما
" عاليتهم " وبتفسير ابن عباس: أما رأيت الرجل عليه ثياب يعلوها أفضل منها. الفراء:
وهو مرفوع بالابتداء وخبره " ثياب سندس " واسم الفاعل يراد به الجمع. ويجوز في
قول
الأخفش أن يكون (٣) أفراده على أنه اسم فاعل متقدم و " ثياب " مرتفعة به وسدت
مسد الخبر،
والإضافة فيه في تقدير الانفصال لأنه لم يخص، وابتدئ به لأنه أختص بالإضافة. وقرأ
الباقون
" عاليهم " بالنصب. وقال الفراء: هو كقولك فوقهم، والعرب تقول: قومك داخل الدار
فينصبون داخل على الظرف، لأنه محل. وأنكر الزجاج هذا وقال: هو مما لا نعرفه في
الظروف،

ولو كان ظرفاً لم يحز إسكان الياء. ولكنه بالنصب على الحال من شيئين: أحدهما الهاء والميم في قوله:

(١) زيادة يقتضيها المعنى.

(٢) جملة: (سبحان المنعم): في الأصل المطبوع.

(٣) جملة:: (أن يكون) ساقطة من الأصل.

" يطوف عليهم " أي على الأبرار " ولدان " عاليا الأبرار ثياب سندس، أي يطوف عليهم
في هذه الحال، والثاني: أن يكون حالا من الولدان، أي " إذا رأيتهم حسبتهم لأولوا
منثورا " في حال علو الثياب أبدانهم. وقال أبو علي: العامل في الحال إما " لقاها نضرة وسرورا
وإما " جزاهم بما صبروا " قال: ويجوز أن يكون ظرفا فصرف. المهدوي: ويجوز أن
يكون اسم فاعل ظرفا، كقولك هو ناحية من الدار، وعلى أن عاليا لما كان بمعنى فوق
أجرى مجراه فجعل ظرفا. وقرأ ابن محيصة وابن كثير وأبو بكر عن عاصم " خضر " بالجر
على نعت السندس " وإستبرق " بالرفع نسقا على الثياب، ومعناه عاليهم [ثياب] (١) سندس
وإستبرق. وقرأ ابن عامر وأبو عمرو ويعقوب " خضر " رفعا نعتا للثياب " وإستبرق " بالخفض
نعتا للسندس، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم لجودة معناه، لان الخضر أحسن ما كانت نعتا
للثياب فهي مرفوعة، وأحسن ما عطف الاستبرق على السندس عطف جنس على
جنس، والمعنى: عاليهم ثياب خضر من سندس وإستبرق، أي من هذين النوعين. وقرأ نافع
وحفص كلاهما بالرفع ويكون " خضر " نعتا للثياب، لأنهما جميعا بلفظ الجمع " وإستبرق " عطف
على الثياب. وقرأ الأعمش وابن وثاب وحمزة والكسائي كلاهما بالخفض ويكون
قوله: " خضر " نعتا للسندس، والسندس اسم جنس، وأجاز الأخفش وصف اسم الجنس بالجمع على
استقباح له، وتقول: أهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض، ولكنه مستبعد في الكلام.
والمعنى على هذه القراءة: عاليهم ثياب سندس خضر وثياب استبرق. وكلهم صرف الاستبرق
إلا ابن محيصة، فإنه فتحه ولم يصرفه فقرأ " وإستبرق " نصبا في موضع الجر، على
منع الصرف، لأنه أعجمي، وهو غلط، لأنه نكرة يدخله حرف التعريف، تقول الاستبرق إلا أن يزعم
[ابن محيصة] (٢)

أنه قد يجعل علما لهذا الضرب من الثياب. وقرئ " واستبرق " بوصل الهمزة والفتح على أنه سمي باستفعل من البريق، وليس بصحيح أيضا، لأنه معرب مشهور تعريبه، وأن أصله استبرك (٣) والسندس: ما رق من الديباج. والاستبرق: ما غلظ منه. وقد تقدم (٤).

(١) زيادة تقتضيها العبارة.

(٢) زيادة من ا، ح.

(٣) في الأصل إستبرق وهو تحريف

والتصويب من القاموس الفارسي. وفي الألفاظ الفارسية وشرح القاموس أصله: (استبره).

(٤) راجع ج ١٠ ص ٣٩٧ و ج ١٧ ص ١٧٩

قوله تعالى: " وحلوا " عطف على " ويطوف ". " أساور من فضة " وفي سورة فاطر " يحلون فيها من أساور من ذهب " وفي سورة الحج " يحلون فيها من أساور من ذهب

ولؤلؤا " [الحج: ٢٣]، فقيل: حلي الرجل الفضة وحلي المرأة الذهب. وقيل: تارة يلبسون الذهب وتارة

يلبسون الفضة. وقيل: يجمع في يد أحدهم سواران من ذهب وسواران من فضة وسواران

من لؤلؤ، ليجتمع لهم محاسن الجنة، قاله سعيد بن المسيب. وقيل: أي لكل قوم ما تميل

إليه نفوسهم. (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) قال علي رضي الله عنه في قوله تعالى: " وسقاهم ربهم شرابا طهورا " قال: إذا توجه أهل الجنة إلى الجنة مروا بشجرة يخرج من

تحت ساقها عينان، فيشربون من إحداهما، فتجري عليهم بنضرة النعيم، فلا تتغير أبشارهم،

ولا تتشعث أشعارهم أبدا، ثم يشربون من الأخرى، فيخرج ما في بطونهم من الأذى، ثم

تستقبلهم خزنة الجنة فيقولون لهم: " سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين " [الزمر: ٧٣]. وقال النخعي

وأبو قلابة: هو إذا شربوه بعد أكلهم طهرهم، وصار ما أكلوه وما شربوه رشح مسك، وضمرت بطونهم. وقال مقاتل: هو من عين ماء على باب الجنة، تنبع من ساق شجرة، من

شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من غل وغش وحسد، وما كان في جوفه من أذى وقذر.

وهذا معنى ما روى عن علي، إلا أنه في قول مقاتل عين واحدة وعليه فيكون فعولا للمبالغة، ولا يكون

فيه حجة للحنفي أنه بمعنى الطاهر. وقد مضى بيانه في سورة " الفرقان " (١) والحمد لله. وقال

طيب الجمال: صليت خلف سهل بن عبد الله العتمة فقراً " وسقاهم ربهم شرابا طهورا "

وجعل يحرك شفتيه وفمه، كأنه يمص شيئا، فلما فرغ قيل له: أتشرب أم تقرأ؟ فقال: والله لو لم أجد لذته عند قراءته كلذته عند شربه ما قرأته.

قوله تعالى: (إن هذا كان لكم جزاء) أي يقال لهم: إنما هذا جزاء لكم أي ثواب. " وكان سعيكم " أي عملكم " مشكورا " أي من قبل الله، وشكره للعبد قبول طاعته،

وثنأؤه
عليه، وإثأبته إياه. وروى سعيد عن قتادة قال: غفر لهم الذنب وشكر لهم الحسنى.
وقال

(١) راجع ج ١٣ ص ٣٩

مجاهد: " مشكورا " أي مقبولا والمعنى متقارب، فإنه سبحانه إذا قبل العمل شكره، فإذا

شكره أثاب عليه بالجزيل، إذ هو سبحانه ذو الفضل العظيم. روي عن ابن عمر: أن رجلا

حبشيا قال: يا رسول الله! فضلتم علينا بالصور والألوان والنبوة، أفرأيت إن آمنت بما آمنت به، وعملت بما عملت، أكأئن أنا معك في الجنة؟ قال: [نعم والذي نفسي بيده إنه

ليرى بياض الأسود في الجنة وضياؤه من مسيرة ألف عام] ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم:

[من قال لا إله إلا الله كان له بها عند الله عهد، ومن قال سبحان الله والحمد لله كان له بها

عند الله مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة]، فقال الرجل: كيف نهلك بعدها (١)

يا رسول الله؟ فقال: [إن الرجل ليأتي يوم القيامة بالعمل لو وضعه على جبل لأثقله. فتجئ

النعمة من نعم الله فتكاد أن تستنفذ ذلك كله إلا أن يلفظ (٢) الله برحمته]. قال: ثم نزلت

" هل أتى على الانسان حين من الدهر " إلى قوله: " وملكا كبيرا " قال الحبشي: يا رسول الله! وإن عيني لترى ما ترى، عينك في الجنة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

(نعم) فبكى الحبشي حتى فاضت نفسه. وقال ابن عمر: فلقد رأيت رسول الله صلى الله

عليه وسلم يدلّيه في حفرتة ويقول: " إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا " قلنا:

يا رسول الله وما هو؟ قال: [والذي نفسي بيده لقد أوقفه الله ثم قال أي عبدي لأبيضن وجهك ولأبوئنك من الجنة حيث شئت، فنعم أجر العاملين].

قوله تعالى: إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا (٢٣) فاصبر

لحكم ربك ولا تطع منهم أثما أو كفورا (٢٤) واذكر اسم ربك

بكرة وأصيلا (٢٥) ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا (٢٦)

قوله تعالى: (إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) ما افتريته ولا جئت به من عندك،

ولا من تلقاء نفسك، كما يدعيه المشركون. ووجه اتصال هذه الآية بنا قبل أنه سبحانه لما

ذكر أصناف الوعد والوعيد، بين أن هذا الكتاب يتضمن ما بالناس حاجة إليه، فليس

بسحر

(١) في ا، ح، و: (بعد هذا).
(٢) في ز، ط، ل: يتعطف.

ولا كهانة، ولا شعر، وأنه حق. وقال ابن عباس: أنزل القرآن متفرقا: آية بعد آية، ولم ينزل

جملة واحدة، فلذلك قال " نزلنا " وقد مضى القول في هذا مبينا (١) والحمد لله. قوله تعالى: (فاصبر لحكم ربك) أي لقضاء ربك. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: اصبر على أذى المشركين، هكذا قضيت. ثم نسخ بآية القتال. وقيل: أي اصبر لما حكم به عليك من الطاعات، أو انتظر حكم الله إذ وعدك أنه ينصرك عليهم، ولا تستعجل

فإنه كائن لا محالة. " ولا تطع منهم آثما " أي ذا إثم " أو كفورا " أي لا تطع الكفار. فروى معمر عن قتادة قال: قال أبو جهل: إن رأيت محمدا يصلي لأطآن على عنقه. فأنزل الله

عز وجل: " ولا تطع منهم آثما أو كفورا ". ويقال: نزلت في عتبة بن ربيعة والوليد ابن المغيرة، وكانا أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضان عليه الأموال والتزويج، على أن

يترك ذكر النبوة، ففيهما نزلت: " ولا تطع منهم آثما أو كفورا ". قال مقاتل: الذي عرض

التزويج عتبة بن ربيعة، قال: إن بناتي من أجمل نساء قريش، فأنا أزوجك ابنتي من غير مهر وأرجع عن هذا الأمر. وقال الوليد: إن كنت صنعت ما صنعت لأجل المال، فأنا أعطيك من المال حتى ترضى وارجع عن هذا الأمر، فنزلت. ثم قيل: " أو " في قوله تعالى:

" آثما أو كفورا " أو كد من الواو، لان الواو إذا قلت: لا تطع زيدا وعمرا فأطاع أحدهما

كان غير عاص، لأنه أمره ألا يطيع الاثنين، فإذا قال: " لا تطع منهم آثما أو كفورا " فـ " أو " قد دلت على أن كل واحد منهما أهل أن يعصى، كما أنك إذا قلت: لا تخالف

الحسن أو ابن سيرين، أو اتبع الحسن أو ابن سيرين فقد قلت: هذان أهل أن يتبعا وكل واحد منهما أهل أن يتبع، قاله الزجاج. وقال الفراء: " أو " هنا بمنزلة " لا " كأنه قال: ولا كفورا، قال الشاعر:

لا وجد ثكلى كما وجدت ولا * وجد عجول أضلها ربع (٢)
أو وجد شيخ أضل ناقته * يوم توافي الحجيج فاندفعوا

(١) راجع ج ١٣ ص ٢٩.

(٢) العجول من النساء والإبل: الواله التي فقدت ولدها سميت بذلك لعجلتها في جيئتها وذهابها جزعا وهي هنا الناقة. والربع: كمضرب: الفصيل ينتج في الربيع.



(١٤٩)

أراد ولا وجد شيخ. وقيل: الآثم المنافق، والكفور الكافر الذي يظهر الكفر، أي لا تطع منهم آثما ولا كفورا. وهو قريب من قول الفراء. قوله تعالى: (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) أي صل لربك أول النهار وآخره، ففي أوله صلاة الصبح وفي آخره صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فاسجد له) يعني صلاة

المغرب والعشاء الآخرة (وسبحه ليلا طويلا) يعني التطوع في الليل، قاله ابن حبيب. وقال ابن عباس وسفيان: كل تسييح في القرآن فهو صلاة. وقيل: هو الذكر المطلق سواء

كان في الصلاة أو في غيرها. وقال ابن زيد وغيره: إن قوله: "وسبحه ليلا طويلا" منسوخ بالصلوات الخمس وقيل: هو ندب. وقيل: هو مخصوص بالنبي صلى الله عليه وسلم. وقد تقدم القول في مثله في سورة "المزمل" (١) وقول ابن حبيب حسن.

وجمع

الأصيل: الأصائل والأصل كقولك سفائن وسفن قال:
* ولا بأحسن منها إذا دنا الأصل *

وقال (٢) في الأصائل وهو جمع الجمع:
لعمري لأنت البيت أكرم أهله * وأقعد في أفيائه بالأصائل
وقد مضى هذا في آخر (الأعراف) (٣) مستوفى. ودخلت (من) على الظرف للتبعيض كما دخلت على المفعول في قوله تعالى: (يغفر لكم من ذنوبكم).

قوله تعالى: (إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا (٢٧) نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا (٢٨)

قوله تعالى: (إن هؤلاء يحبون العاجلة): تويخ وتقرير، والمراد أهل مكة. والعجلة الدنيا " ويذرون " أي ويدعون " وراءهم " أي بين أيديهم " يوما ثقيلا "

(١) راجع ص ٣٨ من هذا الجزء.

(٢) قاله أبو ذؤيب الهذلي.

(٣) راجع ج ٧ ص ٣٥٥.

أي عسيرا شديدا كما قال: " ثقلت في السماوات والأرض " [الأعراف: ١٨٧]. أي
يتركون الايمان بيوم
القيامة. وقيل: " وراءهم " أي خلفهم، أي ويذرون الآخرة خلف ظهورهم، فلا يعملون
لها. وقيل: " نزلت في اليهود فيما كنتموه من صفة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحة
نبوته.

وحبهم العاجلة: أخذهم الرشا على ما كنتموه. وقيل: أراد المنافقين، لاستبطنهم الكفر
وطلب الدنيا. والآية تعم. واليوم الثقيل يوم القيامة. وإنما سمي ثقيلًا لشدائده وأهواله.
وقيل: للقضاء فيه بين عباده.

قوله تعالى: " نحن خلقناهم " أي من طين. " وشددنا أسرهم " أي خلقهم، قاله
ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل وغيرهم. والأسر الخلق، قال أبو عبيد: يقال فرس
شديد الأسر أي الخلق. ويقال أسره الله جل ثناؤه إذا شدد خلقه، قال لبيد:

سأهم الوجه شديد أسره * مشرف الحارك محبوب الكتد (١)
وقال الأخطل:

من كل مجتنب شديد أسره * سلس القيادة تخاله مختالا (٢)
وقال أبو هريرة والحسن والربيع: شددنا مفاصلهم وأوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق
والعصب. وقال مجاهد في تفسير الأسر: هو الشرج، أي إذا خرج الغائط والبول تقبض
الموضع. وقال ابن زيد القوة. وقال ابن أحمر يصف فرسا:
يمشي بأوظفة شداد أسرها * صم السنابك لا تقي بالجدجد (٣)
واشتقاقه من الأستار وهو القد الذي يشد به الأقتاب، يقال: أسرت القتب أسرا
أي شددته وربطته، ويقال: ما أحسن أسر قتبته أي شده وربطه، ومنه قولهم: خذه

(١) ورد في اللسان مادة (حبك) أنشد بيت لبيد على هذه الصورة: مشرف الحارك محبوب الكفل (وكذلك
هو في ديوانه) ومحبوك الكفل: مدمجه. وفي مادة حرك أنشد الشطر:
* مغبط الحارك محبوب الكفل *

أما الشطر الذي في التفسير هنا فهو لأبي دواد وقد مر في ج ١٧ ص ٣٢.
(٢) مجتنب: مفتعل من الجنيبة وهي الفرس تقاد ولا تتركب وكانوا يركبون الإبل ويجنبون الخيل فإذا صاروا
إلى الحرب ركبوا الخيل.

(٣) الجدجد: الأرض الصلبة. ولا تقي: لا تتوقى ولا تتهيب.

بأسره إذا أرادوا أن يقولوا هو لك كله، كأنهم أرادوا تعكيمة (١) وشده لم يفتح ولم ينقص

منه شيء. ومنه الأسير، لأنه كان يكتف بالإسار. والكلام خرج مخرج الامتنان عليهم بالنعم حين قابلوها بالمعصية. أي سويت خلقك وأحكمته بالقوي ثم أنت تكفر بي. (وإذا

شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً) قال ابن عباس: يقول لو نشاء لأهلكناهم وجئنا بأطوع لله منهم. وعنه أيضاً: لغيرنا محاسنهم إلى أسمح الصور وأقبحها. كذلك روى الضحاك عنه.

والأول رواه عنه أبو صالح.

قوله تعالى: إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً (٢٩)

وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماً حكيماً (٣٠) يدخل

من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً (٣١)

قوله تعالى: "إن هذه" أي السورة "تذكرة" أي موعظة "فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً"

أي طريقاً موثقاً إلى طاعته وطلب مرضاته. وقيل: "سبيلاً" أي وسيلة. وقيل وجهة وطريقاً إلى الجنة (٢). والمعنى واحد. "وما تشاءون" أي الطاعة والاستقامة واتخاذ السبيل إلى الله

"إلا أن يشاء الله" فأخبر أن الأمر إليه سبحانه ليس إليهم، وأنه لا تنفذ مشيئة أحد ولا تتقدم، إلا أن تتقدم مشيئته. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو "وما يشاءون" بالياء على معنى

الخبر عنهم. والباقون بالتاء على معنى المخاطبة لله سبحانه. وقيل: إن الآية الأولى منسوخة

بالثانية. والأشبه أنه ليس بنسخ، بل هو تبين أن ذلك لا يكون إلا بمشيئته. قال الفراء: "وما تشاءون إلا أن يشاء الله" جواب لقوله: "فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً" ثم أخبرهم

أن الأمر ليس إليهم فقال: "وما تشاءون" ذلك السبيل "إلا أن يشاء الله" لكم. "إن الله كان عليماً" بأعمالكم "حكيماً" في أمره ونهيه لكم. وقد مضى في غير موضع.

(١) عكمت المتاع شدته والعكام الخيط الذي يعكم به وعكمت البعير شددت عليه العكم.

(٢) في ب، ز، ط: إلى الخير.

" يدخل من يشاء في رحمته " أي يدخله الجنة راحما له " والظالمين " أي ويعذب
الظالمين

فنصبه بإضمار يعذب. قال الزجاج: نصب الظالمين لان قبله منصوب، أي يدخل من
يشاء

في رحمته ويعذب الظالمين أي المشركين ويكون " أعد لهم " تفسيرا لهذا المضمرة،
كما قال الشاعر:

أصبحت لا أحمل السلاح ولا * أملك رأس البعير إن نفرا
والذئب أخشاه إن مررت به * وحدي وأخشى الرياح والمطرا
أي أخشى الذئب أخشاه. قال الزجاج: والاختيار نصب وإن جاز الرفع، تقول:
أعطيت زيدا

وعمرا أعددت له براء، فيختار نصب، أي وبررت عمرا أو أبر عمرا. وقوله في " حم
عسق ":

" يدخل من يشاء في رحمته والظالمون " [الشورى: ٨] ارتفع لأنه لم يذكر بعده فعل
يقع عليه فينصب

في المعنى، فلم يجز العطف على المنصوب قبله فارتفع بالابتداء. وها هنا قوله: " أعد
لهم

عذابا " يدل على ويعذب، فجاز نصب. وقرأ أبان بن عثمان " والظالمون " رفعا
بالابتداء

والخبر " أعد لهم " . " عذابا أليما " أي مؤلما موجعا. وقد تقدم هذا في سورة " البقرة
" (١)

وغيرها والحمد لله. ختمت السورة.

سورة المرسلات

مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر. وقال ابن عباس وقتادة إلا آية منها، وهي
قوله تعالى: " وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون " [المرسلات: ٤٨] مدنية. وقال ابن

مسعود: نزلت

" والمرسلات عرفا " على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ونحن معه نسير، حتى
أوينا

إلى غار بمنى فنزلت، فبينما نحن نتلقاها منه، وإن فاه لرطب بها إذ وثبت حية، فوثبنا
عليها

لنقتلها فذهبت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (وقيتم شرها كما وقيت شركم).

وعن

كريب مولى ابن عباس قال: قرأت سورة " والمرسلات عرفا " فسمعتني أم الفضل امرأة
العباس، فبكت وقالت: والله يا بني لقد أذكرتني بقراءتك هذه السورة إنها لآخر ما

سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها في صلاة المغرب. والله أعلم. وهي خمسون
آية.

(١) راجع ج ١ ص ١٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى: والمرسلات عرفا (١) فالعاصفات عصفا (٢)
والناشرات نشرا (٣) فالفارقات فرقا (٤) فالملقيات ذكرا (٥)
عذرا أو نذرا (٦) إنما توعدون لواقع (٧) فإذا النجوم طمست (٨)
وإذا السماء فرجت (٩) وإذا الجبال نسفت (١٠) وإذا الرسل
أقتت (١١) لأي يوم أجلت (١٢) ليوم الفصل (١٣) وما أدراك
ما يوم الفصل (١٤) ويل يومئذ للمكذبين (١٥)
قوله تعالى: " والمرسلات عرفا " جمهور المفسرين على أن المرسلات الرياح. وروى
مسروق عن عبد الله قال: هي الملائكة أرسلت بالمعروف من أمر الله تعالى ونهيه
والخبر
والوحي. وهو قول أبي هريرة ومقاتل وأبي صالح والكلبي. وقيل: هم الأنبياء أرسلوا
بلا إله إلا الله، قاله ابن عباس. وقال أبو صالح: إنهم الرسل ترسل بما يعرفون به من
المعجزات. وعن ابن عباس وابن مسعود: إنها الرياح، كما قال تعالى: " وأرسلنا الرياح
" [الحجر: ٢٢].
وقال: " وهو الذي يرسل الرياح " [الأعراف: ٥٧]. ومعنى " عرفا " يتبع بعضها بعضا
كعرف الفرس،
تقول العرب: الناس إلى فلان عرف واحد: إذا توجهوا إليه فأكثروا. وهو نصب على
الحال من " والمرسلات " أي والرياح التي أرسلت متتابعة. ويجوز أن تكون مصدرا
أي
تباعا. ويجوز أن يكون النصب على تقدير حرف الجر، كأنه قال: والمرسلات
بالعرف،
والمراد الملائكة أو الملائكة والرسل. وقيل: يحتمل أن يكون المراد بالمرسلات
السحاب،
لما فيها من نعمة ونقمة، عارفة بما أرسلت فيه ومن أرسلت إليه. وقيل: إنها الزواجر
والمواعظ. و " عرفا " على هذا التأويل متتابعات كعرف الفرس، قاله ابن مسعود.
وقيل: جاريات، قاله الحسن، يعني في القلوب. وقيل: معروفات في العقول.

(فالعاصفات عصفاً) الرياح بغير اختلاف، قاله المهدوي. وعن ابن مسعود:
هي الرياح العواصف تأتي بالعصف، وهو ورق الزرع وحطامه، كما قال تعالى: "فيرسل عليكم (١) قاصفا" [الاسراء: ٦٩]. وقيل: العاصفات الملائكة الموكلون بالرياح يعصفون بها. وقيل: الملائكة تعصف بروح الكافر، يقال: عصف بالشيء أي أباده وأهلكه، وناقاة عصف أي تعصف براكبها، فتمضى كأنها ريح في السرعة، وعصفت الحرب بالقوم أي ذهبت بهم. وقيل: يحتمل أنها الآيات المهلكة كالزلازل والخسوف. (والناشرات نشرًا) الملائكة الموكلون بالسحب ينشرونها. وقال ابن مسعود ومجاهد: هي الرياح يرسلها الله تعالى نشرًا بين يدي رحمته، أي تنشر السحاب للغيث. وروى ذلك عن أبي صالح. وعنه أيضا: الأمطار، لأنها تنشر النبات، فالنشر بمعنى الأحياء، يقال: نشر الله الميت وأنشره أي أحياه. وروى عنه السدي: أنها الملائكة تنشر كتب الله عز وجل. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: يريد ما ينشر من الكتب وأعمال بني آدم. الضحاك: إنها الصحف تنشر على الله بأعمال العباد. وقال الربيع: إنه البعث للقيامة تنشر فيه الأرواح. قال: "والناشرات" بالواو، لأنه استئناف قسم آخر. (فالفارقات فرقا) الملائكة تنزل بالفرق بين الحق والباطل، قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وأبو صالح. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: ما تفرق الملائكة من الأقوات والأرزاق والآجال. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: الفارقات الرياح تفرق بين السحاب وتبدده. وعن سعيد عن قتادة قال: "الفارقات فرقا" الفرقان، فرق الله فيه بين الحق والباطل والحرام والحلال. وقاله الحسن وابن كيسان. وقيل: يعني الرسل فرقوا بين ما أمر الله به ونهى عنه أي بينوا ذلك. وقيل: السحابات الماطرة تشببها بالناقاة الفارق وهي الحامل التي تخرج وتند في الأرض حين تضع، ونوق

(١) كذا في الأصول ولعل المناسب الاستشهاد بقوله تعالى: (جاءتها ريح عاصف) كما أشار إليه أبو حيان بقوله: وأن العصف من صفات الريح... الخ.

فوارق وفرق. [وربما] (١) شبهوا السحابة التي تنفرد من السحاب بهذه الناقة، قال ذو الرمة:

أو مزنة فارق يجلو غواربها* تبوج البرق والظلماء علجوم (٢)
(فالمليقات ذكرا) الملائكة بإجماع، أي تلقي كتب الله عز وجل إلى الأنبياء عليهم السلام،

قاله المهدي. وقيل: هو جبريل وسمي باسم الجمع، لأنه كان ينزل بها. وقيل: المراد الرسل يلقون إلى أممهم ما أنزل الله عليهم، قاله قطرب. وقرأ ابن عباس "فالمليقات" بالتشديد مع فتح القاف، وهو كقوله تعالى: "وإنك لتلقى القرآن" [النمل: ٦] (عذرا أو نذرا):

أي تلقي الوحي إعدارا من الله أو إنذارا إلى خلقه من عذابه، قاله الفراء. وروى عن أبي صالح قال: يعني الرسل يعذرون وينذرون. وروى سعيد عن قتادة "عذرا" قال: عذرا لله جل ثناؤه إلى خلقه، ونذرا للمؤمنين ينتفعون به ويأخذون به. وروى الضحاك عن

ابن عباس. "عذرا" أي ما يلقيه الله جل ثناؤه من معاذير أوليائه وهي التوبة "أو نذرا" ينذر أعداءه. وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص "أو نذرا" بإسكان الذال وجميع

السبعة على إسكان ذال "عذرا" سوى ما رواه الجعفي والأعشى عن أبي بكر عن عاصم أنه

ضم الذال. وروى ذلك عن ابن عباس والحسن وغيرهما. وقرأ إبراهيم التيمي وقاتدة "عذرا ونذرا" بالواو العاطفة ولم يجعل بينهما ألفا. وهما منصوبان على الفاعل له أي للاعذار

أو للانذار. وقيل: على المفعول به، قيل: على البدل من "ذكرا" أي فالمليقات عذرا أو نذرا. وقال أبو علي: يجوز أن يكون العذر والنذر بالثقل على جمع عاذر وناذر، كقوله

تعالى: "هذا نذير من النذر الأولى" [النجم: ٥٦] فيكون نصبا على الحال من الالقاء، أي يلقون الذكر

في حال العذر والانذار. أو يكون مفعولا لـ " - ذكرا " أي "فالمليقات" أي تذكر "عذرا

أو نذرا". وقال المبرد: هما بالثقل جمع والواحد عذير ونذير. (إنما توعدون لواقع) هذا جواب ما تقدم من القسم، أي ما توعدون من أمر القيامة لواقع بكم ونازل عليكم.

(١) الزيادة من اللسان عن الجوهري مادة (فرق).

(٢) تبوج البرق: تفتحه وتكشفه. علجوم: شديد السواد.



(106)

ثم بين وقت وقوعه فقال: " فإذا النجوم طمست " أي ذهب ضوءها ومحي نورها كطمس

الكتاب، يقال: طمس الشيء إذا درس وطمس فهو مطموس، والريح تطمس الآثار فتكون

الريح طامسة والأثر طامسا بمعنى مطموس. (وإذا السماء فرجت) أي فتحت وشقت، ومنه قوله تعالى: " وفتحت السماء فكانت أبوابا " [النبأ: ١٩]. وروى الضحاك عن ابن عباس قال:

فرجت للطبي. (وإذا الجبال نسفت) أي ذهب بها كلها بسرعة، يقال: نسفت الشيء وأنسفته: إذا أخذته كله بسرعة. وكان ابن عباس والكلبي يقول: سويت بالأرض، والعرب

تقول: فرس نسوف إذا كان يؤخر الحزام بمرفقيه، قال بشر: * نسوف للحزام بمرفقيه *

ونسفت الناقة الكلاً: إذا رعته. وقال المبرد: نسفت قلعت من موضعها، يقول الرجل للرجل يقتلع رجله من الأرض: أنسفت رجلاه. وقيل: النسف تفريق الاجزاء حتى تذروها للرياح. ومنه نسف الطعام، لأنه يحرك حتى يذهب الريح بعض ما فيه

من التبن. (وإذا الرسل أقتت) أي جمعت لوقتها ليوم القيامة، والوقت الاجل الذي يكون عنده الشيء المؤخر إليه، فالمعنى: جعل لها وقت وأجل للفصل والقضاء بينهم وبين

الأمم، كما قال تعالى: " يوم يجمع الله الرسل " [المائدة: ١٠٩]. وقيل: هذا في الدنيا أي جمعت الرسل

لميقاتها الذي ضرب لها في إنزال العذاب بمن كذبهم بأن الكفار مهملون. وإنما تزول الشكوك يوم القيامة. والأول أحسن، لأن التوقيت معناه شيء يقع يوم القيامة، كالطمس ونسف الجبال وتشقيق السماء ولا يليق به التأقيت قبل يوم القيامة. قال أبو علي: أي جعل

يوم الدين والفصل لها وقتاً. وقيل: أقتت وعدت وأجلت. وقيل: " أقتت " أي أرسلت لأوقات معلومة على ما علمه الله وأراد. والهمزة (١) في " أقتت " بدل من الواو، قاله

الفراء والزجاج. قال الفراء: وكل واو ضمت وكانت ضممتها لازمة جاز أن يبدل منها همزة،

تقول: صلى القوم إحدانا تريد وحدانا، ويقولون هذه وجوه حسان و [أجوه] (٢). وهذا

(١) وضح المؤلف هذا البديل عند قوله تعالى: (قل أوحى) في أول هذا الجزء.
(٢) زيادة يقتضيها المقام.

لان ضمة الواو ثقيلة. ولم يجز البدل في قوله: " ولا تنسوا الفضل بينكم " [البقرة: ٢٣٧] لان الضمة

غير لازمة. وقرأ أبو عمرو وحميد والحسن ونصر. وعن عاصم ومجاهد " وقتت " بالواو وتشديد

القاف على الأصل. وقال أبو عمرو: وإنما يقرأ " أقتت " من قال في وجوه أجوه. وقرأ أبو جعفر وشيبة والأعرج " وقتت " بالواو وتخفيف القاف. وهو فعلت من الوقت ومنه " كتابا موقوتا ". وعن الحسن أيضا: " ووقتت " بواوين، وهو فوعلت من الوقت أيضا مثل عوهدت. ولو قلبت الواو في هاتين القراءتين ألفا لجاز. وقرأ يحيى وأيوب وخالد بن إلياس وسلام " أقتت " بالهمزة والتخفيف، لأنها مكتوبة في المصحف بالألف.

(لأي يوم أجلت)؟ أي أخرت، وهذا تعظيم لذلك اليوم فهو استفهام على التعظيم. أي " ليوم الفصل " أجلت. وروى سعيد عن قتادة قال: يفصل فيه بين الناس بأعمالهم إلى الجنة أو إلى النار. وفي الحديث: [إذا حشر الناس يوم القيامة قاموا أربعين عاما على رؤوسهم الشمس شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون الفصل]. (وما أدراك ما يوم الفصل)

أتبع التعظيم تعظيما، أي وما أعلمك ما يوم الفصل؟ (ويل يومئذ للمكذبين) أي عذاب وخزي لمن كذب بالله وبرسله وكتبه ويوم الفصل فهو وعيد. وكرره في هذه السورة عند

كل آية لمن كذب، لأنه قسمه بينهم على قدر تكذيبهم، فإن لكل مكذب بشئ عذابا سوى

تكذيبه بشئ آخر، ورب شئ كذب به هو أعظم جرما من تكذيبه بغيره، لأنه أقبح في تكذيبه،

وأعظم في الرد على الله، فإنما يقسم له من الويل على قدر ذلك، وعلى قدر وفاقه وهو قوله:

" جزاء وفاقا ". [النبا: ٢٦]. وروى عن النعمان بن بشير قال: ويل: واد في جهنم فيه ألوان العذاب.

وقاله ابن عباس وغيره. قال ابن عباس: إذا خبت جهنم أخذ من جمره فألقى عليها فيأكل

بعضها بعضا. وروي أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: [عرضت علي جهنم فلم

أر فيها واديا أعظم من الويل] وروى أنه مجمع ما يسيل من قيح أهل النار وصديدهم، وإنما

يسيل الشئ فيما سفل من الأرض وانفطر، وقد علم العباد في الدنيا أن شر المواضع في

الدنيا
ما استنقع فيها مياه الأدناس والأقذار والغسلات من الجيف وماء الحمامات، فذكر أن
ذلك

الوادي. مستنقع صديد أهل الكفر والشرك، ليعلم ذوو العقول أنه لا شيء أقدر منه
قدارة،
ولا أثن منه نتنا، ولا أشد منه مرارة، ولا أشد سوادا منه، ثم وصفه رسول الله صلى الله
عليه وسلم بما تضمن من العذاب، وأنه أعظم واد في جهنم، فذكره الله تعالى في
وعيده
في هذه السورة.

قوله تعالى: ألم نهلك الأولين (١٦) ثم نتبعهم الآخرين (١٧)
كذلك نفعل بالمجرمين (١٨) ويل يومئذ للمكذبين (١٩)
قوله تعالى: (ألم نهلك الأولين) أخبر عن إهلاك الكفار من الأمم الماضين من لدن
آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم. (ثم نتبعهم الآخرين) أي نلحق الآخرين بالأولين.
(كذلك نفعل بالمجرمين) أي مثل ما فعلناه بمن تقدم نفعل بمشركي قريش إما
بالسيف،
وإما بالهلاك. وقرأ العامة " ثم نتبعهم " بالرفع على الاستئناف، وقرأ الأعرج " نتبعهم "
بالجزم عطفًا على " نهلك الأولين " كما تقول: ألم تزرني ثم أكرمك. والمراد أنه
أهلك

قوما بعد قوم على اختلاف أوقات المرسلين. ثم استأنف بقوله: " كذلك نفعل
بالمجرمين "
يريد من يهلك فيما بعد. ويجوز أن يكون الاسكان تخفيفًا من " نتبعهم " لتوالي
الحركات.

وروى عنه الاسكان للتخفيف. وفي قراءة ابن مسعود " ثم سنتبعهم " والكاف من
" كذلك " في موضع نصب، أي مثل ذلك الهلاك نفعله بكل مشرك. ثم قيل: معناه
التحويل

لهلاكهم في الدنيا اعتبارًا. وقيل: هو إخبار بعذابهم في الآخرة.
قوله تعالى: ألم نخلقكم من ماء مهين (٢٠) فجعلناه في قرار
مكين (٢١) إلى قدر معلوم (٢٢) فقدرنا فنعم القادرون (٢٣) ويل
يومئذ للمكذبين (٢٤)
قوله تعالى: (ألم نخلقكم من ماء مهين) أي ضعيف حقير وهو النطفة وقد تقدم. وهذه
الآية أصل لمن قال: إن خلق الجنين إنما هو من ماء الرجل وحده. وقد مضى القول
(١) فيه.

(فجعلناه في قرار مكين) أي في مكان حريز وهو الرحم. (إلى قدر معلوم) قال مجاهد: إلى أن نصوره. وقيل: إلى وقت الولادة. "فقدروا" وقرأ نافع والكسائي "فقدروا" بالتشديد. وخفف الباقون، وهما لغتان بمعنى.

قاله الكسائي والفراء والقنبي. قال القنبي: قدرنا بمعنى قدرنا مشددة: كما تقول: قدرت كذا وقدرته، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم

في الهلال: [إذا غم عليكم فاقدروا له] أي قدروا له المسير والمنازل. وقال محمد بن الجهم

عن الفراء: "فقدروا" قال: وذكر تشديدها عن علي رضي الله عنه، تخفيفها: قال: ولا يبعد أن يكون المعنى في التشديد والتخفيف واحداً، لأن العرب تقول: قدر عليه الموت

وقدر: قال الله تعالى: "نحن قدرنا بينكم الموت" [الواقعة: ٦٠] قرئ بالتخفيف، والتشديد، وقدر عليه

رزقه وقدر. قال: واحتج الذين خففوا فقالوا، لو كانت كذلك لكانت فنعم المقدرون. قال الفراء:

وتجمع العرب بين اللغتين، قال الله تعالى: "فمهمل الكافرين أمهلهم رويدا" [الطارق: ١٧] قال الأعشى:

وأنكرتني وما كان الذي نكرت * من الحوادث إلا الشيب والصلعا
وروي عن عكرمة "فقدروا" مخففة من القدرة، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم والكسائي

لقوله: "فنعم القادرون" ومن شدد فهو من التقدير، أي فقدروا الشقي والسعيد فنعم المقدرون.

رواه ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم. وقيل: المعنى قدرنا قصيرا أو طويلا. ونحوه

عن ابن عباس: قدرنا ملكنا. المهدوي: وهذا التفسير أشبه بقراءة التخفيف. قلت: هو صحيح فإن عكرمة هو الذي قرأ "فقدروا" مخففاً قال: معناه فملكنا فنعم المالكون،

فأفادت الكلمتان معنيين متغايرين، أي قدرنا وقت الولادة وأحوال النطفة في التنقيل من حالة إلى حالة حتى صارت بشرا سويا، أو الشقي والسعيد، أو الطويل والقصير، كله على

قراءة التشديد. وقيل: هما بمعنى كما ذكرنا.

قوله تعالى: ألم نجعل الأرض كفاتا (٢٥) أحياء وأمواتا (٢٦) وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا (٢٧) ويل

يومئذ للمكذبين (٢٨)

(١٦٠)

فيه مسألتان:

الأولى - قوله تعالى: (ألم نجعل الأرض كفاتا) أي ضامة تضم الأحياء على ظهورها والأموات في بطنها. وهذا يدل على وجوب مواراة الميت ودفنه، ودفن شعره وسائر ما يزيله

عنه. وقوله عليه السلام: [قصوا أظافركم وادفنوا قلاماتكم] وقد مضى في (البقرة) (١) بيانه. يقال: كفت الشيء أكفته: إذا جمعته وضممته، والكفت: الضم والجمع، وأنشد سيبويه:

كرام حين تنكفت الأفاعي * إلى أبحارهن من الصقيع
وقال أبو عبيد: " كفاتا " أوعية. ويقال للنحي: كفت وكفيت، لأنه يحوي اللبن ويضمه
قال:

فأنت اليوم فوق الأرض حيا * وأنت غدا تضمك في كفات
وخرج الشعبي في جنازة فنظر إلى الجبان فقال: هذه كفات الأموات، ثم نظر إلى البيوت
فقال: هذه كفات الأحياء.

و [الثانية] (٢) - روى عن ربيعة في النباش قال تقطع يده فقيل له: لم قلت ذلك؟ قال: إن الله عز وجل يقول: " ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا " فالأرض حرز. وقد مضى هذا في سورة " المائدة " (٣). وكانوا يسمون بقية الغرقد كفتة، لأنه مقبرة تضم الموتى،

فالأرض تضم الأحياء إلى منازلهم والأموات في قبورهم. وأيضا استقرار الناس على وجه

الأرض، ثم اضطجاعهم عليها، انضمام منهم إليها. وقيل: هي كفات للأحياء يعني دفن ما يخرج من الإنسان من الفضلات في الأرض، إذ لا ضم في كون الناس عليها، والضم يشير

إلى الاحتفاف من جميع الوجوه. وقال الأحنف وأبو عبيدة ومجاهد في أحد قوله:

الأحياء
والأموات ترجع إلى الأرض، أي الأرض منقسمة إلى حي وهو الذي ينبت، وإلى ميت

(١) راجع ج ٢ ص ١٠٢.

(٢) لم يذكر في الأصول لفظ المسألة الثانية والمتبادر أن هنا موضعها كما يستفاد من أحكام القرآن لابن العربي.

(٣) راجع ج ٦ ص ١٦٨

وهو الذي لا يثبت. وقال الفراء: انتصب، " أحياء وأمواتا " بوقوع الكفات عليه، أي ألم نجعل الأرض كفات أحياء وأموات. فإذا نونت نصبت، كقوله تعالى: " أو إطعام في يوم ذي مسغبة. يتيما " [البلد: ١٤ - ١٥]. وقيل: نصب على الحال من الأرض، أي منها كذا ومنها
كذا. وقال الأخفش: " كفاتا " جمع كافئة والأرض يراد بها الجمع فنعتت بالجمع.
وقال

الخليل: التكفيت: تقليب الشيء ظهرا لبطن أو بطنا لظهر. ويقال: انكفت القوم إلى منازلهم أي انقلبوا. فمعنى الكفات أنهم يتصرفون على ظهرها وينقلبون إليها ويدفنون فيها. " وجعلنا فيها " أي في الأرض " رواسي شامخات " يعني الجبال، والرواسي الثوابت، والشامخات الطوال، ومنه يقال: شمخ بأنفه إذا رفعه كبيرا. قال: (وأسقيناكم ماء فراتا) أي وجعلنا لكم سقيا. والفرات: الماء العذب يشرب ويسقى منه الزرع. أي خلقنا

الجبال وأنزلنا الماء الفرات. وهذه الأمور أعجب من البعث. وفي بعض الحديث قال أبو هريرة: في الأرض من الجنة الفرات والدجلة ونهر الأردن. وفي صحيح مسلم: سيحان

وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة.

قوله تعالى: انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون (٢٩) انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب (٣٠) لا ظليل ولا يغنى من اللهب (٣١) أنها ترمى بشرر كالقصر (٣٢) كأنه جمالت صفر (٣٣) ويل يومئذ للمكذبين (٣٤)

قوله تعالى: (انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون) أي يقال للكفار سيروا " إلى ما كنتم به تكذبون " من العذاب يعني النار، فقد شاهدتموها عيانا. " انطلقوا إلى ظل " أي دخان " ذي ثلاث شعب " يعني الدخان الذي يرتفع ثم يتشعب إلى ثلاث شعب. وكذلك شأن

الدخان العظيم إذا ارتفع تشعب. ثم وصف الظل فقال: (لا ظليل) أي ليس كالظل الذي يقي حر الشمس (ولا يغنى من اللهب) أي لا يدفع من لهب جهنم شيئا. واللهب

ما يعلو على النار إذ اضطربت من أحمر وأصفر وأخضر. وقيل: إن الشعب الثلاث هي الضريع والزقوم والغسلين، قاله الضحاك. وقيل: اللهب ثم الشرر ثم الدخان، لأنها ثلاثة أحوال، هي غاية أوصاف النار إذا اضطربت واشتدت. وقيل: عنق يخرج من النار

فيتشعب

ثلاث شعب. فأما النور فيقف على رؤوس المؤمنين، وأما الدخان فيقف على رؤوس المنافقين،

وأما اللهب الصافي فيقف على رؤوس الكافرين. وقيل: هو السرادق، وهو لسان من نار يحيط

بهم، ثم يتشعب منه ثلاث شعب، فتظلمهم حتى يفرغ من حسابهم إلى النار. وقيل: هو الظل

من يحموم، كما قال تعالى: " في سموم وحميم. وظل من يحموم. لا بارد ولا كريم " [الواقعة: ٤٢ - ٤٤] على ما تقدم (١).

وفي الحديث: (إن الشمس تدنو من رؤوس الخلائق وليس عليهم يومئذ لباس ولا لهم أكفان فتلحقهم (٢) الشمس وتأخذ بأنفاسهم ومد ذلك اليوم، ثم ينجي الله برحمته من يشاء

إلى ظل من ظله فهناك يقولون: " فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم " [الطور: ٢٧] ويقال للمكذبين:

" انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون " من عذاب الله وعقابه " انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب ". فيكون أولياء الله جل ثناؤه في ظل عرشه أو حيث شاء من الظل، إلى أن يفرغ من

الحساب ثم يؤمر بكل فريق إلى مستقره من الجنة والنار. ثم وصف النار فقال: " إنها ترمي بشرر كالقصر " الشرر: واحده شررة. والشرار: واحده شرارة، وهو ما تطاير من النار

في كل جهة، وأصله من شررت الثوب إذا بسطته للشمس ليحف. والقصر البناء العالي. وقراءة العامة " كالقصر " بإسكان الصاد: أي الحصون والمدائن في العظم وهو واحد القصور.

قاله ابن عباس وابن مسعود. وهو في معنى الجمع على طريق الجنس. وقيل: القصر جمع

قصرة ساكنة الصاد، مثل جمرة، وجمر وتمرة وتمر. والقصرة: الواحدة من جزل الحطب الغليظ.

وفي البخاري عن ابن عباس أيضا: " ترمى بشرر كالقصر " قال كنا نرفع الخشب بقصر ثلاثة أذرع (٣) أو أقل، فترفعه للشتاء، فنسميه القصر، وقال سعيد بن جبير والضحاك:

هي

-
- (١) راجع ج ١٧ ص ٢١٣ .
(٢) كذا في الأصول ولعل اللفظ تلفحهم .
(٣) بنصب ثلاثة ويجوز إضافة بقصر إليها أي بقدر ثلاثة أذرع . ولفظ الحديث في (النهاية قصر): (كنا نرفع الخشب للشقاء ثلاث أذرع أو أقل وتسميه القصر) .

أصول الشجر والنخل العظام إذا وقع وقطع. وقيل: أعناقه. وقرأ ابن عباس ومجاهد وحميد والسلمي " كالقصر " بفتح الصاد، أراد أعناق النخل. والقصرة العنق، جمعها قصر

وقصرات. وقال قتادة: أعناق الإبل. قرأ سعيد بن جبير بكسر القاف وفتح الصاد، وهي أيضا جمع قصرة مثل بدرة وبدر وقصعة وقصع وحلقة وحلق، لحلق الحديد. وقال

أبو حاتم: ولعله لغة، كما قالوا حاجة وحوج. وقيل: القصر: الجبل، فشبه الشرر بالقصر

في مقاديره، ثم شبهه في لونه بالجمالات الصفر، وهي الإبل السود، والعرب تسمى السود من

الإبل صفرا، قال (١) الشاعر:

تلك خيلي منه وتلك ركابي * هن صفر أولادها كالزبيب

أي هن سود. وإنما سميت السود من الإبل صفرا لأنه يشوب سوادها شيء من صفرة، كما قيل لبيض الأطباء: الادم، لان بياضها تعلوه كدرة: والشرر إذا تطاير وسقط وفيه بقية من لون النار أشبه شيء بالإبل السود، لما يشوبها من صفرة. وفي شعر عمران ابن حطان الخارجي:

دعتهم بأعلى صوتها ورمتهم * بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى

وضعف الترمذي (٢) هذا القول فقال: وهذا القول محال في اللغة، أن يكون شيء

يشوبه

شيء قليل، فنسب كله إلى ذلك الشائب، فالعجب لمن قد قال هذا، وقد قال الله تعالى: " جمالات صفر " فلا نعلم شيئا من هذا في اللغة. ووجهه عندنا أن النار خلقت من

النور

فهي نار مضيئة، فلما خلق الله جهنم وهي موضع النار، حشا ذلك الموضع بتلك النار، وبعث

إليها سلطانه وغضبه، فاسودت من سلطانه وازدادت حدة، وصارت أشد سوادا من النار ومن كل شيء سوادا، فإذا كان يوم القيامة وجئ بجهنم في الموقف رمت بشررها على

أهل الموقف، غضبا لغضب الله، والشرر هو أسود، لأنه من نار سوداء، فإذا رمت النار بشررها فإنها ترمي الأعداء به، فهن سود من سواد النار، لا يصل ذلك إلى الموحدين، لأنهم

(١) هو الأعشى.

(٢) في نسخة: اليزيدي. وهو تصحيف.



(۱۶۴)

في سرادق الرحمة قد أحاط بهم في الموقف، وهو الغمام الذي يأتي فيه الرب تبارك وتعالى، ولكن يعاينون ذلك الرمي، فإذا عاينوه نزع الله ذلك السلطان والغضب عنه في رأي العين منهم حتى يروها صفراء، ليعلم الموحدون أنهم في رحمة الله لا في سلطانه وغضبه. وكان ابن عباس يقول: الجمالات الصفراء: حبال السفن يجمع بعضها إلى بعض حتى تكون كأوساط الرجال. ذكره البخاري. وكان يقرؤها " جمالات " بضم الجيم، وكذلك قرأ مجاهد وحميد " جمالات " بضم الجيم، وهي الحبال الغلاظ، وهي قلوب السفينة أي حبالها. وواحد القلوس: قلوس. وعن ابن عباس أيضا على أنها قطع النحاس. والمعروف في الحبل الغليظ جمل بتشديد الميم كما تقدم في " الأعراف " (١) " وجمالات " بضم الجيم: جمع جمالة بكسر الجيم موحدًا، كأنه جمع جمل، نحو حجر وحجارة، وذكر وذكاره. وقرأ يعقوب وابن أبي إسحاق وعيسى والجحدري " جمالة " بضم الجيم موحدًا وهي الشئ العظيم المجموع بعضه إلى بعض. وقرأ حفص وحمزة والكسائي " جمالة " وبقيّة السبعة " جمالات " قال الفراء: يجوز أن تكون الجمالات جمع جمال كما يقال: رجل ورجال ورجالات. وقيل: شبهها بالجمالات لسرعة سيرها. وقيل: لمتابعة بعضها بعضًا. والقصير: واحد القصور. وقصر الظلام: اختلاطه ويقال: أتيت قسرا أي عشيا، فهو مشترك، قال: (٢) كأنهم قسرا مصايح راهب * بموزن روى بالسليط ذبالها مسألة: في هذه الآية دليل على جواز ادخار الحطب والفحم وإن لم يكن من القوت، فإنه من مصالح المرء ومغاني مفاقره. وذلك مما يقتضي النظر أن يكتسبه في غير وقت حاجته، ليكون أرخص وحالة وجوده أمكن، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يدخر القوت في وقت عموم وجوده من كسبه وماله، وكل شئ محمول عليه. وقد بين ابن عباس هذا بقوله: كنا نعمد إلى الخشبة فنقطعها ثلاثة أذرع وفوق ذلك ودونه وندخره للشتاء

وكننا
نسميه القصر. وهذا أصح ما قيل في ذلك والله أعلم.

(١) راجع ج ٧ ص ٢٠٧
(٢) قائله كثير عزة. وموزن كمقعد: بلد بالجزيرة.

قوله تعالى: هذا يوم لا ينطقون (٣٥) ولا يؤذن لهم فيعتذرون (٣٦)
ويل يومئذ للمكذبين (٣٧)

قوله تعالى: (هذا يوم لا ينطقون) أي لا يتكلمون (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) أي
إن يوم القيامة له مواطن ومواقيت فهذا من المواقيت التي لا يتكلمون فيها ولا يؤذن
لهم في الاعتذار والتنصل. وعن عكرمة عن ابن عباس قال: سأله ابن الأزرقي عن قوله
تعالى: " هذا يوم لا ينطقون " و " فلا تسمع إلا همسا " [طه: ١٠٨] وقد قال تعالى: "

وأقبل بعضهم
على بعض يتساءلون " [الصفات: ٢٧] فقال له: إن الله عز وجل يقول: " وإن يوما
عند ربك كآلف

سنة مما تعدون " [الحج: ٤٧] فإن لكل مقدار من هذه الأيام لونا من هذه الألوان.
وقيل: لا ينطقون

بحجة نافعة، ومن نطق بما لا ينفع ولا يفيد فكأنه ما نطق. قال الحسن: لا ينطقون
بحجة

وإن كانوا ينطقون. وقيل: إن هذا وقت جوابهم " احسبوا فيها ولا تكلمون "

[المؤمنون: ١٠٨] وقد تقدم.

وقال أبو عثمان: أسكتتهم رؤية الهيبة وحياء الذنوب. وقال الجنيد: أي عذر لمن أعر
ض

عن منعمه وجحده وكفر أياديه ونعمه؟ و " يوم " بالرفع قراءة العامة على الابتداء
والخبر، أي

تقول الملائكة: " هذا يوم لا ينطقون " ويجوز أن يكون قوله: " انطلقوا " [المرسلات:
٢٩] من قول

الملائكة، ثم يقول الله لأوليائه: هذا يوم لا ينطق الكفار. ومعنى اليوم الساعة والوقت.
وروى يحيى بن سلطان. عن أبي بكر عن عاصم " هذا يوم لا ينطقون " بالنصب،
ورويت عن

ابن هرمة وغيره، فيجاز أن يكون مبنيًا لإضافته إلى الفعل وموضعه رفع. وهذا مذهب
الكوفيين. وجاز أن يكون في موضع نصب على أن تكون الإشارة إلى غير اليوم. وهذا
مذهب البصريين، لأنه إنما بني عندهم إذا أضيف إلى مبني، والفعل ها هنا معرب. وقال
الفراء في قوله تعالى: " ولا يؤذن لهم فيعتذرون " الفاء نسق أي عطف على " يؤذن "

وأجيز

ذلك، لأن أواخر الكلام بالنون. ولو قال: فيعتذروا لم يوافق الآيات. وقد قال:

" لا يقضى عليهم فيموتوا " [فاطر: ٣٦] بالنصب وكله صواب، ومثله: " من ذا الذي يقرض الله

قرضا حسنا فيضاعفه " [البقرة: ٢٤٥] بالنصب والرفع.

قوله تعالى: هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين (٣٨) فإن كان

لكم كيد فكيدون (٣٩) ويل يومئذ للمكذبين (٤٠)

قوله تعالى: " هذا يوم الفصل " أي ويقال لهم هذا اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق،

فيتبين المحق من المبطل. " جمعناكم والأولين " قال ابن عباس: جمع الذين كذبوا

محمدًا والذين

كذبوا النبيين من قبله. رواه عنه الضحاك. (فإن كان لكم كيد) أي حيلة في الخلاص

من الهلاك " فكيدوني " أي فاحتالوا لأنفسكم وقاؤوني ولن تجدوا ذلك. وقيل:

أي " فإن كان لكم كيد " أي قدرتم على حرب " فكيدوني " أي حاربوني. كذا روى

الضحاك عن ابن عباس. قال: يريد كنتم في الدنيا تحاربون محمدًا صلى الله عليه وسلم

وتحاربوني فاليوم حاربوني. وقيل: أي إنكم كنتم في الدنيا تعملون بالمعاصي وقد

عجزتم

الآن عنها وعن الدفع عن أنفسكم. وقيل: إنه من قول النبي صلى الله عليه وسلم،

فيكون

كقول هود: " فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون " [هود: ٥٥].

قوله تعالى: إن المتقين في ظلال وعيون (٤١) وفواكه مما

يشتهون (٢٤) كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون (٤٣) إنا كذلك

نجزي المحسنين (٤٤) ويل يومئذ للمكذبين (٤٥)

قوله تعالى: (إن المتقين في ظلال وعيون) أخبر بما يصير إليه المتقون غدا،

والمراد بالظلال ظلال الأشجار وظلال القصور مكان الظل في الشعب الثلاث. وفي

سورة

يس " هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون " (١) [يس: ٥٦]. (وفواكه مما

يشتهون) أي

يتمنون. وقراءة العامة " ظلال ". وقرأ الأعرج والزهري وطلحة " ظلل " جمع ظلة يعني

(١) راجع ج ١٥ ص ٤٤.

في الجنة. " كلوا واشربوا " أي يقال لهم غدا هذا بدل ما يقال للمشركين " فإن كان لكم

كيد فكيدون ". ف " كلوا واشربوا " في موضع الحال من ضمير " المتقين " في الظرف الذي

هو " في ظلال " أي هم مستقرون " في ظلال " مقولا لهم ذلك. (إنا كذلك نجزي المحسنين) أي نثيب الذين أحسنوا في تصديقهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وأعمالهم في الدنيا.

قوله تعالى: كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون (٤٦) ويل يومئذ للمكذبين (٤٧)

قوله تعالى: (كلوا وتمتعوا قليلا) هذا مردود إلى ما تقدم قبل المتقين، وهو وعيد وتهديد وهو حال من " المكذبين " أي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم: " كلوا وتمتعوا

قليلا ". (إنكم مجرمون) أي كافرون. وقيل: مكتسبون فعلا يضركم في الآخرة، من الشرك والمعاصي.

قوله تعالى: وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون (٤٨) ويل يومئذ للمكذبين (٤٩) فبأي حديث بعده يؤمنون (٥٠)

قوله تعالى: (وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) أي إذا قيل لهؤلاء المشركين: " اركعوا "

أي صلوا " لا يركعون " أي لا يصلون، قاله مجاهد. وقال مقاتل: نزلت في ثقيف، امتنعوا

من الصلاة فنزل ذلك فيهم. قال مقاتل: قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (أسلموا) وأمرهم بالصلاة فقالوا: لا ننحنى فإنها مسبة علينا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: [لا خير

في دين ليس فيه ركوع ولا سجود]. يذكر أن مالكا رحمه الله دخل المسجد بعد صلاة العصر،

وهو ممن لا يرى الركوع بعد العصر، فجلس ولم يركع، فقال له صبي: يا شيخ قم فاركع. فقام

فركع ولم يحاجه بما يراه مذهبا، فقيل له في ذلك، فقال: خشيت أن أكون من الذين " إذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ". وقال ابن عباس: إنما يقال لهم هذا في الآخرة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون. قتادة: هذا في الدنيا. ابن العربي: هذه الآية

حجة على وجوب الركوع وإنزاله ركنا في الصلاة وقد انعقد الاجماع عليه، وظن قوم أن هذا

إنما يكون في القيامة وليست بدار تكليف فيتوجه فيها أمر يكون عليه ويل وعقاب، وإنما

يدعون إلى السجود كشفا لحال الناس في الدنيا، فمن كان لله يسجد يمكن (١) من السجود،

ومن كان يسجد رثاء لغيره صار ظهره طبقا واحدا. وقيل: أي إذا قيل لهم اخضعوا للحق لا يخضعون، فهو عام في الصلاة وغيرها وإنما ذكر الصلاة، لأنها أصل الشرائع بعد

التوحيد. وقيل: الامر بالايمن لأنها لا تصح من غير إيمان.

قوله تعالى: (فبأي حديث بعده يؤمنون) أي إن لم يصدقوا بالقرآن الذي هو المعجز والدلالة على صدق الرسول عليه السلام، فبأي شيء يصدقون! وكرر: " ويل يومئذ للمكذبين "

لمعنى تكرير التخويف والوعيد. وقيل: ليس بتكرار، لأنه أراد بكل قول منه غير الذي أراد بالآخر، كأنه ذكر شيئا فقال: ويل لمن يكذب بهذا، ثم ذكر شيئا آخر فقال: ويل لمن يكذب بهذا، ثم ذكر شيئا آخر فقال: ويل لمن يكذب بهذا. ثم كذلك إلى آخرها.

ختمت السورة ولله الحمد.

سورة (عم) مكية وتسمى سورة (النبأ) وهي

أربعون أو إحدى وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: عم يتساءلون (١) عن النبأ العظيم (٢) الذي هم

فيه مختلفون (٣) كلا سيعلمون (٤) ثم كلا سيعلمون (٥)

قوله تعالى: (عم يتساءلون)؟ " عم " لفظ استفهام، ولذلك سقطت منها ألف

" ما "، لتمييز الخبر عن الاستفهام. وكذلك (فيم، ومم) إذا استفهمت. والمعنى عن أي شيء

(١) في نسخة: تمكن من السجود.

(٢) كذا في أحكام القرآن لابن العربي طبعة السعادة.

يسأل بعضهم بعضا. وقال الزجاج: أصل " عم " عن ما فأدغمت النون في الميم، لأنها تشاركها في الغنة. والضمير في " يتساءلون " لقريش. وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: كانت قريش تجلس لما نزل القرآن فتتحدث فيما بينها فمنهم المصدق ومنهم المكذب

به فنزلت " عم يتساءلون "؟ وقيل: " عم " بمعنى: فيم يتشدد المشركون ويختصمون. قوله تعالى: (عن النبأ العظيم) أي يتساءلون " عن النبأ العظيم " فعن ليس تتعلق ب " - يتساءلون " الذي في التلاوة، لأنه كان يلزم دخول حرف الاستفهام فيكون " عن النبأ العظيم " كقولك: كم مالك أثلاثون أم أربعون؟ فوجب لما ذكرناه من امتناع تعلقه ب " - يتساءلون "

الذي في التلاوة، وإنما يتعلق يتساءلون آخر مضمرة. وحسن ذلك لتقدم يتساءلون، قاله المهدوي. وذكر بعض أهل العلم أن الاستفهام في قوله: " عن " مكرر إلا أنه مضمرة، كأنه قال عم يتساءلون أعن النبأ العظيم؟ فعلى هذا يكون متصلا بالآية الأولى. و " النبأ العظيم "

أي الخبر الكبير. (الذي هم فيه مختلفون) أي يخالف فيه بعضهم بعضا، فيصدق واحد ويكذب آخر، فروى أبو صالح عن ابن عباس قال: هو القرآن، دليله قوله: " قل هو نبأ عظيم. أنتم عنه معرضون " فالقرآن نبأ وخبر وقصص، وهو نبأ عظيم الشأن. وروى سعيد

عن قتادة قال: هو البعث بعد الموت صار الناس فيه رجلين: مصدق ومكذب. وقيل: أمر النبي صلى الله عليه وسلم. وروي الضحاك عن ابن عباس قال: وذلك أن اليهود سألوا

النبي صلى الله عليه وسلم عن أشياء كثيرة، فأخبره الله جل ثناؤه باختلافهم، ثم هددهم فقال:

" كلا سيعلمون " أي سيعلمون عاقبة القرآن، أو سيعلمون البعث: أحق هو أم باطل. و " كلا " رد عليهم في إنكارهم البعث أو تكذيبهم القرآن، فيوقف عليها. ويجوز أن يكون

بمعنى حقا أو " ألا " فيبدأ بها. والأظهر أن سؤالهم إنما كان عن البعث، قال بعض علمائنا: والذي يدل عليه قوله عز وجل: " إن يوم الفصل كان ميقاتا " [النبأ: ١٧] يدل على أنهم

كانوا يتساءلون عن البعث. (ثم كلا سيعلمون) أي حقا ليعلمن (١) صدق ما جاء به محمد

صلى الله عليه وسلم من القرآن ومما ذكره لهم من البعث بعد الموت. وقال الضحاك: " كلا "

(١) في الأصول: ليعلمون. والفعل مؤكد بالنون الثقيلة بعد القسم.

(١٧٠)

سيعلمون " يعني الكافرين عاقبة تكذيبهم. " ثم كلا سيعلمون " يعني المؤمنين عاقبة تصديقهم.

وقيل: بالعكس أيضا. وقال الحسن: هو وعيد بعد وعيد. وقراءة العامة فيهما بالياء على الخبر، لقوله تعالى: " يتساءلون " وقوله: " هم فيه مختلفون ". وقرأ الحسن وأبو العالية ومالك بن دينار بالتاء فيهما.

قوله تعالى: ألم نجعل الأرض مهادا (٦) والجبال أوتادا (٧) وخلقناكم أزواجا (٨) وجعلنا نومكم سباتا (٩) وجعلنا الليل لباسا (١٠) وجعلنا النهار معاشا (١١) وبنينا فوقكم سبعا شدادا (١٢) وجعلنا سراجا وهاجا (١٣) وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا (١٤) لنخرج به حبا ونباتا (١٥) وجنات ألفافا (١٦) قوله تعالى: (ألم نجعل الأرض مهادا): دلهم على قدرته على البعث، أي قدرتنا على إيجاد هذه الأمور أعظم من قدرتنا على الإعادة. والمهاد: الوطاء والفراش. وقد قال

تعالى: " الذي جعل لكم الأرض فراشا " [البقرة: ٢٢] وقرئ " مهدا ". ومعناه أنها لهم كالمهد للصبي وهو

ما يمهد له فينوم عليه (والجبال أوتادا) أي لتسكن ولا تتكفأ ولا تميل بأهلها. (وخلقناكم أزواجا)

أي أصنافا: ذكرا وأنثى. وقيل: ألوانا. وقيل: يدخل في هذا كل زوج من قبيح وحسن، وطويل وقصير، لتختلف الأحوال فيقع الاعتبار، فيشكر الفاضل ويصبر المفضول. (وجعلنا

نومكم) " جعلنا " معناه صيرنا، ولذلك تعدت إلى مفعولين. " سباتا " المفعول الثاني، أي راحة لأبدانكم، ومنه يوم السبت أي يوم الراحة، أي قيل لبني إسرائيل: استريحوا في هذا اليوم، فلا تعملوا فيه شيئا. وأنكر ابن الأنباري هذا وقال: لا يقال للراحة سبات. وقيل: أصله التمدد، يقال: سبتت المرأة شعرها: إذا حلتها وأرسلته، فالسبات كالمد، ورجل مسبوت الخلق: أي ممدود. وإذا أراد الرجل أن يستريح تمدد، فسميت الراحة سبتا.

وقيل: أصله القطع، يقال: سبت شعره سبتا: حلقه وكأنه إذا نام انقطع عن الناس وعن الاشتغال، فالسبات يشبه الموت، إلا أنه لم تفارقه الروح. ويقال: سير سبت: أي سهل لين، قال الشاعر: (١)

ومطوية الأقراب أما نهارها * فسبت وأما ليلها فذميل
(وجعلنا الليل لباسا) أي تلبسكم ظلمته وتغشاكم، قاله الطبري. وقال ابن جبير والسدي:

أي سكننا لكم. (وجعلنا النهار معاشا) فيه إضمار، أي وقت معاش، أي متصرفا لطلب المعاش

وهو كل ما يعاش به من المطعم والمشرب وغير ذلك ف " - معاشا " على هذا اسم زمان، ليكون

الثاني هو الأول. ويجوز أن يكون مصدرا بمعنى العيش على تقدير حذف المضاف. (وبنينا

فوقكم سبعا شدادا) أي سبع سماوات محكمات، أي محكمة الخلق وثيقة البنیان. (وجعلنا

سراجا وهاجا) أي وقادا وهي الشمس. وجعل هنا بمعنى خلق، لأنها تعدت لمفعول واحد

والوهاج الذي له وهج، يقال: وهج يهج وهجا ووهجا ووهجانا. ويقال للجوهر إذا تلاأ

توهج. وقال ابن عباس: وهاجا منيرا متلاأنا. (وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا) قال مجاهد وقتادة: والمعصرات الرياح. وقاله ابن عباس: كأنها تعصر السحاب. وعن ابن عباس أيضا: أنها السحاب. وقال سفيان والربيع وأبو العالية والضحاك: أي السحاب التي

تنعصر بالماء ولما تمطر بعد، كالمرأة المعصر التي قد دنا حيضها ولم تحض، قال أبو النجم:

[تمشي الهويني مائلا خمارها * قد أعصرت أوقد دنا إعصارها] (٢)
[وقال آخر]:

فكان مجني دون من كنت أتقي * ثلاث شخوص كاعبان ومعصر (١)

(١) هو حميد بن ثور والسبت: السير السريع. والذميل: السير اللين.
(٢) هذه الزيادة عن أبي حيان دل عليها إجماع نسخ الأصل على ذكر أبي النجم.
(٣) البيت لعمر بن أبي ربيعة.

وقال (١) آخر:
وذي أشر كالأقحوان يزينه * ذهاب الصبا والمعصرات الروائح
فالرياح تسمى معصرات، يقال: أعصرت الريح تعصر إعصاراً: إذا أثارت العجاج، وهي
الاعصار، والسحب أيضاً تسمى المعصرات لأنها تمطر. وقال قتادة أيضاً: المعصرات
السماء،
النحاس: هذه الأقوال صحاح، يقال للرياح التي تأتي بالمطر معصرات، والرياح تلتح
السحاب،
فيكون المطر، والمطر ينزل من الريح على هذا. ويجوز أن تكون الأقوال واحدة،
ويكون المعنى
وأنزلنا من ذوات الرياح المعصرات " ماء ثجاجاً " وأصح الأقوال أن المعصرات،
السحاب. كذا
المعروف أن الغيث منها، ولو كان (بالمعصرات) لكان الريح أولى. وفي الصحاح:
والمعصرات
السحاب تعتمر بالمطر. وأعصر القوم أي أمطروا، ومنه قرأ بعضهم " وفيه يعصرون "
والمعصر:
الجارية أول ما أدركت وحاضت، يقال: قد أعصرت كأنها دخلت عصر شبابها أو
بلغته،

قال الراجز (٢):

جارية بسفوان دارها * تمشي الهوينى ساقطاً خمارها
* قد أعصرت أو قد دنا إعصارها *
والجمع: معاصر، ويقال: هي التي قاربت الحيض، لان الاعصار في الجارية كالمراهقة
في الغلام. سمعته من أبي الغوث الأعرابي. قال غيره: والمعصر السحابة التي حان لها
أن تمطر،
يقال أجن الزرع فهو مجن: أي صار إلى أن يجن، وكذلك السحاب إذا صار إلى أن
يمطر فقد
أعصر. وقال المبرد: يقال سحاب معصر أي ممسك للماء، ويعتصر منه شيء بعد شيء،
ومنه
العصر بالتحريك للملجأ الذي يلجأ إليه، والعصرة بالضم أيضاً الملجأ. وقد مضى هذا
المعنى
في سورة " يوسف " (٣) والحمد لله. وقال أبو زيد (٤):

(١) هو البعيث كما في اللسان وروايته للبيت:
وذي أشر كالأقحوان تشوفه * ذهاب الصبا والمعصرات الدوالح

والدوالح السحائب التي أثقلها الماء: والذهاب بكسر الذاال: الأمطار الضعيفة.
(٢) هو منصور بن مرثد الأسدي
(٣) راجع ج ٩ ص ٢٠٥.
(٤) قاله في رثاء ابن أخته وكان مات عطشا في طريق مكذ.

صاديا يستغيث غير مغاث * ولقد كان عصرة المنجود
ومنه المعصر للجارية التي قد قربت من البلوغ يقال لها معصر، لأنها تحبس في البيت،
فيكون

البيت لها عصرا. وفي قراءة ابن عباس وعكرمة " وأنزلنا بالمعصرات ". والذي في
المصاحف

" من المعصرات " قال أبي بن كعب والحسن وابن جبير وزيد بن أسلم ومقاتل بن
حيان:

" من المعصرات " أي من السماوات. " ماء ثجاجا " صابا متتابعا، عن ابن عباس
ومجاهد

وغيرهما. يقال: ثججت دمه فأنا أثجه ثجا، وقد ثج الدم يثج ثجوجا، وكذلك الماء،
فهو

لازم ومتعد. والثجاج في الآية المنصب. وقال الزجاج: أي الصباب، وهو متعد كأنه
يثج:

نفسه أي يصب. وقال عبيد بن الأبرص (١):

فتح أعلاه ثم ارتج أسفله * وضاق ذرعا بحمل الماء منصاح

وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الحج المبرور فقال: [العج والثج]
فالعج:

رفع الصوت بالتلبية، والثج: إراقة الدماء وذبح الهدايا. وقال ابن زيد: ثجاجا كثيرا.
والمعنى واحد.

قوله تعالى: " لنخرج به " أي بذلك الماء " حبا " كالحنطة والشعير وغير ذلك " ونباتا
"

من الأب، وهو ما تأكله الدواب من الحشيش. " وجنات " أي بساتين " ألقافا " أي
ملتفة

بعضها ببعض لتشعب أغصانها، ولا واحد له كالأوزاع والأخفاف. وقيل: واحد
الألقاف لف

بالكسر ولف بالضم. ذكره الكسائي، قال:

جنة لف وعيش مغدق * وندامي كلهم بيض زهر

وعنه أيضا وأبي عبيدة: لفيف كشريف وأشراف. وقيل: هو جمع الجمع. حكاه
الكسائي.

يقال: جنة لفاء ونبت لف والجمع لف بضم اللام مثل حمر، ثم يجمع اللف ألقافا.
الزمشري:

ولو قيل جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان وجيها. ويقال: شجرة لفاء وشجر لف
وامرأة

(١) البيت في وصف المطر ومنصاح: منشق بالماء. وفي الديوان: فالتج أعلاه.
(٢) قوله: والجمع
لف بضم اللام راجع إلى جنة لفاء بدليل قوله: مثل حمر لأنه جمع الحمراء وأما لف بالكسر والفتح فجمعه
ألفاف.

لفاء: أي غليظة الساق مجتمعة اللحم. وقيل: التقدير: ونخرج به جنات ألفافا، فحذف لدلالة

الكلام عليه. ثم هذا الالتفاف والانضمام معناه أن الأشجار في البساتين تكون متقاربة (١)،

فالأغصان من كل شجرة متقاربة لقوتها.

قوله تعالى: إن يوم الفصل كان ميقاتا (١٧) يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا (١٨) وفتحت السماء فكانت أبوابا (١٩) وسيرت الجبال فكانت سرابا (٢٠)

قوله تعالى: (إن يوم الفصل كان ميقاتا) أي وقتا ومجمعا وميعادا للأولين والآخرين، لما وعد الله من الجزاء والثواب. وسمي يوم الفصل لان الله تعالى يفصل فيه بين خلقه. قوله تعالى: " يوم ينفخ في الصور " أي للبعث " فتأتون " أي إلى موضع العرض. " أفواجا " أي أمما، كل أمة مع إمامهم. وقيل: زمرا وجماعات. الواحد: فوج. ونصب يوما بدلا من اليوم الأول. وروي من حديث معاذ بن جبل قلت: يا رسول الله! رأيت قول الله تعالى: " يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا " فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (يا معاذ

[بن جبل] (٢) لقد سألت عن أمر عظيم) ثم أرسل عينيه باكيا، ثم قال: (يحشر عشرة أصناف

من أمتي أشتاتا قد ميزهم الله تعالى من جماعات المسلمين، وبدل صورهم، فمنهم على صورة

القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون: أرجلهم أعلاهم، ووجوههم يسحبون

عليها، وبعضهم عمي يترددون، وبعضهم صم بكم لا يعقلون، وبعضهم يمضغون ألسنتهم،

فهي مدلاة على صدورهم، يسيل القيح من أفواههم لعبابا، يتقذرهم أهل الجمع، وبعضهم

مقطعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصلبون على جذوع من النار، وبعضهم أشد نتنا من الجيف، وبعضهم ملبسون جلايب سابعة من القطران لاصقة بجلودهم، فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس - يعني النمام - وأما الذين على صورة الخنازير، فأهل

(١) في ا، ح: متقاربة الأغصان من كل.. الخ.

(٢) [بن جبل]: ساقطة من الأصل المطبوع.

(176)

السحت والحرام والمكس. وأما المنكسون رؤوسهم ووجوههم، فأكلة الربا، والعمي:
من

يجور في الحكم، والصم البكم: الذين يعجبون بأعمالهم. والذين يمضغون ألسنتهم:
فالعلماء

والقصاص الذين يخالف قولهم فعلهم. والمقطعة أيديهم وأرجلهم: فالذين يؤذون
الجيران.

والمصلبون على جذوع النار: فالسعاة بالناس إلى السلطان والذين هم أشد نتنا من
الجيف

فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات، ويمنعون حق الله من (١) أموالهم. والذين يلبسون
الجلابيب: فأهل الكبر والفخر والخيلاء).

قوله تعالى: (وفتحت السماء فكانت أبوابا) أي لنزول الملائكة، كما قال تعالى:
" ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا " [الفرقان: ٢٥]. وقيل: تقطعت،
فكانت قطعاً كالأبواب

فانصب الأبواب على هذا التأويل بحذف الكاف. وقيل: التقدير فكانت ذات أبواب،
لأنها تصير كلها أبواباً. وقيل: أبوابها طرقها. وقيل: تنحل وتتناثر، حتى تصير فيها
أبواب.

وقيل: إن لكل عبد بايين في السماء: باباً لعمله، وباباً لرزقه، فإذا قامت القيامة انفتحت
الأبواب. وفي حديث الاسراء: (ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت
قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث
إليه. ففتح لنا). (وسيرت الجبال فكانت سراباً) أي لا شيء كما أن السراب كذلك:
يظنه

الرائي ماء وليس بماء. وقيل: " سيرت " نسفت من أصولها. وقيل: أزيلت عن
مواضعها.

قوله تعالى: إن جهنم كانت مرصداً (٢١) للطاغين مآباً (٢٢)
لابئين فيها أحقاباً (٢٣) لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً (٢٤) إلا حميماً
وغساقاً (٢٥) جزاء وفاقاً (٢٦) إنهم كانوا لا يرجون حساباً (٢٧)
وكذبوا بآياتنا كذاباً (٢٨) وكل شيء أحصيناه كتاباً (٢٩) فذوقوا
فلن نزيدكم إلا عذاباً (٣٠)

(١) وفي الدر المنثور: حق الله والفقراء... الخ.

قوله تعالى: (إن جهنم كانت مرصادا): مفعال من الرصد والرصد: كل شيء كان أمامك. قال الحسن: إن على النار رصدا، لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز عليه، فمن جاء بجواز وقيل
 جاز، ومن لم يجئ بجواز حبس. وعن سفيان رضي الله عنه قال: عليها ثلاث قناطر. وقيل
 " مرصادا " ذات أرصاد على النسب، أي ترصد من يمر بها. وقال مقاتل: محبسا. وقيل:
 طريقا وممرا، فلا سبيل إلى الجنة حتى يقطع جهنم. وفي الصحاح: والمرصاد: الطريق. وذكر
 القشيري: أن المرصاد المكان الذي يرصد فيه الواحد العدو، نحو المضمار: الموضع الذي تضم
 فيه الخيل. أي هي معدة لهم، فالمرصاد بمعنى المحل، فالملائكة يرصدون الكفار حتى ينزلوا بجهنم. وذكر الماوردي عن أبي سنان (١) أنها بمعنى راصدة، تجازيهم بأفعالهم.
 وفي الصحاح: الراصد الشيء: الراقب له، تقول: رصده يرصده رصدا ورصدا، والترصد: الترقب. والمرصد: موضع الرصد. الأصمعي: رصده أرصده: ترقبته، وأرصدته: أعددت له. والكسائي: مثله.
 قلت: فجهنم معدة مترصدة، متفعل من الرصد وهو الترقب، أي هي متطلعة لمن يأتي. والمرصاد مفعال من أبنية المبالغة كالمعطار والمغيار، فكأنه يكثر من جهنم انتظار الكفار.
 (للطاغين مآبا) بدل من قوله: " مرصادا " والمآب: المرجع، أي مرجعا يرجعون إليها، يقال: آب يئوب أوبة: إذا رجع. وقال قتادة: مأوى ومنزلا. والمراد بالطاغين من طغى في دينه بالكفر، أو في دنياه بالظلم.
 قوله تعالى: (لا تبين فيها أحقابا) أي ماكتين في النار ما دامت الأحقاب، وهي لا تنقطع، فكلما مضى حقب جاء حقب. والحقب بضمين: الدهر والأحقاب الدهور. والحقبة بالكسر: السنة، والجمع حقب، قال متمم بن نويرة التميمي:
 وكنا كندمانى جذيمة حقية* من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
 فلما تفرقنا كأني ومالكا* لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

(١) ا، ح، ل، و: (أبي سفيان).

والحقب بالضم والسكون: ثمانون سنة. وقيل: أكثر من ذلك وأقل، على ما يأتي،
والجمع: أحقاب.
والمعنى في الآية، [لابثين] (١) فيها أحقاب الآخرة التي لا نهاية لها، فحذف الآخرة
لدلالة الكلام
عليه، إذ في الكلام ذكر الآخرة وهو كما يقال أيام الآخرة، أي أيام بعد أيام إلى غير
نهاية،
وإنما كان يدل على التوقيت لو قال خمسة أحقاب أو عشرة أحقاب. ونحوه وذكر
الأحقاب لان
الحقب كان أبعد شئ عندهم، فتكلم بما تذهب إليه أو هامهم ويعرفونها، وهي كناية
عن
التأييد، أي يمكنون فيها أبدا. وقيل: ذكر الأحقاب دون الأيام، لان الأحقاب أهول
في القلوب، وأدل على الخلود. والمعنى متقارب، وهذا الخلود في حق المشركين.
ويمكن حمل
الآية على العصاة الذين يخرجون من النار بعد أحقاب. وقيل: الأحقاب وقت لشربهم
الحميم
والغساق، فإذا انقضت فيكون لهم نوع آخر من العقاب، ولهذا قال: "لابثين فيها
أحقابا.
لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا. إلا حميما وغساقا". و "لابثين" اسم فاعل من لبث،
ويقويه
أن المصدر منه اللبث بالاسكان، كالشرب. وقرأ حمزة والكسائي "لبثين" بغير ألف
وهو
اختيار أبي حاتم وأبي عبيد، وهما لغتان، يقال: رجل لاث ولبث، مثل طمع وطامع،
وفره
وفاره. ويقال: هو لبث بمكان كذا: أي قد صار اللبث شأنه، فشبه بما هو خلقه في
الانسان
نحو حذر وفرق، لان باب فعل إنما هو لما يكون خلقه في الشئ في الأغلب، وليس
كذلك
أسم الفاعل من لاث. والحقب: ثمانون سنة في قول ابن عمر وابن محيصن وأبي
هريرة،
والسنة ثلاثمائة يوم وستون يوما، واليوم ألف سنة من أيام الدنيا، قاله ابن عباس. وروي
ابن عمر هذا مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وقال أبو هريرة: والسنة ثلاثمائة
يوم
وستون يوما كل يوم مثل أيام الدنيا. وعن ابن عمر أيضا: الحقب: أربعون سنة.

السدي: سبعون سنة. وقيل: إنه ألف شهر. رواه أبو أمامة مرفوعا. بشير بن كعب:
ثلاثمائة سنة. الحسن: الأحقاب لا يدري أحدكم هي، ولكن ذكروا أنها مائة حقب،
والحقب
الواحد منها سبعون ألف سنة، اليوم منها كالف سنة مما تعدون. وعن أبي أمامة أيضا،

(١) [لابئين]: ساقط من ا، ز، ل، ط.

عن النبي صلى الله عليه وسلم: [إن الحقب الواحد ثلاثون ألف سنة] ذكره المهدوي. والأول الماوردي. وقال قطرب: هو الدهر الطويل غير المحدود. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: [والله لا يخرج من النار من دخلها حتى يكون فيها أحقابا، الحقب بضع وثمانون سنة، والسنة ثلاثمائة وستون يوما، كل يوم ألف سنة مما تعدون، فلا يتكلن أحدكم على أنه يخرج من النار]. ذكره الثعلبي. القرظي: الأحقاب: ثلاثة وأربعون، حقا كل حقب سبعون خريفا، كل خريف سبعمائة سنة، كل سنة ثلاثمائة وستون يوما، كل يوم ألف سنة. قلت: هذه أقوال متعارضة، والتحديد في الآية للخلود، يحتاج إلى توقيف يقطع العذر، وليس ذلك بثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم. وإنما المعنى - والله أعلم - ما ذكرناه أولا، أي لا بثين فيها أزمانا ودهورا، كلما مضى زمن يعقبه زمن، ودهر يعقبه دهر، هكذا أبد الأبدين من غير انقطاع. وقال ابن كيسان: معنى " لا بثين فيها أحقابا " لا غاية لها انتهاء، فكأنه قال أبدا. وقال ابن زيد ومقاتل: إنها منسوخة بقوله تعالى: " فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا " يعني أن العدد قد انقطع، والخلود قد حصل. قلت: وهذا بعيد، لأنه خبر، وقد قال تعالى: " ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط " [الأعراف: ٤٠] على ما تقدم (١). هذا في حق الكفار، فأما العصاة الموحدون فصحيح ويكون النسخ بمعنى التخصيص. والله أعلم. وقيل: المعنى " لا بثين فيها أحقابا " أي في الأرض، إذ قد تقدم ذكرها ويكون الضمير في " لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا " لجهنم. وقيل: واحد الأحقاب حقب وحقبة، قال: فإن تنأ عنها حقبة لا تلاقها * فأنت بما أحدثته بالمجرب وقال الكميت: (١) * مر لها بعد حقبة حقب *

(١) راجع ج ٧ ص ٢٠٦

(٢) صدر البيت: * ولا حمول غدت ولا دمن *

قوله تعالى: " لا يذوقون فيها " أي في الأحقاب " بردا ولا شرابا " البرد: النوم في قول أبي عبيدة وغيره، قال الشاعر (١):
ولو شئت حرمت النساء سواكم * وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا
وقاله مجاهد والسدي والكسائي والفضل بن خالد وأبو معاذ النحوي، وأنشدوا قول الكندي:

بردت مراشفها علي فصدني * عنها وعن تقبيلها البرد
يعني النوم. والعرب تقول: منع البرد البرد، يعني: أذهب البرد النوم.
قلت: وقد جاء الحديث أنه عليه الصلاة والسلام سئل هل في الجنة نوم. فقال:
[لا، النوم أخو الموت، والجنة لا موت فيها] فكذلك النار، وقد قال تعالى: " لا يقضى عليهم فيموتوا " [فاطر: ٣٦] وقال ابن عباس: البرد: برد الشراب. وعنه أيضا: البرد النوم: والشراب الماء. وقال الزجاج: أي لا يذوقون فيها برد ريح، ولا ظل، ولا نوم. فجعل البرد برد كل شئ له راحة، وهذا برد ينفعهم، فأما الزمهرير فهو برد يتأذون به، فلا ينفعهم، فلهم منه من

العذاب ما الله أعلم به. وقال الحسن وعطاء وابن زيد: بردا: أي روحا وراحة، قال الشاعر: (٢)

فلا الظل من برد الضحى تستطيعه * ولا الفئ أوقات (٣) العشي تذوق
" لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا " جملة في موضع الحال من الطاغين، أو نعت للأحقاب،
فالأحقاب ظرف زمان، والعامل فيه " لاثين " أو " لبثين " على تعديّة فعل. (إلا حميما وغساقا) استثناء منقطع في قول من جعل البرد النوم، ومن جعله من البرودة كان بدلا منه.

والحميم: الماء الحار، قاله أبو عبيدة. وقال ابن زيد: الحميم: دموع أعينهم، تجمع في حياض ثم يسقونه. قال النحاس: أصل الحميم: الماء الحار، ومنه اشتق الحمام، ومنه الحمى، ومنه " وظل من

(١) هو العرجي: عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان. ونسب إلى العرج وهو موضع قبل الطائف كان

ينزل به. والنقاخ كغراب: الماء الطيب.

(٢) قائله حميد بن ثور يصف سرحة وكنى بها عن امرأة.

(٣) كذا في الأصل. وفي كتب اللغة مادة (فياً) ولا الفئ من برد العشى... الخ.

(180)

يحموم " : إنما يراد به النهاية في الحر. والغساق: صديد أهل النار وقيحهم. وقيل
الزمهرير.
وقرأ حمزة والكسائي بتشديد السين، وقد مضى في " ص " (١) القول فيه. (جزاء
وفاقاً) أي
موافقاً لأعمالهم. عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما، فالوفاق بمعنى الموافقة كالقتال
بمعنى
المقاتلة. و " جزاء " نصب على المصدر، أي جازيناهم جزاء وافق أعمالهم، قاله الفراء
والأخفش. وقال الفراء أيضاً: هو جمع الوفاق، والوفاق واللفق واحد. وقال مقاتل. وافق
العذاب الذنب، فلا ذنب أعظم من الشرك، ولا عذاب أعظم من النار. وقال الحسن
وعكرمة:
كانت أعمالهم سيئة، فأتاهم الله بما يسوءهم. " إنهم كانوا لا يرجون " أي لا يخافون
" حساباً "
أي محاسبة على أعمالهم. وقيل: معناه لا يرجون ثواب حساب. الزجاج: أي إنهم
كانوا
لا يؤمنون بالبعث فيرجون حسابهم. (و كذبوا بآياتنا كذاباً) أي بما جاءت به الأنبياء.
وقيل: بما أنزلنا من الكتب. وقراءة العامة " كذاباً " بتشديد الذال، وكسر الكاف،
على كذب، أي كذبوا تكديماً كبيراً. قال الفراء: هي لغة يمانية فسيحة، يقولون:
كذبت [به] (٢)
كذاباً، وخرقت القميص خرقاً، وكل فعل في وزن (فعل) فمصدره فعال مشدد في
لغتهم،
وأنشد بعض الكلابيين:
لقد طال ما ثبطني عن صحابتي * وعن حوج قضاؤها من شفائنا
وقرأ علي رضي الله عنه " كذاباً " بالتخفيف وهو مصدر أيضاً. وقال أبو علي:
التخفيف
والتشديد جميعاً: مصدر المكاذبة، كقول الأعشى:
فصدقتها وكذبتها (٣) * والمرء ينفعه كذابه
أبو الفتح: جاء جميعاً مصدر كذب وكذب جميعاً. الزمخشري: " كذاباً " بالتخفيف
مصدر كذب، بدليل قوله:
فصدقتها وكذبتها * والمرء ينفعه كذابه

(١) راجع ج ١٥ ص ٢٢١ فما بعدها.

(٢) الزيادة من معاني القرآن للفراء.

(٣) قال الشهاب: وضمير صدقتها وكذبتها للنفس. والمراد: أنه يصدق نفسه: تارة بأن يقول إن أمانيتها

محققه وتكذيبها بخلافه أو على العكس.

(١٨١)

وهو مثل قوله: " أنبتكم من الأرض نباتا " [نوح: ١٧] يعني وكذبوا بآياتنا أفكذبوا كذابا. أو تنصبه

ب " - كذبوا " لأنه يتضمن معنى كذبوا، لان كل مكذب بالحق كاذب، لأنهم إذا كانوا عند المسلمين كاذبين، وكان المسلمون عندهم كاذبين، فيبينهم مكاذبة. وقرأ ابن عمر

" كذابا " بضم الكاف والتشديد، جمع كاذب، قاله أبو حاتم. ونصبه على الحال الزمخشري.

وقد يكون الكذاب: بمعنى الواحد البليغ في الكذب، يقال: رجل كذاب، كقولك حسان

وبخال، فيجعله صفة لمصدر " كذبوا " أي تكذبا كذابا مفرطا كذبه. وفي الصحاح: وقوله تعالى: " وكذبوا بآياتنا كذابا " وهو أحد مصادر المشدد، لان مصدره قد يجيء على (تفعيل)

مثل التكليم وعلى (فعال) كذاب وعلى (تفعلة) مثل توصية، وعلى (مفعل)، " ومزقناهم كل

ممزق ". (وكل شيء أحصيناه كتابا) " كل " نصب بإضمار فعل يدل عليه " أحصيناه " أي وأحصينا كل شيء أحصيناه. وقرأ أبو السمال " وكل شيء " بالرفع على الابتداء. " كتابا "

نصب على المصدر، لان معنى أحصينا: كتبنا، أي كتبناه كتابا. ثم قيل: أراد به العلم، فإن

ما كتب كان أبعد من النسيان. وقيل: أي كتبناه في اللوح المحفوظ لتعرفه الملائكة. وقيل:

أراد ما كتب على العباد من أعمالهم. فهذه كتابة صدرت عن الملائكة الموكلين بالعباد بأمر

الله تعالى إياهم بالكتابة، دليله قوله تعالى: " وإن عليكم لحافظين. كراما كاتبين " [الانفطار: ١٠ - ١١].

(فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) قال أبو برزة: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن أشد آية في القرآن؟ فقال: قوله تعالى: " فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا " أي " كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها " [النساء: ٥٦] و " كلما خبت زدناهم سعيرا " [الاسراء: ٩٧].

قوله تعالى: إن للمتقين مفازا (٣١) حدائق وأعنابا (٣٢) وكواعب أترابا (٣٣) وكأسا دهاقا (٣٤) لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا (٣٥) جزاء من ربك عطاء حسابا (٣٦)

قوله تعالى: (إن للمتقين مفازا) ذكر جزاء من اتقى مخالفة أمر الله " مفازا " موضع فوز ونجاة وخلاص مما فيه أهل النار. ولذلك قيل للفلاة إذا قل ماؤها: مفازة، تفاعلا بالخلاص منها. (حدائق وأعنابا) هذا تفسير الفوز. وقيل: " إن للمتقين مفازا " إن للمتقين

حدائق، جمع حديقة، وهي البستان المحوط عليه، يقال أحدق به: أي أحاط. والأعناب:

جمع عنب، أي كروم أعناب، فحذف. (وكواعب أترابا) كواعب: جمع كاعب وهي الناهد، يقال: كعبت الجارية تكعب كعوبا، وكعبت تكعب تكعبيا، ونهدت تنهد نهودا. وقال الضحاك: ككواعب العذارى، ومنه قول قيس بن عاصم: وكم من حصان قد حوينا كريمة * ومن كاعب لم تدر ما البؤس معصر والأتراب: الاقران في السن. وقد مضى في سورة " الواقعة " (١) الواحد: ترب. (وكأسا دهاقا)

قال الحسن وقتادة وابن زيد وابن عباس: مترعة مملوءة، يقال: أدهقت الكأس: أي ملأتها، وكأس دهاق أي ممتلئة، قال:

ألا فاسقني صرفا سقاني الساقى * من مائها بكأسك الدهاق
وقال خدش بن زهير:

أتانا عامر يبغى قرانا * فأترعنا له كأسا دهاقا

وقال سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وابن عباس أيضا: متتابعة، يتبع بعضها بعضا، ومنه

أدهقت الحجارة أدهاقا، وهو شدة تلازبها ودخول بعضها في بعض، فالمتتابع كالمتداخل.

وعن عكرمة أيضا وزيد بن أسلم: صافية، قال الشاعر:

لأنت إلى الفؤاد أحب قريبا * من الصادي إلى كأس دهاق

وهو جمع دهق (٢)، وهو خشبتان [يغمز] (٣) بهما [الساق]. والمراد بالكأس الخمر، فالتقدير: خمرا

ذات دهاق، أي عصرت وصفيت، قاله القشيري. وفي الصحاح: وأدهقت الماء: أي أفرغته

(١) راجع ج ١٧ ص ٢١١.

(٢) في (اللسان: دهق): والدهق (بالتحريك): ضرب من العذاب.

وهو بالفارسية: (أشكنجة). ودهقت الشيء: كسرتة وقطعته. اه.

(٣) التصحيح من كتب اللغة وفي الأصول: خشبتان يعصر بهما.

إفراغا شديدا: قال أبو عمرو: والدهق - بالتحريك: ضرب من العذاب. وهو بالفارسية أشكنجه. المبرد: والمدهوق: المعذب بجميع العذاب الذي لا فرجة فيه. ابن الأعرابي: دهقت الشيء كسرتة وقطعته، وكذلك دهقته: وأنشد لحجر بن خالد: ندهق بضع اللحم للباع والندی * وبعضهم تغلي بدم مناقعه (١) ودهمقته بزيادة الميم: مثله. وقال الأصمعي: الدهمقة: لين الطعام وطيبه ورقته، وكذلك كل

شيء لين، ومنه حديث عمر: لو شئت أن يدهمق لي لفعلت، ولكن الله عاب قوما فقال: "أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها" [الأحقاف: ٢٠]. "لا يسمعون فيها" أي في الجنة "لغوا ولا كذابا" اللغو: الباطل، وهو ما يلغى من الكلام وي طرح، ومنه الحديث: [إذا قلت لصاحبك أنصت يوم الجمعة والامام

يخطب فقد لغوت] وذلك أن أهل الجنة إذا شربوا لم تتغير عقولهم، ولم يتكلموا بلغو، بخلاف أهل الدنيا. "ولا كذابا": تقدم، أي لا يكذب بعضهم بعضا، ولا يسمعون كذبا.

وقرأ الكسائي "كذابا" بالتخفيف من كذبت كذابا أي لا يتكاذبون في الجنة. وقيل: هما مصدران للتكذيب، وإنما خففها ها هنا لأنها ليست مقيدة بفعل يصير مصدرا له، وشدد

قوله: "وكذبوا بآياتنا كذابا" لان كذبوا يقيد المصدر بالكذاب. "جزاء من ربك" نصب على المصدر. لان المعنى جزاهم بما تقدم ذكره، جزاءه وكذلك "عطاء" لان معنى

أعطاهم وجزاهم واحد. أي أعطاهم عطاء. "حسابا" أي كثيرا، قاله قتادة، يقال: أحسبت فلانا: أي كثرت له العطاء حتى قاله حسبي. قال (٢): ونقفي وليد الحي إن كان جائعا * ونحسبه إن كان ليس بجائع

(١) يروى هكذا في اللسان مادة (دهق). وفي الأصول (مراجله). والمناقع: القدور الصغار واحدا: متقع ومنقعة.

(٢) قائلته امرأة من بني قشير. ونقفيه: أي نؤثره بالقفيه وهي ما يؤثر به الضيف والصبي.

وقال القتيبي: ونرى أصل هذا أن يعطيه حتى يقول حسبي. وقال الزجاج: " حسابا " أي ما يكفيهم. وقاله الأخفش. يقال: أحسبني كذا: أي كفاني. وقال الكلبي: حاسبهم فأعطاهم بالحسنة عشرا. مجاهد: حسابا لما عملوا، فالحساب بمعنى العد. أي بقدر

ما وجب له في وعد الرب، فإنه وعد للحسنة عشرا، ووعد لقوم بسبعمئة ضعف، وقد وعد

لقوم جزاء لا نهاية له ولا مقدار، كما قال تعالى: " إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب " [الزمر: ١٠].

وقرأ أبو هاشم " عطاء حسابا " بفتح الحاء، وتشديد السين، على وزن فعال أي كفافا، قال

الأصمعي: تقول العرب: حسبت الرجل بالتشديد: إذا أكرمته، وأنشد قول الشاعر:
* إذا أتاه ضيفه يحسبه *

وقرأ ابن عباس. " حسانا " (١) بالنون.

قوله تعالى: رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن

لا يملكون منه خطابا (٣٧) يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون

إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا (٣٨) ذلك اليوم الحق فمن شاء

اتخذ إلى ربه مآبا (٣٩) إنا أنذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء

ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا (٤٠)

قوله تعالى: (رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن) قرأ ابن مسعود ونافع

وأبو عمرو وابن كثير وزيد عن يعقوب، والمفضل عن عاصم: " رب " بالرفع على

الاستئناف،

" الرحمن " خبره. أو بمعنى: هو رب السماوات، ويكون " الرحمن " مبتدأ ثانيا. وقرأ

ابن

عامر ويعقوب وابن محيصن كلاهما بالخفض، نعتا لقوله: " جزاء من ربك " أي جزاء

من

ربك رب السماوات الرحمن. وقرأ ابن عباس وعاصم وحمزة والكسائي: " رب

السماوات "

(١) هكذا رسم الشوكاني الكلمة في تفسيره فتح القدير (٥ / ٢٥٨) ولم يضبطها.

خفضا على النعت، " الرحمن " (١) رفعا على الابتداء، أي هو الرحمن. واختاره أبو عبيد وقال:

هذا أعدلها، خفض " رب " لقربه من قوله: " من ربك " فيكون نعتا له، ورفع " الرحمن "

لبعده منه، على الاستئناف، وخبره " لا يملكون منه خطابا " أي لا يملكون أن يسألوه إلا فيما

أذن لهم فيه. وقال الكسائي: " لا يملكون منه خطابا " بالشفاعة إلا بإذنه. وقيل: الخطاب: الكلام، أي لا يملكون أن يخاطبوا الرب سبحانه إلا بإذنه، دليله: " لا تكلم نفس

إلا بإذنه " [هود: ١٠٥]. وقيل: أراد الكفار " لا يملكون منه خطابا "، فأما المؤمنون فيشفعون.

قلت: بعد أن يؤذن لهم، لقوله تعالى: " من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه " وقوله تعالى: " يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا " [طه: ١٠٩].

قوله تعالى: (يوم تقوم الروح والملائكة صفا) " يوم " نصب على الظرف، أي يوم لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح. واختلف في الروح على أقوال ثمانية: الأول - أنه ملك من

الملائكة. قال ابن عباس: ما خلق الله مخلوقا بعد العرش أعظم منه، فإذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفا وقامت الملائكة كلهم صفا، فيكون عظم خلقه مثل صفوفهم. ونحو منه عن ابن

مسعود، قال: الروح ملك أعظم من السماوات السبع، ومن الأرضين السبع، ومن الجبال. وهو

حيال السماء الرابعة (٢)، يسبح الله كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة، يخلق الله من كل تسبيحة ملكا،

فيجئ يوم القيامة وحده صفا، وسائر الملائكة صفا. الثاني - أنه جبريل عليه السلام. قاله

الشعبي والضحاك وسعيد بن جبير. وعن ابن عباس: إن عن يمين العرش نهرا من نور، مثل

السماوات السبع، والأرضين السبع، والبحار السبع، يدخل جبريل كل يوم فيه سحرا فيغتسل،

فيزداد نورا على نوره، وجمالا على جماله، وعظما على عظمه، ثم ينتفض فيخلق الله من كل قطرة

(١) هذه القراءة ذكرها القرطبي وابن عطية ولم يذكرها قراءة عاصم بالجر فيهما وهي رواية حفص وقد
ذكرها
أبو حيان والألوسي فتكون القراءات عن عاصم على هذا ثلاثا رفع فيهما وجر فيهما وجر (رب) ورفع
(الرحمن).
(٢) في نسخة: السماء السابعة.

تقع من ريشه سبعين ألف ملك، يدخل منهم كل يوم سبعون ألفا البيت المعمور،
والكعبة
سبعون ألفا لا يعودون إليهما إلى يوم القيامة. وقال وهب: إن جبريل عليه السلام واقف
بين يدي الله تعالى ترعد فرائصه، يخلق الله تعالى من كل رعدة مائة ألف ملك،
فالملائكة
صفوف بين يدي الله تعالى منكسة رؤوسهم، فإذا أذن الله لهم في الكلام قالوا: لا إله
إلا أنت،
وهو قوله تعالى: " يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن "
في الكلام
" وقال صوابا " يعني قول: " لا إله إلا أنت " . والثالث - روى ابن عباس عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال: [الروح في هذه الآية جند من جنود الله تعالى، ليسوا
ملائكة،
لهم رؤوس وأيد وأرجل، يأكلون الطعام]. ثم قرأ " يوم يقوم الروح والملائكة صفا "
فإن
هؤلاء جند، وهؤلاء جند. وهذا قول أبي صالح ومجاهد. وعلى هذا هم خلق على
صورة
بني آدم، كالناس وليسوا بناس. الرابع - أنهم أشرف الملائكة، قاله مقاتل بن حيان.
الخامس - أنهم حفظة على الملائكة، قاله ابن أبي نجیح. السادس: أنهم بنو آدم،
قاله الحسن وقتادة. فالمعنى ذوو الروح. وقال العوفي والقرظي: هذا مما كان يكتمه
ابن عباس، قال: الروح: خلق من خلق الله على صور بني آدم، وما نزل ملك من
السماء
إلا ومعه واحد من الروح. السابع: أرواح بني آدم تقوم صفا، فتقوم الملائكة صفا،
وذلك
بين النفختين، قبل أن ترد إلى الأجساد، قاله عطية. الثامن - أنه القرآن، قاله زيد
ابن أسلم، وقرأ " وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا " . و " صفا " : مصدر أي
يقومون
صفوفا. والمصدر ينبئ عن الواحد والجمع، كالعدل والصوم. ويقال ليوم العيد: يوم
الصف.
وقال في موضع آخر: " وجاء ربك والملك صفا صفا " [الفجر: ٢٢] هذا يدل على
الصفوف، وهذا حين
العرض والحساب. قال معناه القتيبي وغيره. وقيل: يقوم الروح صفا، والملائكة صفا،
فهم
صفان. وقيل: يقوم الكل صفا واحدا. " لا يتكلمون " أي لا يشفعون " إلا من أذن له

الرحمن " في الشفاعة " وقال صوابا " يعني حقا، قاله الضحاك ومجاهد. وقال أبو صالح:
لا إله إلا الله. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: يشفعون لمن قال لا إله إلا الله.

وأصل الصواب. السداد من القول والفعل، وهو من أصاب يصيب إصابة، كالجواب من أجاب يجيب إجابة. وقيل: " لا يتكلمون " يعني الملائكة والروح الذين قاموا صفا، لا يتكلمون

هيبية وإجلالا " إلا من أذن له الرحمن " في الشفاعة وهم قد قالوا صوابا، وأنهم يوحدون

الله تعالى ويسبحونه. وقال الحسن: إن الروح يقول يوم القيامة: لا يدخل أحد الجنة إلا بالرحمة، ولا النار إلا بالعمل. وهو معنى قوله تعالى: " وقال صوابا " .

قوله تعالى: " ذلك اليوم الحق " أي الكائن الواقع " فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا " أي مرجعا بالعمل الصالح، كأنه إذا عمل خيرا رده إلى الله عز وجل، وإذا عمل شرا عده

منه. وينظر إلى هذا المعنى قوله عليه السلام: [والخير كله بيدك، والشر ليس إليك]. وقال قتادة: " مآبا " : سبيلا.

قوله تعالى: (إنا أنذرناكم عذابا قريبا): يخاطب كفار قريش ومشركي العرب، لأنهم قالوا: لا نبعث. والعذاب عذاب الآخرة، وكل ما هو آت فهو قريب، وقد قال تعالى: " كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها " [النازعات: ٤٦] قال معناه الكلبي وغيره. وقال قتادة:

عقوبة الدنيا، لأنها أقرب العذابين. قال مقاتل: هي قتل قريش ببدر. والأظهر أنه عذاب الآخرة، وهو الموت والقيامة، لان من مات فقد قامت قيامته، فإن كان من أهل الجنة رأى

مقعده من الجنة، وإن كان من أهل النار رأى الخزي والهوان، ولهذا قال تعالى: " يوم ينظر المرء ما قدمت يداه " [بين وقت ذلك العذاب، أي أنذرناكم عذابا قريبا في ذلك اليوم،

وهو يوم ينظر المرء ما قدمت يداه، أي يراه] (١) وقيل: ينظر إلى ما قدمت فحذف إلى. والمرء

ها هنا المؤمن في قول الحسن، أي يجد لنفسه عملا، فأما الكافر فلا يجد لنفسه عملا، فيتمنى

أن يكون ترابا. ولما قال: " ويقول الكافر " علم أنه أراد بالمرء المؤمن. وقيل: المرء

ها هنا: أبي خلف وعقبة بن أبي معيط. (ويقول الكافر) أبو جهل. وقيل: هو عام في كل أحد وإنسان يرى في ذلك اليوم جزاء ما كسب. وقال مقاتل: نزلت قوله: " يوم

ينظر المرء ما قدمت يداه " في أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي: " ويقول الكافر يا ليتني كنت

(١) ما بين القوسين: ساقط من ز، ط، ل.

(١٨٨)

ترابا " : في أخيه الأسود بن عبد الأسد. وقال الثعلبي: سمعت أبا القاسم بن حبيب يقول:
الكافر: ها هنا إبليس وذلك أنه عاب آدم بأنه خلق من تراب، وافتخر بأنه خلق من نار، فإذا
عابن يوم القيامة ما فيه آدم وبنوه من الثواب والراحة، والرحمة، ورأى ما هو فيه من الشدة
والعذاب، تمنى أنه يكون بمكان آدم، ف " يقول: يا ليتني كنت ترابا " قال: ورأيت في بعض
التفاسير للقشيري أبي نصر. وقيل: أي يقول إبليس يا ليتني خلقت من التراب ولم أقل أنا خير من آدم. وعن ابن عمر: إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم، وحشر الدواب والبهائم والوحوش، ثم يوضع القصاص بين البهائم، حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة
القرناء بنطحتها، فإذا فرغ من القصاص بينها قيل لها: كوني ترابا، فعند ذلك يقول الكافر:
" يا ليتني كنت ترابا ". ونحوه عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم.
وقد ذكرناه في كتاب " التذكرة، بأحوال الموتى وأمور الآخرة "، مجودا والحمد لله. ذكر أبو جعفر
النحاس: حدثنا أحمد بن محمد بن نافع، قال حدثنا سلمة بن شبيب، قال حدثنا عبد الرازق،
قال حدثنا معمر، قال أخبرني جعفر بن برقان الجزري، عن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة،
قال: إن الله تعالى يحشر الخلق كلهم من دابة وطائر وإنسان، ثم يقال للبهائم والطيور كوني ترابا،
فعند ذلك " يقول الكافر: يا ليتني كنت ترابا ". وقال قوم: " يا ليتني كنت ترابا ": أي لم
أبعث، كما قال: " يا ليتني لم أوت كتابيه ". وقال أبو الزناد: إذا قضي بين الناس، وأمر بأهل
الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، قيل لسائر الأمم ولمؤمني الجن: عودوا ترابا، فيعودون
ترابا، فعند ذلك يقول الكافر حين يراهم " يا ليتني كنت ترابا ". وقال ليث بن أبي سليم:
مؤمنو الجن يعودون ترابا. وقال عمر بن عبد العزيز والزهري والكلبي ومجاهد: مؤمنو

الجنة
حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها. وهذا أصح، وقد مضى في سورة " الرحمن
" (١) بيان
هذا، وأنهم مكلفون: يثابون ويعاقبون، فهم كبنى آدم، والله أعلم بالصواب.

(١) راجع ج ١٧ ص ١٦٩

سورة النازعات

مكية بإجماع. وهي خمس أو ست وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: والنازعات غرقا (١) والناشطات نشطا (٢)

والسابحات سبحا (٣) فالسابقات سبقا (٤) فالمديرات أمرا (٥)

يوم ترجف الراجفة (٦) تتبعها الرادفة (٧) قلوب يومئذ واجفة (٨)

أبصارها خاشعة (٩) يقولون إنا لمردودون في الحافرة (١٠) إذا

كنا عظاما نخرة (١١) قالوا تلك إذا كرة خاسرة (١٢) فإنما هي

زجرة واحدة (١٣) فإذا هم بالساهرة (١٤)

قوله تعالى (والنازعات غرقا): أقسم سبحانه بهذه الأشياء التي ذكرها، على أن القيامة حق. و " النازعات ": الملائكة التي تنزع أرواح الكفار، قاله علي رضي الله عنه، وكذا قال

ابن مسعود وابن عباس ومسروق ومجاهد: هي الملائكة تنزع نفوس بين آدم. قال ابن مسعود:

يريد أنفس الكفار ينزعها ملك الموت من أجسادهم، من تحت كل شعرة، ومن تحت الأظافر وأصول القدمين نزعا كالسفود ينزع من الصوف الرطب، يغرقها، أي يرجعها في أجسادهم، ثم ينزعها فهذا عمله بالكفار. وقال ابن عباس. وقال سعيد بن جبير: نزع أرواحهم، ثم غرقت، ثم حرقت، ثم قذف بها في النار. وقيل: يرى الكافر نفسه في وقت النزاع كأنها تغرق. وقال السدي: و " النازعات " هي النفوس حين تغرق في الصدور.

مجاهد: هي الموت ينزع النفوس. الحسن وقتادة: هي النجوم تنزع من أفق إلى أفق، أي تذهب، من قولهم: نزع إليه أي ذهب، أو من قولهم: نزع الخيل أي جرت. " غرقا "

أي إنها تغرق وتغيب وتطلع من أفق إلى أفق آخر. وقاله أبو عبيدة وابن كيسان والأخفش.

وقيل: النازعات القسي تنزع بالسهم، قاله عطاء وعكرمة. و " غرقا " بمعنى إغراق، وإغراق

النازع في القوس أن يبلغ غاية المد، حتى ينتهي إلى النصل. يقال: أغرق في القوس أي استوفى مدها، وذلك بأن تنتهي إلى العقب الذي عند النصل الملفوف عليه. والاستغراق الاستيعاب. ويقال لقشرة البيضة الداخلة: " غرقى ". وقيل: هم الغزاة الرماة. قلت: هو والذي قبله سواء، لأنه إذا أقسم بالقسي فالمراد النازعون بها تعظيما لها، وهو مثل قوله تعالى: " والعاديات ضبحا " [العاديات: ١] والله أعلم. وأراد بالاغراق: المبالغة في النزاع وهو

سائر في جميع وجوه تأويلها. وقيل: هي الوحش تنزع (١) من الكأ وتنفرد. حكاه يحيى

ابن سلام. ومعنى " غرقا " أي إبعادا في النزاع.

قوله تعالى: (والناشطات نشط) قال ابن عباس: يعني الملائكة تنشط نفس المؤمن فتقبضها كما ينشط العقل من يد البعير: إذا حل عنه. وحكى هذا القول الفراء ثم قال:

والذي سمعت من العرب أن يقولوا أنشطت وكأنما أنشط من عقل. وربطها نشطها والرابط الناشط، وإذا ربطت الحبل في يد البعير فقد نشطته، فأنت ناشط، وإذا حللته فقد

أنشطته وأنت منشط. وعن ابن عباس أيضا: هي أنفس المؤمنين عند الموت تنشط للخروج،

وذلك أنه ما من مؤمن [يحضره الموت] (٢) إلا وتعرض عليه الجنة قبل أن يموت، فيرى فيها

ما أعد الله له من أزواجه وأهله من الحور العين، فهم يدعونه إليها، فنفسه إليهم نشطه أن تخرج

فتأتيهم. وعنه أيضا قال: يعني أنفس الكفار والمنافقين تنشط كما ينشط العقب، الذي يعقب

به السهم. والعقب بالتحريك: العصب الذي تعمل منه الأوتار، الواحدة عقبة، تقول منه: عقب السهم والقدح والقوس عقبا: إذا لوى شيئا منه عليه. والنشط: الجذب بسرعة، ومنه الأنشطة: عقدة يسهل انحلالها إذا جذبت مثل عقدة التكة. وقال أبو زيد: نشطت

(١) في نسخ الأصل: تنزع من الكالأ. وفي البحر: تنزع إلى... الخ.
(٢) الزيادة من تفسير الثعلبي.

الجبيل أنشطه نشطا: عقدته بأنشوطه، وأنشطته أي حللته، وأنشطت الجبل أي مددته حتى

ينحل. وقال الفراء: أنشط العقال أي حل، ونشط: أي ربط الجبل في يديه. وقال الليث:

أنشطته بأنشوطه وأنشوطتين أي أو ثقته، وأنشطت العقال: أي مددت أنشوطته فانحلت. قال: ويقال نشط بمعنى أنشط، لغتان بمعنى، وعليه يصح قول ابن عباس المذكور أولا. وعنه أيضا: الناشطات الملائكة لنشاطها، تذهب وتجيء بأمر الله حيثما كان. وعنه أيضا وعن علي رضي الله عنهما: هي الملائكة تنشط أرواح الكفار، ما بين الجلد والأظفار،

حتى تخرجها من أجوافهم نشطا بالكرب والغم، كما تنشط الصوف من سفود الحديد، وهي من النشط بمعنى الجذب، يقال: نشطت الدلو أنشطها بالكسر، وأنشطها بالضم: أي نزعته.

قال الأصمعي: بئر أنشاط: أي قرية القعر، تخرج الدلو منها بجذبة واحدة. وبئر نشوط،

قال: وهي التي لا يخرج منها الدلو حتى تنشط كثيرا. وقال مجاهد: هو الموت ينشط نفس

الانسان. السدي: هي النفوس حين تنشط من القدمين. وقيل: النازعات: أي يدي الغزاة أو أنفسهم، تنزع القسي بإغراق السهام، وهي التي تنشط الاوهاق (١). عكرمة وعطاء: هي

الاهواق تنشط السهام. وعن عطاء أيضا وقتادة والحسن والأخفش: هي النجوم تنشط من أفق

إلى أفق: أي تذهب. وكذا في الصحاح. "والناشطات نشطا" يمني النجوم من برج إلى برج، كالثور الناشط من بلد إلى بلد. والهموم تنشط بصاحبها، قال هميان بن قحافة:

أمست همومي تنشط المناشطا * الشام بي طورا وطورا واسطا
أبو عبيدة وعطاء أيضا: الناشطات: هي الوحش حين تنشط من بلد إلى بلد، كما أن الهموم

تنشط الانسان من بلد إلى بلد، وأنشد قول هميان:

* أمست همومي... * البيت

وقيل: "والنازعات" للكافرين "والناشطات" للمؤمنين، فالملائكة يجذبون روح المؤمن

برفق، والنزع جذب بشدة، والنشط جذب برفق. وقيل: هما جميعا للكفار والآياتان

بعدهما
للمؤمنين عند فراق الدنيا.

(١) جمع وهق بحركتين وقد يسكن: الحبل تشد به الإبل والخيل لثلا تند ويقال في طرفه أنشودة.

قوله تعالى: (والسابحات سبحا) قال علي رضي الله عنه: هي الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين. الكلبي: هي الملائكة تقبض أرواح المؤمنين، كالذي يسبح في الماء، فأحيانا ينغمس وأحيانا يرتفع، يسلمونها سلا رفيقا بسهولة، ثم يدعونها حتى تستريح. وقال مجاهد

وأبو صالح: هي الملائكة ينزلون من السماء مسرعين لأمر الله، كما يقال للفرس الجواد سابح:

إذا أسرع في جريه. وعن مجاهد أيضا: الملائكة تسبح في نزولها وصعودها. وعنه أيضا:

السابحات: الموت يسبح في أنفاس بني آدم. وقيل: هي الخيل الغزاة، قال عنتره: والخيل تعلم حين تسبح* في حياض الموت سبحا وقال امرؤ القيس:

مسح إذا ما السابحات على الونى* أثرن غبارا بالكديد المركل (١)
قتادة والحسن: هي النجوم تسبح في أفلاكها، وكذا الشمس والقمر، قال الله تعالى: " كل في فلك يسبحون ". عطاء: هي السفن تسبح في الماء. ابن عباس: السابحات أرواح المؤمنين تسبح شوقا إلى لقاء الله ورحمته حين تخرج.

قوله تعالى: (فالسابحات سبقا) قال علي رضي الله عنه: هي الملائكة تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء عليهم السلام. وقاله مسروق ومجاهد. وعن مجاهد أيضا وأبي روق: هي الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح. وقيل: تسبق بني آدم إلى

العمل الصالح فتكتبه. وعن مجاهد أيضا: الموت يسبق الانسان. مقاتل: هي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة. ابن مسعود: هي أنفس المؤمنين تسبق إلى الملائكة الذين يقبضونها وقد عاينت السرور، شوقا إلى لقاء الله تعالى ورحمته. ونحو عن الربيع، قال:

هي النفوس تسبق بالخروج عند الموت. وقال قتادة والحسن ومعمر: هي النجوم يسبق بعضها بعضا في السير. عطاء: هي الخيل التي تسبق إلى الجهاد. وقيل: يحتمل أن تكون

(١) مسح: بصب الحرى. الونى: الفتور. الكديد: الموضع الغليظ. المركل: الذي يركل بالأرجل. ومعنى البيت: إن الخيل السريعة إذا فترت فأتارت الغبار بأرجلها من التعب جرى هذا الفرس جريا سهلا كما يسح السحاب المطر.

السابقات ما تسبق من الأرواح قبل الأجساد إلى جنة أو نار، قاله الماوردي. وقال الجرجاني: ذكر " فالسابقات " بالفاء لأنها مشتقة من التي قبلها، أي واللائي يسبحن فيسبقن، تقول: قام فذهب، فهذا يوجب أن يكون القيام سببا للذهاب، ولو قلت: قام وذهب، لم يكن القيام سببا للذهاب.

قوله تعالى: (فالمديرات أمرا) قال القشيري: أجمعوا على أن المراد الملائكة. وقال الماوردي: فيه قولان: أحدهما الملائكة، قاله الجمهور. والقول الثاني هي الكواكب

السبعة. حكاه خالد بن معدان عن معاذ بن جبل. وفي تديرها الامر وجهان: أحدهما تدير طلوعها وأفولها. الثاني تديرها ما قضاه الله تعالى فيها من تقلب الأحوال. وحكى هذا

القول أيضا القشيري في تفسيره، وأن الله تعالى علق كثيرا من تدير أم العالم بحركات النجوم، فأضيف التدير إليها وإن كان من الله، كما يسمى الشيء باسم ما يجاوره. وعلى أن

المراد بالمديرات الملائكة، فتديرها نزولها بالحلال والحرام وتفصيله، قاله ابن عباس وقتادة

وغيرهما. وهو إلى الله جل ثناؤه، ولكن لما نزلت الملائكة به سميت بذلك، كما قال عز

وجل: " نزل به الروح الأمين " [الشعراء: ١٩٣]. وكما قال تعالى: " فإنه نزله على قلبك " [البقرة: ٩٧]. يعني جبريل نزله

على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، والله عز وجل هو الذي أنزله. وروى عطاء عن ابن

عباس: " فالمديرات أمرا ": الملائكة وكلت بتدير أحوال الأرض في الرياح والأمطار وغير ذلك. قال عبد الرحمن بن سابط: تدير أمر الدنيا إلى أربعة، جبريل وميكائيل وملك

الموت واسمه عزرائيل وإسرافيل، فأما جبريل فموكل بالرياح والجنود، وأما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات، وأما ملك الموت فموكل بقبض الأنفس في البر والبحر، وأما إسرافيل

فهو ينزل بالامر عليهم، وليس من الملائكة أقرب من إسرافيل، وبينه وبين العرش مسيرة خمسمائة عام. وقيل: أي وكلوا بأمر عرفهم الله بها. ومن أول السورة إلى هنا قسم أقسم الله به، ولله أن يقسم بما شاء من خلقه، وليس لنا ذلك إلا به عز وجل.

وجواب

القسم مضمرة، كأنه قال: والنازعات وكذا وكذا لتبعثن ولتحاسبين. أضمر لمعرفة السامعين



(۱۹۴)

بالمعنى، قاله الفراء. ويدل عليه قول تعالى: "أئذا كنا عظاما نخرة" أأست ترى أنه كالجواب لقولهم: "أئذا كنا عظاما نخرة؟ فإكتفى بقوله: "أئذا كنا عظاما نخرة؟"

وقال قوم: وقع القسم على قوله: "إن في ذلك لعبرة لمن يخشى" [النازعات: ٢٦] وهذا اختيار الترمذي

ابن علي. أي فيما قصصت من ذكر يوم القيامة وذكر موسى وفرعون "لعبرة لمن يخشى" ولكن

وقع القسم على ما في السورة المذكورا ظاهرا بارزا أخرى وأقمن من أن يؤتي بشئ ليس بمذكور

فيما قال ابن الأنباري: وهذا قبيح، لان الكلام قد طال فيما بينهما. وقيل: جواب القسم هل أتاك حديث موسى "لان المعنى قد أتاك. وقيل: الجواب "يوم ترجف الراجفة" على

تقدير ليوم ترجف، فحذف اللام. وقيل: فيه تقديم وتأخير، وتقديره يوم ترجف الراجفة وتتبعها

الرادفة والنازعات غرقا. وقال السجستاني: يجوز أن يكون هذا من التقديم والتأخير، كأنه قال:

فإذا هم بالساهرة والنازعات. ابن الأنباري: وهذا خطأ، لان الفاء لا يفتح بها الكلام، والأول الوجه. وقيل: إنما وقع القسم على أن قلوب أهل النار تجف، وأبصارهم تخشع،

فانتصاب "يوم ترجف الراجفة" على هذا المعنى، ولكن لم يقع عليه. قال الزجاج: أي قلوب واجفة يوم ترجف، وقيل: انتصب بإضمار أذكر. و "ترجف" أي تضطرب. والراجفة: أي المضطربة كذا قال عبد الرحمن بن زيد، قال: هي الأرض، والرادفة الساعة.

مجاهد: الراجفة الزلزلة (تتبعها الرادفة) الصحيحة. وعنه أيضا وابن عباس والحسن وقتادة: هما الصيحتان. أي النفختان. أما الأولى فتميت كل شئ بإذن الله تعالى، وأما الثانية فتحيي كل شئ بإذن الله تعالى. وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(بينهما أربعون سنة) وقال مجاهد أيضا: الرادفة حين تنشق السماء وتحمل الأرض والجبال

فتدك دكة واحدة، وذلك بعد الزلزلة. وقيل: الراجفة تحرك الأرض، والرادفة زلزلة أخرى

تفني الأرضين ". فالله أعلم. وقد مضى في آخر "النمل" (١) ما فيه كفاية في النفخ في الصور.

وأصل الرجفة الحركة، قال الله تعالى: " يوم ترجف الأرض " وليست الرجفة هاهنا من

(١) راجع ج ١٣ ص ٢٣٩ فما بعدها.

الحركة فقط، بل من قولهم: رجف الرعد يرجف رجفا ورجيفا: أي أظهر الصوت والحركة،

ومنه سميت الأراجيف، لاضطراب الأصوات بها، وإفاضة الناس فيها، قال: أبالأراجيف يا ابن اللوم توعدني * وفي الأراجيف خلت اللؤم والخورا (١) وعن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا ذهب ربع الليل قام ثم قال:

[يا أيها الناس أذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه]. (قلوب يومئذ

واجفة) أي خائفة وجلة، قاله ابن عباس وعليه عامة المفسرين. وقال السدي: زائلة عن أماكنها. نظيره " إذ القلوب لدى الحناجر " [غافر: ١٨]. وقال المؤرخ: قلقة مستوفزة، مرتكضة (٢) غير

ساكنة. وقال المبرد: مضطربة. والمعنى متقارب، والمراد قلوب الكفار، يقال وجف القلب

يجف وجيفا إذا خفق، كما يقال: وجب يجب وجيبا، ومنه وجيف الفرس والناقة في العدو، والايحاف حمل الدابة على السير السريع، قال:

بدلن بعد جرة صريفا * وبعد طول النفس الوجيفا
و " قلوب " رفع بالابتداء و " واجفة " صفتها. و " أبصارها خاشعة " خبرها، مثل قوله " ولعبد مؤمن خير من مشرك " [البقرة: ٢٢١]. ومعنى " خاشعة " منكسرة ذليلة من هول ما ترى. نظيره:

" خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة " [القلم: ٤٣]. والمعنى أبصار أصحابها، فحذف المضاف. (يقولون

أئنا لمردودون في الحافرة) أي يقول هؤلاء المكذبون المنكرون للبعث، إذا قيل لهم إنكم

تبعثون، قالوا منكبين متعجبين: أنرد بعد موتنا إلى أول الامر، فنعود أحياء كما كنا قبل الموت؟ وهو كقولهم: " أئنا لمبعوثون خلقا جديدا " يقال: رجع فلان في حافرته، وعلى

حافرته، أي رجع من حيث جاء، قاله قتادة. وأنشد ابن الأعرابي:

(١) قائله منازل بن ربيعة المنقري في هجو رؤبة والعجاج: والرواية المشهورة للبيت كما في كتب النحو كشرح

التصريح وغيره هي:

أبا الأراجيز يا بن اللؤم توعدني * وفي الأراجيز - خلت - اللؤم والخور والأراجيز جمع أرجوزة وهي القصائد الجارية على بحر الرجز: وفي الأراجيز خبر مقدم واللؤم مبتدأ مؤخر

وتوسط
(خلت) بين المبتدأ والخبر أبطل عملها وهو موضع الشاهد في البيت عند النحاة. وقيل لا يمتنع النصب على
أن يقدر
مبتدأ أي (أما).
(٢) مرتكضة: مضطربة.

أحافرة على صلع وشيب * معاذ الله من سفه وعار
يقول: أأرجع إلى ما كنت عليه في شبابي من الغزل والصبا بعد أن شبت وصلعت!
ويقال: رجع على حافرته: أي الطريق الذي جاء منه. وقولهم في المثل: النقد عند
الحافرة. قال يعقوب: أي عند أول كلمة. ويقال: التقى القوم فاقتتلوا عند الحافرة.
أي عند أول ما التقوا. وقيل: الحافرة العاجلة، أي أننا لمردودون إلى الدنيا فنصبر أحياء
كما كنا؟ قال الشاعر:

آليت لا أنساكم فاعلموا * حتى يرد الناس في الحافرة
وقيل: الحافرة: الأرض التي تحفر فيها قبورهم، فهي بمعنى المحفورة، كقوله تعالى: "

دافق " و " عيشة راضية ". والمعنى أننا لمردودون في قبورنا أحياء. قاله مجاهد
والخليل

والفراء. وقيل: سميت الأرض الحافرة، لأنها مستقر الحوافر، كما سميت القدم أرضاً،
لأنها على الأرض. والمعنى أننا لراجعون بعد الموت إلى الأرض فنمشي على أقدامنا.
وقال

ابن زيد: الحافرة: النار، وقرأ " تلك إذا كرة خاسرة ". وقال مقاتل وزيد بن أسلم: هي
أسم من أسماء النار. وقال ابن عباس: الحافرة في كلام العرب: الدنيا. وقرأ أبو حياة:
" الحفرة " بغير ألف، مقصور من الحافر. وقيل: الحفرة: الأرض المنتنة بأجساد
موتاهم،

من قولهم: حفرت أسنانه، إذا ركبها الوسخ من ظاهرها وباطنها. يقال: في أسنانه
حفر،

وقد حفرت تحفر حفراً، مثل كسر يكسر كسراً إذا فسدت أصولها. وبنو أسد يقولون:
في أسنانه حفر بالتحريك. وقد حفرت مثال تعب تعباً، وهي أردا اللغتين قاله في
الصحاح.

(أئذا كنا عظاماً نخرة) أي بالية متفتتة. يقال: نخر العظم بالكسر: أي بلي وتفتت،
يقال:

عظام نخرة. وكذا قرأ الجمهور من أهل المدينة ومكة والشام والبصرة، وأختره أبو
عبيد، لان

الآثار التي تذكر فيها العظام، نظرنا فيها فرأينا نخرة لا ناخرة. وقرأ أبو عمرو وابنه عبد
الله

وابن عباس وابن مسعود وابن الزبير وحمزة والكسائي وأبو بكر " ناخرة " بألف،
وأختره

الفراء والطبري وأبو معاذ النحوي، لو فاق رؤوس الآي. وفي الصحاح: والناخر من
العظام



(197)

التي تدخل الريح فيه ثم تخرج منه ولها نخير. ويقال: ما بها ناخر، أي ما بها أحد.
حكاه

يعقوب عن الباهلي. وقال أبو عمرو بن العلاء: الناخرة التي لم تنخر بعد، أي لم تبل
ولا بد أن

تنخر. وقيل: الناخر المجوفة. وقيل: هما لغتان بمعنى، كذلك تقول العرب: نخر الشيء
فهو نخر وناخر، كقولهم: طمع فهو طمع وطامع، وحذر وحاذر، وبخل وباخل،
رفره وفاره، قال الشاعر:

يظل بها الشيخ الذي كان بادنا * يدب على عوج له نخرات
عوج: يعني قوائم. وفي بعض التفسير: ناخرة بالألف: بالية، ونخرة: تنخر فيها الريح أي
تمر فيها، على عكس الأول، قال (١):
* من بعد ما صرت عظاما ناخره *

وقال بعضهم: الناخرة: التي أكلت أطرافها وبقيت أوساطها. والنخرة: التي فسدت
كلها.

قال مجاهد: نخرة أي مرفوثة، كما قال تعالى: "عظاما ورفاتا" ونخرة الريح بالضم:
شدة

هبوبها. والنخرة أيضا والنخرة مثال الهمزة: مقدم أنف الفرس والحمار والخنزير، يقال:
هشم نخرته: أي أنفه. (قالوا تلك إذا كرة خاسرة) أي رجعة خائبة، كاذبة باطلة، أي
ليست كائنه، قاله الحسن وغيره. الربيع بن أنس: "خاسرة" على من كذب بها. وقيل:
أي هي كرة خسران. والمعنى أهلها خاسرون، كما يقال: تجارة رابحة أي يربح
صاحبها.

ولا شيء أخسر من كرة تقتضي المصير إلى النار. وقال قتادة ومحمد بن كعب: أي لئن
رجعنا

أحياء بعد الموت لنحشرن بالنار، وإنما قالوا هذا لأنهم أوعدوا بالنار. والكر: الرجوع،
يقال: كره، وكر بنفسه، يتعدى ولا يتعدى. والكرة: المرة، والجمع الكرات. (فإنما
هي

زجرة واحدة) ذكر جل ثناؤه سهولة البعث عليه فقال: "فإنما هي زجرة واحدة".

وروى

الضحاك عن ابن عباس قال: نفخة واحدة "فإذا هم" أي الخلائق أجمعون "بالساهرة"
"

أي على وجه الأرض، بعد ما كانوا في بطنها. قال الفراء: سميت بهذا الاسم، لان فيها
نوم

(١) قائله الهمداني يوم القادسية.

(١٩٨)

الحيوان وسهرهم. والعرب تسمى الفلاة ووجه الأرض ساهرة، بمعنى ذات سهو، لأنه يسهر فيها خوفا منها، فوصفها بصفة ما فيها، واستدل ابن عباس والمفسرون بقول أمية ابن أبي الصلت:

وفيها لحم ساهرة وبحر* وما فاهوا به لهم مقيم
وقال آخر يوم ذي قار لفرسه:

أقدم محاج إنها الأسورة* ولا يهولنك رجل (١) نادرة
فإنما قصرك ترب الساهره* ثم تعود بعدها في الحافره
* من بعد ما صرت عظاما ناخره*

وفي الصحاح. ويقال: الساهور: ظل الساهرة، وهي وجه الأرض. ومنه قوله تعالى:
" فإذا هم بالساهرة "، قال أبو كبير الهذلي:

يرتدن ساهرة كان جميمها* وعميمها أسداف ليل مظلم (٢)
ويقال: الساهور: كالغلاف (٣) للقمر يدخل فيه إذا كسف، وأنشدوا قول أمية بن أبي
الصلت (٤):

* قمر وساهور يسل ويغمد*

وأنشدوا لآخر في وصف امرأة:

كأنها عرق سام عند ضاربه* أو شقة خرجت من جوف ساهور
يريد شقة القمر. وقيل: الساهرة: هي الأرض البيضاء. وروى الضحاك عن ابن عباس
قال: أرض من فضة لم يعص الله جل ثناؤه عليها قط خلقها حينئذ. وقيل: أرض جددها

(١) هذه الأبيات للهمداني يوم القادسية وقد تقدم ذكرها. محاج: اسم فرس الشاعر. وفي اللسان مادة
(نخر) أقدم أخانهم. ولا تهولنك رؤوس. وفي السمين: بادره.

(٢) الجميم بالجميم: النبت الذي قد نبت
وارتفع قليلا ولم يتم كل التمام والعميم المكتمل التام من النبت والأسداف: جمع غدف بالتحريك وهو ظلمة
الليل.

(٣) هذا كما تزعم العرب في الجاهلية.

(٤) وصدر البيت: * لا نقص فيه غير أن خبيئة*

(٥) كذا في نسخ الأصل التي بأيدينا. والذي في اللسان مادة (سهر): أو فلقة.

الله يوم القيامة. وقيل: الساهرة أسم الأرض السابعة يأتي بها الله تعالى فيحاسب عليها الخلائق، وذلك حين تبدل الأرض غير الأرض. وقال الثوري: الساهرة: أرض الشام. وهب بن منبه: جبل بيت المقدس. عثمان بن أبي العاتكة: إنه اسم مكان من الأرض بعينه، بالشام، وهو الصقع الذي بين جبل أريحاء وجبل حسان (١) يمدده الله كيف يشاء. قتادة:

هي جهنم أي فإذا هؤلاء الكفار في جهنم. وإنما قيل لها ساهرة، لأنهم لا ينامون عليها حينئذ. وقيل: الساهرة: بمعنى الصحراء على شفير جهنم، أي يوقفون بأرض القيامة، فيدوم

السهر حينئذ. ويقال: الساهرة: الأرض البيضاء المستوية سميت بذلك، لأن السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة: جارية الماء، وفي ضدها: نائمة، قال الأشعث بن قيس:

وساهرة يضحى السراب مجللاً * لأقطارها قد جئتها مثلثما
أو لأن سالكها لا ينام خوف الهلكة.

قوله تعالى: هل أتاك حديث موسى (١٥) إذ ناداه ربه بالواد

المقدس طوى (١٦) اذهب إلى فرعون إنه طغى (١٧) فقل هل

لك إلى أن تزكى (١٨) وأهديك إلى ربك فتخشى (١٩) فأراه

الآية الكبرى (٢٠) فكذب وعصى (٢١) ثم أدبر يسعى (٢٢) فحشر

فنادى (٢٣) فقال أنا ربكم الاعلى (٢٤) فأخذه الله نكال الآخرة

والأولى (٢٥) إن في ذلك لعبرة لمن يخشى (٢٦)

قوله تعالى: (هل أتاك حديث موسى. إذا ناداه ربه بالوادي المقدس طوى) أي
قد جاءك وبلغك " حديث موسى " وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم. أي إن
فرعون

(١) ذكره الطبري أيضاً.

كان أقوى من كفار عصرك، ثم أخذناه، وكذلك هؤلاء. وقيل: "هل" بمعنى "ما" أي ما أتاك، ولكن أخبرت به، فإن فيه عبرة لمن يخشى. وقد مضى من خبر موسى وفرعون

في غير موضع ما فيه كفاية (١). وفي "طوى" ثلاث قراءات: قرأ ابن محيصة وابن عامر

والكوفيون "طوى" منونا واختاره أبو عبيد لخفة الاسم. الباقون بغير تنوين، لأنه معدول

مثل عمر وقثم، قال الفراء: طوى: واد بين المدينة ومصر. قال: وهو معدول عن طاو، كما عدل عمر عن عامر. وقرأ الحسن وعكرمة "طوى" بكسر الطاء، وروى عن أبي عمرو،

على معنى المقدس مرة بعد مرة، قاله الزجاج، وأنشد:
أعاذل إن اللوم في غير كنهه * علي طوى من غيك المتردد (٢)
أي هو لوم مكرر علي. وقيل: ضم الطاء وكسرهما لغتان، وقد مضى في "طه" (٣) القول

فيه. "أذهب إلى فرعون" أي ناداه ربه، فحذف، لان النداء قول، فكأنه، قال له ربه "أذهب إلى فرعون". "إنه طغى" أي جاوز القدر في العصيان. وروى عن الحسن قال: كان فرعون عرجا من همدان. وعن مجاهد قال: كان من أهل إصطخر.

وعن الحسن أيضا قال: من أهل أصبهان، يقال له ذو ظفر، طول أربعة أشبار. (فقل هل لك إلى أن تزكى) أي تسلم فتطهر من الذنوب. وروى الضحاك عن ابن عباس

قال: هل لك أن تشهد أن لا إله إلا الله. (وأهديك إلى ربك) أي وأرشدك إلى طاعة ربك (فتخشى) أي تخافه وتقيه. وقرأ نافع وبن كثير "تزكى" بتشديد الزاي، على

إدغام التاء في الزاي لان أصلها تتزكى. الباقون: "تزكى" بتخفيف الزاي على معنى طرح التاء. وقال

أبو عمرو: "تزكى" بالتشديد (٤) [تصدق ب] - الصدقة، و "تزكي" يكون زكيا مؤمنا. وإنما

دعا فرعون ليكون زكيا مؤمنا. قال: فلهذا اخترنا التخفيف. وقال صخر بن جويرية:

(١) راجع ج ٧ ص ٢٥٦ فما بعدها و ج ١١ ص ٢٠٠ فما بعدها و ج ١٣ ص ٢٥٠ فما بعدها.

(٢) قائله عدى بن زيد.

(٣) راجع ج ١١ ص ١٧٥.

(٤) الزيادة من الطبري وهي لازمة.

(٢٠١)

لما بعث الله موسى إلى فرعون قال له: " أذهب إلى فرعون " إلى قوله " وأهديك إلى ربك فتحشى " ولن يفعل، فقال: يا رب، وكيف أذهب إليه وقد علمت أنه لا يفعل؟ فأوحى الله إليه أن امض إلى ما أمرتك به، فإن في السماء اثني عشر ألف ملك يطلبون علم

القدر، فلم يبلغوه ولا يدركوه. (فأراه الآية الكبرى) أي العلامة العظمى وهي المعجزة. وقيل: العصا. وقيل: اليد البيضاء تبرق كالشمس. وروى الضحاك عن ابن عباس: الآية الكبرى قال العصا. الحسن: يده وعصاه. وقيل: فلق البحر. وقيل: الآية: إشارة إلى جميع آياته ومعجزاته. " فكذب " أي كذب نبي الله موسى " وعصى " أي عصى ربه عز وجل. (ثم أدبر يسعى) أي ولى مدبراً معرضاً عن الإيمان " يسعى " أي يعمل بالفساد في الأرض. وقيل: يعمل في نكايه موسى. وقيل: " أدبر يسعى " هارباً من الحية. " فحشر " أي جمع أصحابه ليمنعوه منها. وقيل: جمع جنوده للقتال والمحاربة،

والسحرة للمعارضة. وقيل: حشر الناس للحضور. " فنادى " أي قال لهم بصوت عال (أنا

ربكم الاعلى) أي لا رب لكم فوقي. ويروى: إن إبليس تصور لفرعون في صورة الانس بمصر في الحمام، فأنكره فرعون، فقال له إبليس: ويحك! أما تعرفني؟ قال: لا. قال: وكيف وأنت خلقتني؟ ألسنت القائل أنا ربكم الاعلى. ذكره الثعلبي في كتاب العرائس. وقال عطاء: كان صنع لهم أصناماً صغاراً وأمرهم بعبادتها، فقال أنا رب أصنامكم. وقيل:

أراد القادة والسادة، هو ربهم، وأولئك هم أرباب السفلة. وقيل: في الكلام تقديم وتأخير

فنادى فحشر لان النداء يكون قبل الحشر. (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) أي نكال قوله: " ما علمت لكم من إله غيري " [القصص: ٣٨] وقوله بعد: " أنا ربكم الاعلى " [النازعات: ٢٤] قاله ابن

عباس ومجاهد وعكرمة. وكان بين الكلمتين أربعون سنة، قاله ابن عباس. والمعنى: أمهله

في الأولى، ثم أخذه في الآخرة، فعذبه بكلمتيه. وقيل: نكال الأولى: هو أن أغرقه، ونكال

الآخرة: العذاب في الآخرة. وقاله قتادة وغيره. وقال مجاهد: هو عذاب أول عمره وآخره.

وقيل: الآخرة قوله " أنا ربكم الاعلى " والأولى تكذيبه لموسى. عن قتادة أيضاً.

(۲۰۲)

و " نكال " منصوب على المصدر المؤكد في قول الزجاج، لان معنى أحذه الله: نكل
الله به،

فأخرج [نكال] (١) مكان مصدر من معناه، لا من لفظه. وقيل: نصب بنزع حرف
الصفة،

أي فأحذه الله بنكال الآخرة، فلما نزع الخافض نصب. وقال الفراء: أي أحذه الله أحذا
نكالا، أي للنكال. والنكال: اسم لما جعل نكالا للغير أي عقوبة له حتى يعتبر به.
يقال:

نكل فلان بفلان: إذا أثخنه عقوبة. والكلمة من الامتناع، ومنه النكول عن اليمين،
والنكل

القيد. وقد مضى في سورة " المزمّل " (٢) والحمد لله. " إن في ذلك لعبرة " أي
اعتبارا وعظة.

" لمن يخشى " أي يخاف الله عز وجل.

قوله تعالى: " أنتم أشد خلقا أم السماء بناها (٢٧) رفع سمكها
فسواها (٢٨) وأغطش ليلها وأخرج ضحاها (٢٩) والأرض بعد
ذلك دحاها (٣٠) أخرج منها ماءها ومرعاها (٣١) والجبال
أرساها (٣٢) متاعا لكم ولأنعامكم (٣٣)

قوله تعالى: " أنتم أشد خلقا " يريد أهل مكة، أي أحلقكم بعد الموت أشد
في تقديركم " أم السماء " فمن قدر على السماء قدر على الإعادة، كقوله تعالى: "
لخلق السماوات

والأرض أكبر من خلق الناس " [غافر: ٥٧] وقول تعالى: " أو ليس الذي خلق
السماوات والأرض

بقادر على أن يخلق مثلهم " [يس: ٨١]، فمعنى الكلام التقرير والتوبيخ. ثم وصف
السماء فقال: " بناها "

أي رفعها فوقكم كالبناء. " رفع سمكها " أي أعلى سقفها في الهواء، يقال: سمكت
الشيء

أي رفعته في الهواء، وسمك الشيء سموكا: أرتفع. وقال الفراء: كل شيء حمل شيئا من
البناء

وغيره فهو سمك. وبناء مسموك وبنام سامك تامك أي عال، والمسموكات (٣):
السماوات.

ويقال: اسمك في الديم، أي اصعد في الدرجة.

(١) زيادة تقتضيها العبارة.

(٢) راجع ص ٤٥ من هذا الجزء.

(٣) الذي في اللغة المسمكات
كمكرمات وورد كذلك في الخبر. وصحح التاج أن المسموكات لغة لا لحن وبها ورد الخبر عن طريق
آخر.

قوله تعالى: " فسواها " أي خلقها خلقا مستويا، لا تفاوت فيه، ولا شقوق، ولا فطور. (وأغطش ليلها) أي جعله مظلما، غطش الليل وأغطشه الله، كقولك: ظلم [الليل] (١) وأظلمه الله. ويقال أيضا: أغطش الليل بنفسه. وأغطشه الله كما يقال: أظلم الليل، وأظلمه

الله. والغطش والغيش: الظلمة. ورجل أغطش: أي أعمى، أو شبيه به، وقد غطش، والمرأة

غطشاء، ويقال: ليلة غطشاء، وليل أغطش وفلاة غطشى لا يهتدى لها، قال الأعشى: ويهماء بالليل غطشى الفلاة* يؤنسنى صوت فيادها (٢) وقال الأعشى أيضا:

عقرت لهم موهنا ناقتي* وغامرهم مدلهم غطش
يعني بغامرهم ليلهم، لأنه غمرهم بسواده. وأضاف الليل إلى السماء لان الليل يكون بغروب

الشمس، والشمس مضاف إلى السماء، ويقال: نجوم الليل، لان ظهورها بالليل. (وأخرج

ضحاهها) أي أبرز نهارها وضوءها وشمسها. وأضاف الضحا إلى السماء كما أضاف إليها

الليل، لان فيها سبب الظلام والضياء وهو غروب الشمس وطلوعها. (والأرض بعد ذلك دحاهها) أي بسطها. وهذا يشير إلى كون الأرض بعد السماء. وقد مضى القول فيه في أول " البقرة " (٣) عند قوله تعالى: " هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا، ثم استوى

إلى السماء " [البقرة: ٢٩] مستوفى. والعرب تقول: دحوت الشيء أدحوه دحوا: إذا بسطته. ويقال

لعش النعام أدحي، لأنه مبسوط على وجه الأرض. وقال أمية بن أبي الصلت:

وبث الخلق فيها إذ دحاهها* فهم قطانها حتى التنادي (٤)
وأنشد المبرد:

دحاهها فلما رآها استوت* على الماء أرسى عليها الجبالا

(١) هذه الزيادة من اللسان عن الفراء قال: ظلم الليل بالكسر وأظلم بمعنى.

(٢) الفياد بفتح الفاء وضمها: ذكر البوم.

(٣) راجع ج ١ ص ٢٥٥.

(٤) مضى هذا البيت في ج ١٥ ص ٣١٠ بلفظ: سكانها. والمعنى واحد.

وقيل: دحاها سواها، ومنه قول زيد بن عمرو:
وأسلمت وجهي لمن أسلمت * له الأرض تحمل صخرًا ثقلاً
دحاها فلما استوت شدّها * بأيد وأرسي عليها الجبالاً
وعن ابن عباس: خلق الله الكعبة ووضعها على الماء على أربعة أركان، قبل أن يخلق
الدنيا

بألف عام، ثم دحيت الأرض من تحت البيت. وذكر بعض أهل العلم أن " بعد " في
موضع
" مع " كأنه قال: والأرض مع ذلك دحاها، كما قال تعالى: " عتل بعد ذلك زنيم "
[القلم: ١٣].

ومنهم قولهم: أنت أحقق وأنت بعد هذا سئ الخلق، قال الشاعر:
فقلت لها عني إليك فإنني * حرام وإنني بعد ذاك لبيب
أي مع ذلك لبيب. وقيل: بعد: بمعنى قبل، كقوله تعالى: " ولقد كتبنا في الزبور من
بعد

الذكر " [الأنبياء: ١٠٥] أي من قبل الفرقان، قال أبو خراش الهذلي:
حمدت إلهي بعد عروة إذ نجا * خراش وبعض الشر أهون من بعض
وزعموا أن خراشا نجا قبل عروة. وقيل: " دحاها " : حرثها وشقها. قاله ابن زيد.
وقيل:

دحاها مهدها للأقوات. والمعنى متقارب. وقراءة العامة " والأرض " بالنصب، أي دحا
الأرض. وقرأ الحسن وعمرو بن ميمون " والأرض " بالرفع، على الابتداء، لرجوع
الهاء.

ويقال: دحا يدحو دحوا ودحى يدحى دحياً، كقولهم: طغى يطغى ويطغو، وطغى
يطغى،

ومحا يمحو ويمحى، ولحى العود يلحى ويلحو، فمن قال: يدحو قال دحوت ومن قال
يدحى

قال دحيت. " أخرج منها " أي أخرج من الأرض " ماءها " أي العيون المتفجرة
بالماء.

" ومرعاها " أي النبات الذي يرعى. وقال القتيبي: دل بشيئين على جميع ما أخرجها
من الأرض قوتا ومتاعاً للأنام من العشب والشجر والحب والتمر والعصف والحطب
واللباس والنار والملح، لأن النار من العيدان والملح من الماء. (والجبال أرساها) قراءة
العامة " والجبال " بالنصب، أي وأرسي الجبال " أرساها " يعني: أثبتتها فيها أوتاداً لها.
وقرأ

(٢٠٥)

الحسن وعمرو بن ميمون وعمرو بن عبيد ونصر بن عاصم " والجبال " بالرفع على الابتداء.

ويقال: هلا أدخل حرف العطف على " أخرج " فيقال: إنه حال بإضمار قد، كقوله تعالى:

" حصرت صدورهم " [النساء: ٩٠]. " متاعا لكم " أي منفعة لكم. " ولأنعامكم " من الإبل والبقر والغنم.

و " متاعا " نصب على المصدر من غير اللفظ، لان معنى " أخرج منها ماءها ومرعاها " أمتع

بذلك. وقيل: نصب بإسقاط حرف الصفة تقديره لتتمتعوا به متاعا.

قوله تعالى: فإذا جاءت الطامة الكبرى (٣٤) يوم يتذكر

الانسان ما سعى (٣٥) وبرزت الجحيم لمن يرى (٣٦)

قوله تعالى: (فإذا جاءت الطامة الكبرى) أي الداهية العظمى، وهي النفخة الثانية، التي يكون معها البعث، قاله ابن عباس في رواية الضحاك عنه، وهو قول الحسن. وعن ابن عباس أيضا والضحاك: أنها القيامة، سميت بذلك لأنها تطم على كل شيء، فتعم ما سواها

لعظم هولها، أي تقلبه. وفي أمثالهم:

* جرى الوادي فطم على القرى (١) *

المبرد: الطامة عند العرب الداهية التي لا تستطاع، وإنما أخذت فيما أحسب من قولهم:

طم الفرس طميما إذا استفرغ جهده في الجري، وطم الماء إذا ملا النهر كله. غيره: هي

مأخوذة من طم السيل الركبة (٢) أي دفنها، والطم: الدفن والعلو. وقال القاسم بن الوليد الهمداني:

الطامة الكبرى حين يساق أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار. وهو معنى قول مجاهد:

وقال سفيان: هي الساعة التي يسلم فيها أهل النار إلى الزبانية. أي الداهية التي طمت وعظمت، قال:

إن بعض الحب يعمي ويصم * وكذاك البغض أدهى وأطم

(١) القرى مجرى الماء في الروضة والجمع أقرية وأقراء وقریان ويضرب المثل عند تجاوز الشئ حده.

(٢) الركبة: البئر أي جرى سيل الوادي.

(۲۰۶)

(يوم يتذكر الانسان ما سعى) أي ما عمل من خير أو شر. " وبرزت الجحيم " أي ظهرت.

" لمن يرى " قال ابن عباس: يكشف عنها فيراها تتلظى كل ذي بصر. وقيل: المراد الكافر

لأنه الذي يرى النار بما فيها من أصناف العذاب. وقيل: يراها المؤمن ليعرف قدر النعمة ويصلي الكافر بالنار. وجواب " فإذا جاءت الطامة " محذوف أي إذا جاءت الطامة دخل

أهل النار النار وأهل الجنة الجنة. وقرأ مالك بن دينار: " وبرزت الجحيم ". عكرمة: وغيره: " لمن ترى " بالتاء، أي لمن تراه الجحيم، أو لمن تراه أنت يا محمد. والخطاب له عليه

السلام، والمراد به الناس.

قوله تعالى: فأما من طغى (٣٧) وآثر الحياة الدنيا (٣٨) فإن

الجحيم هي المأوى (٣٩) وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس

عن الهوى (٤٠) فإن الجنة هي المأوى (٤١)

قوله تعالى: (فأما من طغى. وآثر الحياة الدنيا) أي تجاوز الحد في العصيان. قيل:

نزلت في النضر وابنه الحارث، وهي عامة في كل كافر آثر الحياة الدنيا على الآخرة. وروى عن

يحيى بن أبي كثير قال: من أتخذ من طعام واحد ثلاثة ألوان فقد طغى. وروى جوير

عن الضحاك قال: قال حذيفة: أخوف ما أخاف على هذه الأمة أن يؤثروا ما يرون على ما يعلمون (١). ويروى أنه وجد في الكتب: إن الله جل ثناؤه قال " لا يؤثر عبد لي

دنياه على

آخرته، إلا بثت عليه همومه وضيعته (٢)، ثم لا أبالي في أيها هلك ". (فإن الجحيم

هي المأوى)

أي مأواه. والألف واللام بدل من الهاء. (وأما من خاف مقام ربه) أي حذر مقامه بين يدي ربه. وقال الربيع: مقامه يوم الحساب. وكان قتادة يقول: إن لله عز وجل

مقاما

قد خافه المؤمنون. وقال مجاهد: هو خوفه في الدنيا من الله عز وجل عند واقعة

الذنب

(١) في ط: ما يعملون.

(٢) كذا في ا، ح، ز، ل. وفي بعض الأصول: وصنيعته.

(Y · Y)

فيقلع. نظيره: " ولمن خاف مقام ربه جنتان " [الرحمن: ٤٦]. (ونهى النفس عن الهوى) أي زجرها عن المعاصي والمحارم. وقال سهل: ترك الهوى مفتاح الجنة، لقوله عز وجل: " وأما من

خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى " قال عبد الله بن مسعود: أنتم في زمان يقود الحق الهوى، وسيأتي زمان يقود الهوى الحق فنعوذ بالله من ذلك الزمان. (فإن الجنة هي

المأوى) أي المنزل. والآيتان نزلتا في مصعب بن عمير وأخيه عامر بن عمير، فروى الضحاك

عن ابن عباس قال: أما من طغى فهو أخ لمصعب بن عمير أسر يوم بدر، فأخذته الأنصار

فقالوا: من أنت؟ قال: أنا أخو مصعب بن عمير، فلم يشدوه في الوثاق، وأكرموه وبيتوه عندهم، فلما أصبحوا حدثوا مصعب بن عمير حديثه، فقال: ما هو لي بأخ، شدوا أسيركم،

فإن أمه أكثر أهل البطحاء حليا ومالا. فأوثقوه حتى بعثت أمه في فدائه. " وأما من خاف مقام ربه " فمصعب بن عمير، وقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم أحد

حين تفرق الناس عنه، حتى نفذت المشاقص في جوفه. وهي السهام، فلما رآه رسول الله

صلى الله عليه وسلم متشحطا في دمه قال: [عند الله أحسبك] وقال لأصحابه: [لقد رأيته وعليه بردان ما تعرف قيمتهما وإن شراك نعليه من ذهب]. وقيل: إن مصعب ابن عمير قتل أخاه عامرا يوم بدر. وعن ابن عباس أيضا قال: نزلت هذه الآية في رجلين:

أبي جهل بن هشام المخزومي ومصعب بن عمير العبدري. وقال السدي: نزلت هذه الآية

" وأما من خاف مقام ربه " في أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وذلك أن أبا بكر كان له

غلام يأتيه بطعام، وكان يسأله من أين أتيت بهذا، فأتاه يوما بطعام فلم يسأل وأكله، فقال له غلامه: لم لا تسألني اليوم؟ فقال: نسيت، فمن أين لك هذا الطعام. فقال: تكهنت لقوم في الجاهلية فأعطوني. فتقايأه من ساعته وقال: يا رب ما بقي في العروق فأنت حبسته فنزلت: " وأما من خاف مقام ربه ". وقال الكلبي: نزلت في من هم بمعصية

وقدر عليها في خلوة ثم تركها من خوف الله. ونحوه عن ابن عباس. يعني من خاف

عند
المعصية مقامه بين يدي الله، فانتهي عنها. والله أعلم.

(٢٠٨)

قوله تعالى: يستلونك عن الساعة أيان مرساها (٤٢) فيم أنت من ذكرها (٤٣) إلى ربك منتهاها (٤٤) إنما أنت منذر من يخشاها (٤٥) كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها (٤٦) قوله تعالى: (يسألونك عن الساعة أيان مرساها) قال ابن عباس: سأل مشركو مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم متى تكون الساعة استهزاء، فأنزل الله عز وجل الآية. وقال

عروة بن الزبير في قوله تعالى: " فيم أنت من ذكرها "؟ لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة، حتى نزلت هذه الآية " إلى ربك منتهاها ". ومعنى " مرساها " أي قيامها. قال الفراء: رسوها قيامها (١) كرسو السفينة. وقال أبو عبيدة: أي منتهاها، ومرسي السفينة

حيث، تنتهي. وهو قول ابن عباس. الربيع بن أنس: متى زمانها. والمعنى متقارب. وقد مضى في " الأعراف " (٢) بيان ذلك. وعن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

[لا تقوم الساعة إلا بغضبة يغضبها ربك]. (فيم أنت من ذكرها) أي في أي شيء أن يا محمد من ذكر القيامة والسؤال عنها؟ وليس لك السؤال عنها. وهذا معنى ما رواه الزهري عن عروة بن الزبير قال: لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة حتى

نزلت: " فيم أنت من ذكرها؟ إلى ربك منتهاها " أي منتهى علمها، فكأنه عليه السلام لما أكثروا عليه سأل الله أن يعرفه ذلك، فقليل له: لا تسأل، فلست في شيء من ذلك. ويجوز أن يكون إنكارا على المشركين في مسألتهم له، أي فيم أنت من ذلك حتى يسألوك

بيانه، ولست ممن يعلمه. روي معناه عن ابن عباس. والذكرى بمعنى الذكر. (إلى ربك منتهاها) أي منتهى علمها، فلا يوجد عند غيره علم الساعة، وهو كقوله تعالى: " قل إنما

علمها عند ربي " [الأعراف: ١٨٧] وقوله تعالى: " إن الله عنده علم الساعة " [لقمان: ٣٤]. (إنما أنت منذر من يخشاها):

(١) قال الفراء: كقولك قام العدل وقام الحق أي ظهر وثبت.

(٢) راجع ج ٨ ص ٣٣٥ فما بعدها.

أي مخوف، وخص الانذار بمن يخشى، لأنهم المنتفعون به، وإن كان منذرا لكل مكلف، وهو كقوله تعالى: " إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب " [يس: ١١].
وقراءة العامة
" منذر " بالإضافة غير ممنون، طلب التخفيف، وإلا فأصله التنوين، لأنه للمستقبل وإنما لا ينون في الماضي. قال الفراء: يجوز التنوين وتركه، كقوله تعالى: " بالغ أمره " [الطلاق: ٣]،
و " بالغ أمره " و " موهن كيد الكافرين " [الأنفال: ١٨] و " موهن كيد الكافرين " والتنوين هو الأصل،
وبه قرأ أبو جعفر وشيبة والأعرج وابن محيصن وحמיד وعياش عن أبي عمرو " منذر " ممنونا، وتكون في موضع نصب، والمعنى نصب، إنما ينتفع بإنذارك من يخشى الساعة. وقال
أبو علي: يجوز أن تكون الإضافة للماضي، نحو ضارب زيد أمس، لأنه قد فعل الانذار، الآية رد على من قال: أحوال الآخرة غير محسوسة، وإنما هي راحة الروح أو تألمها من غير
حس. " كأنهم يوم يرونها " يعني الكفار يرون الساعة " لم يلبثوا " أي في دنياهم، " إلا عشية " أي قدر عشية " أو ضحاها " أي أو قدر الضحا الذي يلي تلك العشية، والمراد
تقليل مدة الدنيا، كما قال تعالى: " لم يلبثوا إلا ساعة من نهار " [الأحقاف: ٣٥].
وروى الضحاك عن ابن عباس:
كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا يوما واحدا. وقيل: " لم يلبثوا " في قبورهم " إلا عشية أو ضحاها "، وذلك أنهم استقصروا مدة لبثهم في القبور لما عاينوا من الهول. وقال الفراء:
يقول القائل: وهل للعشية ضحا؟ وإنما الضحا لصدر النهار، ولكن أضيف الضحا إلى العشية،
وهو اليوم الذي يكون فيه على عادة العرب، يقولون: آتيك الغداة أو عشيتها، وآتيك العشية أو غداتها، فتكون العشية في معنى آخر النهار، والغداة في معنى أول النهار، قال:
وأنشدني بعض بني عقيل:
نحن صبحنا عامرا في دارها * جردا تعادي طرفي نهارها
* عشية الهلال أو سرارها *
أراد: عشية الهلال، أو سرار العشية، فهو أشد من آتيك الغداة أو عشيتها.

(۲۱۰)

سورة عبس
مكية في قول الجميع وهي إحدى وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: عبس وتولى (١) أن جاءه الأعمى (٢) وما يدريك
لعله يزكى (٣) أو يذكر فتنفعه الذكرى (٤)

فيه ست مسائل:

الأولى - قوله تعالى: " عبس " أي كبح بوجهه، يقال: عبس وبسر. وقد تقدم.
" وتولى " أي أعرض بوجهه " أن جاءه " " أن " في موضع نصب لأنه مفعول له،
المعنى

لان جاءه الأعمى، أي الذي لا يبصر بعينه. فروى أهل التفسير أجمع أن قوما من
أشراف

قريش كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم وقد طمع في إسلامهم، فأقبل عبد الله بن
أم مكتوم، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقطع عبد الله عليه كلامه، فأعرض
عنه، ففيه

نزلت هذه الآية. قال مالك: إن هشام بن عروة حدثه عن عروة، أنه قال: نزلت " عبس
وتولى " في ابن أم مكتوم، جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقول: يا محمد
استدني (١)،

وعند النبي صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين، فجعل النبي صلى الله عليه
وسلم يعرض

عنه ويقبل على الآخر، ويقول: [يا فلان، هل ترى بما أقول بأسا]؟ فيقول: [لا والدمى
ما أرى بما تقول بأسا] (٣)، فأنزل الله: " عبس وتولى ". وفي الترمذي مسندا قال:
حدثنا سعيد

ابن يحيى بن سعيد الأموي، حدثني أبي، قال هذا ما عرضنا على هشام بن عروة عن
أبيه عن

عائشة، قالت: نزلت " عبس وتولى " في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله صلى
الله عليه

(١) الرواية هنا وفي ابن العربي يا محمد والمشهور في التفسير يا رسول الله علمني مما علمك الله. وفي
رواية:

يا رسول الله أرشدني: كما سيأتي للمصنف.

(٢) الدمى: جمع دمية وهي الصورة يريد بها الأصنام.

(٣) ما بين المربعين ساقط من ب.

(۲۱)

وسلم فجعل، يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من

عظماء المشركين، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه، ويقبل على الآخر،

ويقول: [أترى بما أقول بأساً] فيقول: لا، ففي هذا نزلت، قال: هذا حديث غريب. الثانية - الآية عتاب من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم في إعراضه وتولييه عن عبد الله ابن أم مكتوم. ويقال: عمرو بن أم مكتوم، واسم أم مكتوم عاتكة بنت عامر بن مخزوم،

وعمره هذا: هو ابن قيس بن زائدة بن الأصم، وهو ابن خال خديجة رضي الله عنها. وكان

قد تشاغل عنه برجل من عظماء المشركين، يقال كان الوليد بن المغيرة. ابن العربي: قاله

المالكية من علمائنا، وهو يكنى أبا عبد شمس. وقال قتادة: هو أمية بن خلص وعنه: أبي بن خلف. وقال مجاهد: كانوا ثلاثة عتبة وشيبة أبنا ربيعة وأبي بن خلف. وقال عطاء

عتبة بن ربيعة. سفيان الثوري: كان النبي صلى الله عليه وسلم مع عمه العباس. الزمخشري:

كان عنده صنديد قريش: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل بن هشام، والعباس بن عبد المطلب، وأمие بن خلف، والوليد بن المغيرة يدعوهم إلى الإسلام، رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم. قال ابن العربي: أما قول علمائنا إنه الوليد بن المغيرة فقد قال آخرون إنه أمية بن خلف والعباس وهذا كله باطل وجهل من المفسرين الذين لم يتحققوا الدين، ذلك أن أمية بن خلف والوليد كانا بمكة وابن أم مكتوم كان بالمدينة، ما حضر معهما ولا حضرا معه، وكان موتهما كافرين، أحدهما قبل الهجرة، والآخر بيدر، ولم يقصد قط

أمية المدينة، ولا حضر عنده مفردا، ولا مع أحد.

الثالثة - أقبل ابن أم مكتوم والنبي صلى الله عليه وسلم مشتغل بمن حضره من وجوه قريش يدعوهم إلى الله تعالى، وقد قوي طمعه في إسلامهم وكان في إسلامهم إسلام من

وراءهم من قومهم، فجاء ابن أم مكتوم وهو أعمى فقال: يا رسول الله علمني مما علمك الله،

وجعل يناديه ويكثر النداء، ولا يدري أنه مشتغل بغيره، حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله

صلى الله عليه وسلم لقطعة كلامه، وقال في نفسه: يقول هؤلاء: إنما أتباعه العميان

والسفلة

(٢١٢)

والعبيد، فعبس وأعرض عنه، فنزلت الآية. قال الثوري: فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا رأى ابن أم مكتوم ييسط له رداءه ويقول: [مرحبا بمن عاتبني فيه ربي]. ويقول: [هل من حاجه]؟ وأستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين غزاهما. قال أنس: فرأيته يوم القادسية راكبا وعليه درع ومعه راية سوداء.

الرابعة - قال علماؤنا: ما فعله ابن أم مكتوم كان من سوء الأدب لو كان عالما بأن النبي صلى الله عليه وسلم مشغول بغيره، وأنه يرجو إسلامهم، ولكن الله تبارك وتعالى

عاتبه حتى لا تنكسر قلوب أهل الصفة، أو ليعلم أن المؤمن الفقير خير من الغني، وكان النظر

إلى المؤمن أولى وإن كان فقيرا أصلح وأولى من الامر الآخر، وهو الاقبال على الأغنياء طمعا

في إيمانهم، وإن كان ذلك أيضا نوعا من المصلحة، وعلى هذا يخرج قوله تعالى: " ما كان

لنبي أن يكون له أسرى " [الأنفال: ٦٧] الآية على ما تقدم (١). وقيل: إنما قصد النبي صلى الله عليه وسلم

تأليف الرجل، ثقة بما كان في قلب ابن أم مكتوم من الايمان، كما قال: [إني لأصل الرجل

وغيره أحب إلي منه، مخافة أن يكبه الله في النار على وجهه].

الخامسة - قال ابن زيد: إنما عبس النبي صلى الله عليه وسلم لابن أم مكتوم وأعرض عنه، لأنه أشار إلى الذي كان يقوده أن يكفه، فدفعه ابن أم مكتوم، وأبى إلا أن يكلم النبي صلى الله عليه وسلم حتى يعلمه، فكان في هذا نوع جفاء منه. ومع هذا أنزل الله

في حقه على نبيه صلى الله عليه وسلم: " عبس وتولى " بلفظ الاخبار عن الغائب، تعظيما (٢) له

ولم يقل: عبست وتوليت. ثم أقبل عليه بمواجهة الخطاب تأنيسا له فقال: " وما يدريك "

أي يعلمك " لعله " يعني ابن أم مكتوم " يزكى " بما استدعى منك تعليمه إياه من القرآن

والدين، بأن يزداد طهارة في دينه، وزوال ظلمة الجهل عنه. وقيل: الضمير في " لعله " للكافر يعني إنك إذا طمعت في أن يتزكى بالاسلام أو يذكر، فتقربه الذكرى إلى قبول الحق

(١) راجع ج ٨ ص ٤٥ فما بعدها.
(٢) في أ، ح: تعليماً.

وما يدريك أن ما طمعت فيه كائن. وقرأ الحسن " أن (١) جاءه الأعمى " بالمد على الاستفهام
ف " - أن " متعلقة بفعل محذوف دل عليه " عبس وتولى " التقدير: أن جاءه أعرض عنه وتولى؟
فيوقف على هذه القراءة على " وتولى "، ولا يوقف عليه على قراءة الخبر، وهي قراءة العامة.

السادسة - نظير هذه الآية في العتاب قوله تعالى في سورة الأنعام: " ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي " [الأنعام: ٥٢] وكذلك قوله في سورة الكهف: " ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا " [الكهف: ٢٨] وما كان مثله، والله أعلم. " أو يذكر " يتعظ بما تقول " فتنفعه

الذكرى " أي العظة. وقراءة العامة " فتنفعه " بضم العين، عطفاً على " يزكى ". وقرأ عاصم وابن أبي إسحاق وعيسى " فتنفعه " نصباً. وهي قراءة السلمي وزر بن حبيش، على جواب

لعل، لأنه غير موجب، كقوله تعالى: " لعلي أبلغ الأسباب " [غافر: ٣٦] ثم قال: " فاطلع " [الصفات: ٥٥].

قوله تعالى: أما من استغنى (٥) فأنت له تصدى (٦)
وما عليك ألا يزكى (٧) وأما من جاءك يسعى (٨) وهو يخشى (٩)
فأنت عنه تلهى (١٠)

قوله تعالى: (أما من استغنى) أي كان ذا ثروة وغنى (فأنت له تصدى) أي تعرض له، وتصغي لكلامه. والتصدي: الاصغاء، قال الراعي:

تصدى لوضاح كأن جبينه * سراج الدجي يحنى إليه الأساور (٢)
وأصله تتصدد من الصد، وهو ما استقبلك، وصار قبالتك، يقال: داري صدد داره أي قبالتها، نصب على الظرف. وقيل: من الصدي وهو العطش. أي تتعرض له كما يتعرض

العطشان للماء، والمصاداة: المعارضة. وقراءة العامة " تصدى " بالتخفيف، على طرح التاء

(١) قال الزمخشري وقرئ (أن) بهمزين وألف بينهما.

(٢) الأسوار (بكسر الهمزة وضمها) قائد الفرس وقيل: هو الجيد الرمي بالسهام وقيل: هو الجيد الثبات على ظهر الفرس والجمع أساور وأساور.

(۲۱۴)

الثانية تخفيفا. وقرأ نافع وابن محيصن بالتشديد على الادغام. (وما عليك ألا يزكى) أي لا يهتدي هذا الكافر ولا يؤمن، إنما أنت رسول، ما عليك إلا البلاغ. قوله تعالى: (وأما من جاءك يسعى) يطلب العلم لله (وهو يخشى) أي يخاف الله. (فأنت عنه تلهي) أي تعرض عنه بوجهك وتشغل بغيره. وأصله تلهي، يقال: لهيت عن الشيء ألهي: أي تشاغلت عنه. والتلهي: التغافل. ولهيت عنه وتليت: بمعنى.

قوله تعالى: كلا إنها تذكرة (١١) فمن شاء ذكره (١٢) في صحف مكرمة (١٣) مرفوعة مطهرة (١٤) بأيدي سفرة (١٥) كرام بررة (١٦)

قوله تعالى: (كلا إنها تذكرة) "كلا" كلمة ردع وزجر، أي ما الأمر كما تفعل مع الفريقين، أي لا تفعل بعدها مثلها: من إقبالك على الغني، وإعراضك عن المؤمن الفقير. والذي جرى من النبي صلى الله عليه وسلم كان ترك الأولى كما تقدم، ولو حمل على صغيرة

لم يبعد، قاله القشيري. والوقف على "كلا" على هذا الوجه: جائز. ويجوز أن تقف على

"تلهي" ثم تبدئ "كلا" على معنى حقا. "إنها" أي السورة أو آيات القرآن "تذكرة"

أي موعظة وتبصرة للخلق (فمن شاء ذكره) أي اتعظ بالقرآن. قال الجرجاني: "إنها" أي

القرآن، والقرآن مذكر إلا أنه لما جعل القرآن تذكرة، أخرجه على لفظ التذكرة، ولو ذكره

لجاز، كما قال تعالى في موضع آخر: "كلا إنه تذكرة". ويدل على أنه أراد القرآن قوله:

"فمن شاء ذكره" أي كان حافظا له غير ناس، وذكر الضمير، لان التذكرة في معنى الذكر

والوعظ. وروى الضحاك عن ابن عباس في قول تعالى: "فمن شاء ذكره" قال من شاء الله

تبارك وتعالى ألهمه. ثم أخبر عن جلالته فقال: "في صحف" جمع صحيفة "مكرمة" أي عند الله، قاله السدي. الطبري: "مكرمة" في الدين لما فيها من العلم والحكم.

وقيل:

"مكرمة" لأنها نزل بها كرام الحفظة، أو لأنها نازلة من اللوح المحفوظ. وقيل: "مكرمة"

(۲۱۵)

لأنها نزلت من كريم، لان كرامة الكتاب من كرامة صاحبه. وقيل: المراد كتب الأنبياء،

دليله: " إن هذا لفي الصحف الأولى. صحف إبراهيم وموسى " [الاعلى: ١٨ - ١٩].
" مرفوعة " رفيعة

القدر عند الله. وقيل: مرفوعة عنده تبارك وتعالى. وقيل: مرفوعة في السماء السابعة،
قاله يحيى بن سلام. الطبري: مرفوعة الذكر والقدر. وقيل: مرفوعة عن الشبه والتناقض.
" مطهرة " قال الحسن: من كل دنس. وقيل: مصانة (١) عن أن ينالها الكفار. وهو

معنى

قول السدي. وعن الحسن أيضا: مطهرة من أن تنزل على المشركين. وقيل: أي القرآن
أثبت للملائكة في صحف يقرؤونها فهي مكرمة مرفوعة مطهرة. (بأيدي سفرة) أي
الملائكة الذين جعلهم الله سفراء بينه وبين رسله، فهم بررة لم يتدنسوا بمعصية. وروى
أبو صالح عن ابن عباس قال: هي مطهرة تجعل التطهير لمن حملها " بأيدي سفرة "

قال:

كتبة. وقاله مجاهد أيضا. وهم الملائكة الكرام الكاتبون لأعمال العباد في الاسفار،
التي هي الكتب، واحدهم: سافر، كقولك: كاتب وكتبة. ويقال: سفرت أي كتبت،
والكتاب: هو السفر، وجمعه أسفار. قال الزجاج: وإنما قيل للكتاب سفر، بكسر
السين،

وللكاتب سافر، لان معناه أنه يبين الشئ ويوضحه. يقال: أسفر الصبح: إذا أضاء،
وسفرت المرأة: إذا كشفت النقاب عن وجهها. قال: ومنه سفرت بين القوم أسفر
سفارة: أصلحت بينهم. وقاله الفراء، وأنشد:

فما أدع السفارة بين قومي * ولا أمشي بغش إن مشيت

والسفير: الرسول والمصلح بين القوم والجمع: سفراء، مثل فقيه وفقهاء. ويقال للوراقين
سفراء،

بلغة العبرانية. وقال قتادة: السفارة هنا: هم القراء، لأنهم يقرءون الاسفار. وعنه أيضا
كقول

ابن عباس. وقال وهب بن منبه: " بأيدي سفرة. كرام بررة " هم أصحاب النبي صلى
الله

عليه وسلم. قال ابن العربي: لقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سفرة،
كراما

بررة، ولكن ليسوا بمرادين بهذه الآية، ولا قاربوا المرادين بها، بل هي لفظة مخصوصة
بالملائكة عند الاطلاق، ولا يشاركهم فيها سواهم، ولا يدخل معهم في تناولها
غيرهم. وروي

(١) كذا في الأصول وهو مخالف لما في كتب اللغة. الصواب: (مصونة). انظر تاج العروس.

في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " [مثل] (١) الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له، مع السفارة الكرام البررة، ومثل الذي يقرؤه وهو يتعاهده، وهو عليه شديد، فله أجران " متفق عليه، واللفظ للبخاري. " كرام " أي كرام على ربهم، قاله الكلبي.

الحسن: كرام عن المعاصي، فهم يرفعون أنفسهم عنها. وروى الضحاك عن ابن عباس في " كرام " قال: يتكرمون أن يكونوا مع ابن آدم إذا خلا بزوجه، أو تبرز لغائطه. وقيل: أي يؤثرون منافع غيرهم على منافع أنفسهم. " بررة " جمع بار مثل كافر وكفرة، وساحر وسحرة، وفاجر وفجرة، يقال: بر وبار إذا كان أهلاً للصدق، ومنه بر فلان في يمينه: أي صدق، وفلان يبر خالقه ويتبرره: أي يطيعه، فمعنى " بررة " مطيعون لله، صادقون لله في أعمالهم. وقد مضى في سورة " الواقعة " قوله تعالى: " إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون. لا يمسه إلا المطهرون " (٢) [الواقعة: ٧٧ - ٧٩] أنهم الكرام البررة في هذه السورة.

قوله تعالى: قتل الانسان ما أكفره (١٧) من أي شيء خلقه (١٨) من نطفة خلقه فقدره (١٩) ثم السبيل يسره (٢٠) ثم أماته فأقبره (٢١) ثم إذا شاء أنشره (٢٢) كلا لما يقض ما أمره (٢٣)

قوله تعالى: (قتل الانسان ما أكفره)؟ " قتل " أي لعن. وقيل: عذب. والانسان الكافر. روى الأعمش عن مجاهد قال: ما كان في القرآن " قتل الانسان " فإنما عني به الكافر. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: نزلت في عتبة بن أبي لهب، وكان قد آمن، فلما نزلت " والنجم " ارتد، وقال: أمنت بالقرآن كله إلا النجم، فأنزل الله جل ثناؤه فيه " قتل الانسان " أي لعن عتبة حيث كفر بالقرآن، ودعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الزيادة من صحيح البخاري

(٢) راجع ج ١٧ ص ٥٢٢



(۲۱۷)

فقال: [اللهم سلط عليه كلبك أسد الغاضرة] (١) فخرج من فوره بتجارة إلى الشام، فلما انتهى إلى الغاضرة تذكر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، فجعل لمن معه ألف دينار إن هو أصبح حيا، فجعلوه في وسط الرفقة، وجعلوا المتاع حوله، فبينما هم على ذلك أقبل الأسد، فلما دنا من الرحال وثب، فإذا هو فوقه فمزقه، وقد كان أبوه ندبه وبكى وقال: ما قال محمد

شيئا قط إلا كان. وروى أبو صالح عن ابن عباس " ما أكفره ": أي شيء أكفره؟ وقيل: " ما " تعجب، وعادة العرب إذا تعجبوا من شيء قالوا: قاتله الله ما أحسنه! وأخزاه الله ما أظلمه، والمعنى: اعجبوا من كفر الانسان لجميع ما ذكرنا بعد هذا. وقيل:

ما أكفره بالله ونعمه مع معرفته بكثرة إحسانه إليه على التعجب أيضا، قال ابن جريج: أي ما أشد كفره! وقيل: " ما " استفهام أي شيء دعاه إلى الكفر، فهو استفهام توبيخ. و " ما " تحتمل التعجب، وتحتمل معنى أي، فتكون استفهاما. (من أي شيء خلقه) أي من أي شيء خلق الله هذا الكافر فيتكبر؟ أي أعجبوا لخلقه. " من نطفة " أي من ماء يسير مهين جماد " خلقه " فلم يغلط في نفسه؟! قال الحسن: كيف يتكبر من خرج من سبيل البول مرتين. " فقدره " في بطن أمه. كذا روى الضحاك عن ابن عباس:

أي قدر يديه ورجليه وعينه وسائر آرايه، وحسنا ودميما، وقصيرا وطويلا، وشقيا وسعيدا.

وقيل: " فقدره " أي فسواه كما قال: " أكفرت بالذي خلقتك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا ". وقال: " الذي خلقتك فسواك ". وقيل: " فقدره " أطوارا أي من حال إلى حال، نطفة ثم علقة، إلى أن تم خلقه. (ثم السبيل يسره) قال ابن عباس في رواية

عطاء وقتادة والسدي ومقاتل: يسره للخروج من بطن أمه. مجاهد: يسره لطريق الخير والشر، أي بين له ذلك. دليله: " إنا هديناه السبيل " و " هديناه النجدين ". وقاله الحسن وعطاء وابن عباس أيضا في رواية أبي صالح عنه. وعن مجاهد أيضا قال: سبيل

(١) كذا لفظ الحديث في الأصول ورواية أبي حيان له: (اللهم ابعث عليه كلبك يأكله " ثم قال: فلما انتهى إلى الغاضرة... الخ.

(۲۱۸)

الشقاء والسعادة. ابن زيد: سبيل الاسلام. وقال أبو بكر بن طاهر: يسر على كل أحد ما خلقه له وقدره عليه، دليله قوله عليه السلام: [اعملوا فكل ميسر لما خلق له]. (ثم أماته فأقبره) أي جعل له قبرا يوارى فيه إكراما، ولم يجعله مما يلقي على وجه الأرض

تأكله الطير والعوافي (١)، قاله الفراء. وقال أبو عبيدة: "أقبره": جعل له قبرا، وأمر أن يقبر. قال أبو عبيدة: ولما قتل عمر بن هبيرة صالح بن عبد الرحمن، قالت بنو تميم ودخلوا

عليه: أقبرنا صالحا، فقال: دونكموه. وقال: "أقبره" ولم يقل قبره، لان القابر هو الدافن بيده، قال الأعشى:

لو أسندت ميتا إلى نحرها * عاش ولم ينقل إلى قابر
يقال: قبرت الميت: إذا دفنته، وأقبره الله: أي صيره بحيث يقبر، وجعل له قبرا، تقول العرب:

بترت ذنب البعير، وأبتره الله، وعضبت قرن الثور، وأعضبه الله، وطردت فلانا، والله أطرده،

أي صيره طريدا. (ثم إذا شاء أنشره) أي أحياه بعد موته. وقراءة العامة "أنشره" بالألف. وروى أبو حياة عن نافع وشعيب بن أبي حمزة "شاء نشره" بغير ألف، لغتان فصيحتان بمعنى، يقال: أنشر الله الميت ونشره، قال الأعشى:

حتى يقول الناس مما رأوا * يا عجا للميت الناشر
قوله تعالى: (كلا لما يقض ما أمره) قال مجاهد وقتادة: "لما يقض": لا يقضى أحد ما أمر به. وكان ابن عباس يقول: "لما يقض ما أمره" لم يف بالميثاق الذي أخذ عليه في صلب آدم. ثم قيل: "كلا" ردع وزجر، أي ليس الأمر: كما يقول الكافر، فإن الكافر إذا أخبر بالنشور قال: "ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى" [فصلت: ٥٠]

ربما يقول قد قضيت ما أمرت به. فقال: كلا لم يقض شيئا بل هو كافر بي وبرسولي. وقال الحسن: أي حقا لم يقض: أي لم يعمل بما أمر به. و"ما" في قوله: "لما" عماد للكلام، كقول تعالى: "فبما رحمة من الله" [آل عمران: ١٥٩] وقوله: "عما قليل ليصبحن نادمين" [المؤمنون: ٤٠].

(١) العوافي: طلاب الرزق من الانس والدواب والطيور والمراد هنا: الوحوش والبهائم.

وقال الإمام ابن فورك: أي: كلا لما يقض الله لهذا الكافر ما أمره به من الايمان، بل أمره بما لم يقض له. ابن الأنباري: الوقف على " كلا " قبيح، والوقف على " أمره " و " نشره " جيد، ف " - كلا " على هذا بمعنى حقا.

قوله تعالى: فلينظر الانسان إلى طعامه (٢٤) أنا صببنا الماء صبا (٢٥) ثم شققنا الأرض شقا (٢٦) فأنبثنا فيها حبا (٢٧) وعنبا وقضبا (٢٨) وزيتونا ونخلا (٢٩) وحدائق غلبا (٣٠) وفاكهة وأبا (٣١) متاعا لكم ولأنعامكم (٣٢)

قوله تعالى: (فلينظر الانسان إلى طعامه) لما ذكر جل ثناؤه ابتداء خلق الانسان ذكر ما يسر من رزقه، أي فلينظر كيف خلق الله طعامه. وهذا النظر نظر القلب بالفكر، أي ليتدبر كيف خلق الله طعامه الذي هو قوام حياته، وكيف هيأ له أسباب المعاش، ليستعد بها للمعاد. وروى عن الحسن ومجاهد قالوا: " فلينظر الانسان إلى طعامه " أي إلى

مدخله ومخرجه. وروى ابن أبي خيثمة عن الضحاك بن سفيان الكلابي قال: قال لي النبي

صلى الله عليه وسلم: [يا ضحاك ما طعامك] قلت: يا رسول الله! اللحم واللبن، قال: [ثم يصير إلى ماذا] قلت إلى ما قد علمته، قال: [فإن الله ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا]. وقال أبي بن كعب: قال النبي صلى الله عليه وسلم: [إن مطعم ابن آدم جعل

مثلا للدنيا وإن قزحه (١) وملحه فانظر إلى ما يصير]. وقال أبو الوليد: سألت ابن عمر عن الرجل يدخل الخلاء فينظر ما يخرج منه، قال: يأتيه الملك فيقول انظر ما بخلت به إلى ما صار؟

(١) قزحه: أي تبله من القزح وهو التابل الذي يطرح في القدر كالكمون والكزبرة ونحو ذلك. والمعنى: إن المطعم وإن تكلف الانسان التنوق في صنعته وتطيبه فإنه عائد إلى حال يكره ويستقدر فكذلك الدنيا

المحروص على عمارتها ونظم أسبابها راجعة إلى خراب وإدبار (النهاية).

قوله تعالى: (أنا صببنا الماء صبا) قراءة العامة "إناء" بالكسر، على الاستئناف، وقرأ الكوفيون ورويس عن يعقوب "أنا" بفتح الهمزة، ف" - أنا" في موضع خفض على الترجمة

عن الطعام، فهو بدل منه، كأنه قال: "فلينظر الإنسان إلى طعامه" إلى "أنا صببنا" فلا يحسن الوقف على "طعامه" من هذه القراءة. وكذلك إن رفعت "أنا" بإضمار هو

أنا صببنا، لأنها في حال رفعها مترجمة عن الطعام. وقيل: المعنى: لأننا صببنا الماء، فأخرجنا

به الطعام، أي كذلك كان. وقرأ الحسين (١) بن علي "أني" ممال، بمعنى كيف؟ فمن أخذ بهذه

القراءة قال: الوقف على "طعامه" تام. ويقال: معنى "أني" "أين، إلا أن فيها كناية عن الوجوه، وتأويلها: من أي وجه صببنا الماء، قال الكمي:

أني ومن أين أبك (٢) الطرب* من حيث لا صبوة ولا ريب
"صببنا الماء صبا": يعني الغيث والأمطار. (ثم شققنا الأرض شقا): أي بالنبات (فأنبتنا فيها حبا) أي قمحا وشعيرا (٣) وسلتا وسائر ما يحصد ويدخر (وعنبا وقضبا)

وهو ألفت والعلف، عن الحسن: سمي بذلك لأنه يقضب أي يقطع بعد ظهوره مرة بعد مرة. قال القتيبي وثعلب: وأهل مكة يسمون ألفت القضب. وقال ابن عباس: هو الرطب لأنه يقضب من النخل: ولأنه ذكر العنب قبله. وعنه أيضا: أنه الفصفصة وهو ألفت الرطب. وقال الخليل: القضب الفصفصة الرطبة. وقيل: بالسین، فإذا يبست فهو قت. قال: والقضب: اسم يقع على ما يقضب من أغصان الشجرة، ليتخذ منها سهام أو قسي.

ويقال: قضبا، يعني جميع ما يقضب، مثل ألفت والكراث وسائر البقول التي تقطع فينبت

أصلها. وفي الصحاح: والقضبة والقضب الرطبة، وهي الإسفست بالفارسية، والموضع الذي

ينبت فيه مقضبة. "وزيتونا" وهي شجرة الزيتون "ونخلا" يعني النخيل "وحدائق" أي

(١) في ب، ز: قرأ بعض القراء.

(٢) أبك: أتك. الريب: صرغ الدهر.

(٣) السلت (بالضم): ضرب من الشعير.

(۲۲)

بساتين واحدها حديقة. قال الكلبي: وكل شيء أحيط عليه من نخيل أو شجر فهو حديقة، وما لم يحط عليه فليس بحديقة. " غلبا " عظاما شجرها، يقال: شجرة غلباء، ويقال للأسد:

الأغلب، لأنه مصمت العنق، لا يلتفت إلا جميعا، قال العجاج:
ما زلت يوم البين ألوي صلبي * والرأس حتى صرت مثل الأغلب
ورجل أغلب بين الغلب إذا كان غليظ الرقبة. والأصل في الوصف بالغلب: الرقاب فاستعير، قال عمرو بن معدي كرب:
يمشي بها غلب الرقاب كأنهم * بزل كسين من الكحيل جلالا (١)
وحديقة غلباء: ملتفة وحدائق غلب. واغلولب العشب: بلغ والتف البعض ببعض.
قال ابن عباس: الغلب: جمع أغلب وغلباء وهي الغلاظ. وعنه أيضا الطوال. قتادة وابن زيد:

الغلب: النخل الكرام. وعن ابن زيد أيضا وعكرمة: عظام الأوساط والجدوع. مجاهد: ملتفة. " وفاكهة " أي ما تأكله الناس من ثمار الأشجار كالتين والخوخ وغيرهما " وأبا "

هو ما تأكله البهائم من العشب، قال ابن عباس والحسن: الأب: كل ما أنبتت الأرض، مما لا يأكله الناس، ما يأكله الآدميون هو الحصيد، ومنه قول الشاعر في مدح النبي صلى الله عليه وسلم:

له دعوة ميمونة ريحها الصبا * بها ينبت الله الحصيد والابا
وقيل: إنما سمي أبا، لأنه يؤب أي يؤم وينتجع. والأب والام: أخوان، قال:
جذمنا قيس ونجد دارنا * ولنا الأب به والمكرع (٢)
وقال الضحاك: والأب: كل شيء ينبت على وجه الأرض. وكذا قال أبو رزين: هو النبات. يدل عليه قول ابن عباس قال: الأب: ما تنبت الأرض مما يأكل الناس والانعام. *

(١) الكحيل: نوع من القطران تطلّى به الإبل للجرب ولا يستعمل إلا مصغرا. وجل الدابة: الذي تلبسه لتصان به والجمع جلال وأجلال.

(٢) الجذم (بكسر الجيم): الأصل. والمكرع: مفعول من الكرع أراد به الماء الصالح للشرب.

وعن ابن عباس أيضا وابن أبي طلحة: الأب: الثمار الرطبة. وقال الضحاك: هو التين خاصة. وهو محكي عن ابن عباس أيضا، قال الشاعر:

فما لهم مرتع للسوام (١) * والأب عندهم يقدر
الكلي: هو كل نبات سوى الفاكهة. وقيل: الفاكهة: رطب الثمار، والأب يابسها.
وقال إبراهيم التيمي: سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن تفسير الفاكهة والأب فقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت: في كتاب الله ما لا أعلم. وقال أنس: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال: كل هذا قد عرفناه، فما الأب؟

ثم رفع عصا كانت بيده وقال: هذا لعمر الله التكلف، وما عليك يا بن أم عمر ألا تدري
ما الأب؟ ثم قال: اتبعوا ما بين لكم من هذا الكتاب، وما لا فدعوه. وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: [خلقتكم من سبع، ورزقتكم من سبع، فاسجدوا لله على سبع]. وإنما
أراد بقوله: [خلقتكم من سبع] يعني " من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة " [الحج: ٥] الآية، والرزق
من سبع، وهو قوله تعالى: " فأنبتنا فيها حبا وعنبا " إلى قوله: " وفاكهة " ثم قال: " وأبا " وهو يدل على أنه ليس برزق لابن آدم، وأنه مما تختص به البهائم. والله أعلم. " متاعا لكم "

نصب على المصدر المؤكد، لان إنبات هذه الأشياء إمتاع لجميع الحيوانات. وهذا ضرب
مثل ضربه الله تعالى لبعث الموتى من قبورهم، كنبات الزرع بعد دثوره، كما تقدم بيانه في غير موضع. ويتضمن امتنانا عليهم بما أنعم به، وقد مضى في غير موضع أيضا.
قوله تعالى: فإذا جاءت الصاخة (٣٣) يوم يفر المرء من أخيه (٣٤) وأمه وأبيه (٣٥) وصاحبته وبنيه (٣٦) لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه (٣٧) وجوه يومئذ مسفرة (٣٨) ضاحكة مستبشرة (٣٩) ووجوه يومئذ عليها غبرة (٤٠) ترهقها قفرة (٤١) أولئك هم الكفرة الفجرة (٤٢)

(١) السوام والسائمة: المال الراعي من الإبل والغنم وغيرها.

قوله تعالى: (فإذا جاءت الصاخة) لما ذكر أمر المعاش ذكر أمر المعاد، ليتزودوا له بالاعمال الصالحة، وبالانفاق مما أمتن به عليهم. والصاخة: الصيحة التي تكون عنها القيامة،

وهي النفخة الثانية، تصخ الاسماع: أي تصمها فلا تسمع إلا ما يدعى به للاحياء. وذكر

ناس من المفسرين قالوا: تصيخ لها الاسماع، من قولك: أصاخ إلى كذا: أي استمع إليه،

ومنه الحديث: [ما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة شفقا من الساعة إلا الجن والإنس].

وقال الشاعر:

يصيخ للنبأ أسماعه * إصاخة المنشد للمنشد

قال بعض العلماء: وهذا يؤخذ على جهة التسليم للقدماء، فأما اللغة فمقتضاها القول الأول،

قال الخليل: الصاخة: صيحة تصخ الآذان (صخا)؟ أي تصمها بشدة وقعتها. وأصل الكلمة

في اللغة: الصك الشديد. وقيل: هي مأخوذة من صخه بالحجر: إذا صكه قال الراجز: يا جارتى هل لك أن تجالدي * جلادة كالصك بالجلامد

ومن هذا الباب قول العرب: صختهم الصاخة وباتتهم البائنة، وهي الداهية. الطبري: وأحسبه من صخ فلان فلانا: إذا أصماه. قال ابن العربي (١): الصاخة التي تورث

الصمم، وإنها

لمسمعة، وهذا من بديع الفصاحة، حتى لقد قال بعض حديثي الأسنان حديثي الأزمان: * أصم بك، الناعي وإن كان أسمعاً *

وقال آخر:

أضمني سرهم أيام فرقتهم * فهل سمعتم بسر يورث الصمما

لعمركم إن صيحة القيامة لمسمعة تصم عن الدنيا، وتسمع أمور الآخرة.

قوله تعالى: (يوم يفر المرء من أخيه) أي يهرب، أي تجئ الصاخة في هذا اليوم الذي يهرب فيه من أخيه، أي من موالاة أخيه ومكالمته، لأنه لا يتفرغ لذلك، لاشتغاله بنفسه، كما قال بعده: " لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه " أي يشغله عن غيره.

وقيل: إنما يفر حذرا من مطالبتهم إياه، لما بينهم من التبعات. وقيل: لثلا يروا ما هو

(١) لم نجد كلام ابن العربي هذا في النسخة المطبوعة بمطبعة السعادة من كتابه (أحكام القرآن).

فيه من الشدة. وقيل: لعلمه أنهم لا ينفعون ولا يغنون عنه شيئاً، كما قال: " يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً " [الدخان: ٤١]. وقال عبد الله بن طاهر الأبهري: يفر منهم لما تبين له من عجزهم وقلة حيلتهم، إلى من يملك كشف تلك الكروب والهموم عنه، ولو ظهر له ذلك في الدنيا

لما اعتمد شيئاً سوى ربه تعالى. (وصاحبته) أي زوجته. (وبنيه) أي أولاده. وذكر الضحاك عن ابن عباس قال: يفر قابيل من أخيه هابيل، ويفر النبي صلى الله عليه وسلم من أمه، وإبراهيم عليه السلام من أبيه، ونوح عليه السلام من ابنه، ولوط من امرأته، وآدم من سواة بنيه. وقال الحسن: أول من يفر يوم القيامة من، أبيه: إبراهيم، وأول

من يفر من ابنه نوح، وأول من يفر من امرأته لوط. قال: فيرون أن هذه الآية نزلت فيهم وهذا فرار التبرؤ. (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه). في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها

قالت: سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول: [يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً] قلت، يا رسول الله! الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: [يا عائشة، الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض]. خرجه الترمذي عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [يحشرون حفاة عراة غرلاً] فقالت امرأة: أينظر بعضنا،

أو يرى بعضنا عورة بعض؟ قال: [يا فلانة] " لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ". قال: حديث حسن صحيح. وقراءة العامة بالعين المعجمة، أي حال يشغله عن الأقرباء. وقرأ ابن محيصن وحميد " يعنيه " بفتح الياء، وعين غير معجمة، أي يعنيه أمره. وقال القنبي: يعنيه: يصرفه ويصدده عن قرابته، ومنه يقال: أعن عني وجهك: أي أصرفه وأعن عن السفیه، قال خفاف:

سيعنيك حرب بني مالك* عن الفحش والجهل في المحفل
قوله تعالى: (وجوه يومئذ مسفرة): أي مشرقة مضيئة، قد علمت مالها من الفوز والنعيم، وهي وجوه المؤمنين. " ضاحكة " أي مسرورة فرحة. " مستبشرة " : أي بما

آتاها الله من الكرامة. وقال عطاء الخراساني: " مسفرة " من طول ما اغبرت في سبيل الله

جل ثناؤه. ذكره أبو نعيم. الضحاك: من آثار الوضوء. ابن عباس: من قيام الليل، لما روى في الحديث: [من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار] يقال: أسفر الصبح إذا

أضاء. (ووجوه يومئذ عليها غبرة) أي غبار ودخان " ترهقها " أي تغشاها " قتره " أي كسوف وسواد. كذا قال ابن عباس. وعنه أيضا: ذلة وشدة. والقتر في كلام العرب:

الغبار، جمع القتره، عن أبي عبيد، وأنشد الفرزدق:

متوج برداء الملك يتبعه * موج ترى فوقه الرايات والقترا

وفي الخبر: إن البهائم إذا صارت ترابا يوم القيامة حول ذلك التراب في وجوه الكفار. وقال زيد بن أسلم، القتره: ما ارتفعت إلى السماء، والغبرة: ما انحطت إلى الأرض، والغبار

والغبرة: واحد. " أولئك هم الكفرة " جمع كافر " الفجرة " جمع فاجر، وهو الكاذب المفترى على الله تعالى. وقيل: الفاسق، [يقال]: فجر فجورا: أي فسق، وفجر: أي كذب. وأصله: الميل، والفاجر: المائل. وقد مضى بيانه والكلام فيه. والحمد لله وحده.

سورة التكوير

مكية في قول الجميع. وهي تسع وعشرون آية

وفي الترمذي: عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من سره أن ينظر

إلي يوم القيامة [كأنه رأى عين] فليقرأ إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت). قال: هذا حديث حسن [غريب] (١).

(١) الزيادة من صحيح الترمذي.

بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى: إذا الشمس كورت (١) وإذا النجوم انكدرت (٢)
وإذا الجبال سيرت (٣) وإذا العشار عطلت (٤) وإذا الوحوش
حشرت (٥) وإذا البحار سجرت (٦) وإذا النفوس زوجت (٧)
وإذا المؤمنوودة سئلت (٨) بأي ذنب قتلت (٩) وإذا الصحف
نشرت (١٠) وإذا السماء كشطت (١١) وإذا الجحيم سعرت (١٢)
وإذا الجنة أزلفت (١٣) علمت نفس ما أحضرت (١٤)
قوله تعالى: (إذا الشمس كورت) قال ابن عباس: تكويرها: إدخالها في العرش.
والحسن: ذهاب ضوئها. وقاله قتادة ومجاهد: وروى عن ابن عباس أيضا. سعيد بن
جبير: عورت. أبو عبيدة: كورت مثل تكوير العمامة، تلف فتمحى. وقال الربيع بن
خيثم:

" كورت " رمى بها، ومنه: كورته فتكور، أي سقط.
قلت: وأصل التكوير: الجمع، مأخوذ من كار العمامة على رأسه يكورها أي لاثها
وجمعها
فهي تكور ويمحى ضوءها، ثم يرمى بها في البحر. والله أعلم. وعن أبي صالح:
كورت:

نكست. (وإذا النجوم انكدرت) أي تهافتت وتناثرت. وقال أبو عبيدة: أنصبت كما
تنصب العقاب إذا انكسرت. قال العجاج يصف صقرا (١):
أبصر خربان فضاء فانكدر * تقضي البازي إذا البازي كسر

(١) هكذا البيت في نسخ الأصل التي بأيدينا والذي في ديوان العجاج رواية الأصمعي نسخة الشنقيطي: قال
يمدح

عمرو بن عبيد الله بن معمر: قد جبر الدين الاله فجبر. إلى أن قال:
داني جناحيه من الطور فمر * تقضي البازي إذا البازي كسر
أبصر خربان فضاء فانكدر * اشكى الكلايب إذا أهوى اطفر
الطور: الجبل وعنى هنا الشام يقول: انقض ابن معمر انقضاة من الشام انقضاة البازي ضم جناحيه.
وخربان:
جمع خرب وهو ذكر الحبارى والكلايب المخالب واطفر: أصله اظنفر فأبدلت التاء طاء فأدغمت في الطاء.

وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يبقى في السماء يومئذ نجم إلا سقط في الأرض، حتى يفرغ أهل الأرض السابعة مما لقيت وأصاب

العلياء)، يعني الأرض. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: تساقطت، وذلك أنها قناديل معلقة بين السماء والأرض بسلاسل من نور، وتلك السلاسل بأيدي ملائكة من نور، فإذا جاءت النفخة الأولى مات من في الأرض ومن في السماوات، فتناثرت تلك الكواكب

وتساقطت السلاسل من أيدي الملائكة، لأنه مات من كان يمسكها. ويحتمل أن يكون انكدارها طمس آثارها. وسميت النجوم نجوما لظهورها في السماء بضوئها. وعن ابن عباس

أيضا: انكدرت تغيرت فلم يبق لها ضوء لزوالها (١) عن أماكنها. والمعنى متقارب. (وإذا

الجبال سيرت) يعني قلعت من الأرض، وسيرت في الهواء، وهو مثل قوله تعالى: " ويوم نسير

الجبال وترى الأرض بارزة " [الكهف: ٤٧]. وقيل: سيرها تحولها عن منزلة الحجاره، فتكون كثيبا مهيلا أي

رملا سائلا وتكون كالعهن، وتكون هباء منثورا، وتكون سرايا، مثل السراب الذي ليس بشيء. وعادت الأرض قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمنا. وقد تقدم (٢) في غير موضع

والحمد لله. (وإذا العشار عطلت) أي النوق الحوامل التي في بطونها أولادها، الواحدة عشراء

أو التي أتى عليها في الحمل عشرة أشهر، ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع، وبعدما تضع أيضا.

ومن عادة العرب أن يسموا الشيء باسمه المتقدم وإن كان قد جاوز ذلك، يقول الرجل لفرسه

وقد قرح: هاتوا مهري وقربوا مهري، يسميه بمتقدم اسمه، قال عنتره:

لا تذكرني مهري وما أطمعته * فيكون جلدك مثل جلد الأجر

وقال أيضا:

* وحملت مهري وسطها فمضاها (٣) *

وإنما خص العشار بالذكر، لأنها أعز ما تكون على العرب، وليس يعطلها أهلها إلا حال القيامة.

وهذا على وجه المثل، لان في القيامة لا تكون ناقة عشراء، ولكن أراد به المثل، أن هول

-
- (١) في ا، ح، و: لزلزالتها.
(٢) راجع ج ١١ ص ٢٤٥.
(٣) صدره: * وضربت قرني كبشها فتجدلا *

يوم القيامة بحال لو كان للرجل ناقة عشراء لعطلها واشتغل بنفسه. وقيل: إنهم إذا قاموا من قبورهم، وشاهد بعضهم بعضا، ورأوا الوحوش والدواب محشورة، وفيها عشراهم التي كانت أنفس أموالهم، لم يعبئوا بها، ولم يهتمهم أمرها. وخوطبت العرب بأمر العشار، لان مالها وعيشها أكثره من الإبل. وروى الضحاك عن ابن عباس: عطلت: عطلها أهلها،

لاشتغالهم بأنفسهم. وقال الأعشى:
هو الواهب المائة المصطفاة * إما مخاضا وإما عشارا
وقال آخر:

ترى المرء مهجورا إذا قل ماله * وبيت الغني يهدي له ويزار
وما ينفع الزوار مال مزورهم * إذا سرحت شول (١) له وعشار
يقال: ناقة عشراء، وناقتان عشراوان، ونوق عشراوات، يدلون من همزة التأنيث واوا.

وقد عشت الناقة تعشيرا: أي صارت عشراء. وقيل: العشار: السحاب يعطل مما يكون فيه

وهو الماء فلا يمطر، والعرب تشبه السحاب بالحامل. وقيل: الديار تعطل فلا تسكن. وقيل: الأرض التي يعشر زرعها تعطل فلا تزرع. والأول أشهر، وعليه من الناس الأكثر. (وإذا الوحوش حشرت) أي جمعت والحشر: الجمع. عن الحسن وقتادة وغيرهما. وقال

ابن عباس: حشرها: موتها. رواه عنه عكرمة. وحشر كل شيء: الموت غير الجن والإنس،

فإنهما يوافقان يوم القيامة. وعن ابن عباس أيضا قال: يحشر كل شيء حتى الذباب. قال ابن عباس: تحشر الوحوش غدا: أي تجمع حتى يقتص لبعضها من بعض، فيقتص للجماء من القرناء، ثم يقال لها كوني ترابا فتموت. وهذا أصح مما رواه عنه عكرمة، وقد بيناه

في كتاب "التذكرة" مستوفى، ومضى في سورة "الانعام" (٢) بعضه. أي إن الوحوش إذا

كانت هذه حالها فكيف بيني آدم. وقيل: عني بهذا أنها مع نفرتها اليوم من الناس وتنددها

(١) في ط: بزل.

(٢) راجع ج ٦ ص ٤٢١.

في الصحاري، تنضم غدا إلى الناس من أهوال ذلك اليوم. قال معناه أبي بن كعب.
(وإذا البحار سجرت) أي ملئت من الماء، والعرب تقول: سجرت الحوض أسجره
سجرا: إذا ملأته، وهو مسجور والمسجور والساجر في اللغة: الملائن. وروى الربيع بن
خيثم:

سجرت: فاضت وملئت. وقاله الكلبي ومقاتل والحسن والضحاك. قال ابن أبي زمنين:
سجرت: حقيقته ملئت، فيفيض بعضها إلى بعض فتصير شيئا واحدا. وهو معنى قول
الحسن.

وقيل: أرسل عذبتها على مالحها ومالحها على عذبتها، حتى امتلأت. عن الضحاك
ومجاهد:

أي فجرت فصارت بحرا واحدا. القشيري: وذلك بأن يرفع الله الحاجز الذي ذكره في
قوله

تعالى: "بينهما برزخ لا يبغيان" [الرحمن: ٢٠]، فإذا رفع ذلك البرزخ تفجرت مياه
البحار، فعمت

الأرض كلها، وصارت البحار بحرا واحدا. وقيل: صارت بحرا واحدا من الحميم لأهل
النار. وعن الحسن أيضا وقتادة وابن حيان: تيبس فلا يبقى من مائها قطرة. القشيري:
وهو من سجرت التنور أسجره سجرا: إذا أحميته وإذا سلط عليه الايقاد نشف ما فيه
من

الرطوبة وتسير الجبال حينئذ وتصير البحار والأرض كلها بساطا واحدا، بأن يملا مكان
البحار بتراب الجبال. وقال النحاس: وقد تكون الأقوال متفقة، يكون تيبس من الماء
بعد أن يفيض، بعضها إلى بعض، فتقلب ناراً.

قلت: ثم تسير الجبال حينئذ، كما ذكر القشيري، والله أعلم. وقال ابن زيد وشمر
وعطية

وسفیان ووهب وأبي وعلي بن أبي طالب وابن عباس في رواية الضحاك عنه: أوقدت
فصارت ناراً. قال ابن عباس: يكور الله الشمس والقمر والنجوم في البحر، ثم يبعث
الله عليها ريحا دبورا، فتنفخه حتى يصير ناراً. وكذا في بعض الحديث: (يأمر الله جل
ثناؤه

الشمس والقمر والنجوم فينتشرون في البحر، ثم يبعث الله جل ثناؤه الدبور فيسجرها
ناراً، فتلك

نار الله الكبرى، التي يعذب بها الكفار). قال القشيري: قيل في تفسير قول ابن عباس
"سجرت" أوقدت، يحتمل أن تكون جهنم في قعور من البحار، فهي الآن غير
مسجورة

لقوام الدنيا، فإذا أنقضت الدنيا سجرت، فصارت كلها ناراً يدخلها الله أهلها. ويحتمل
أن

تكون تحت البحر نار، ثم يوقد الله البحر كله فيصير ناراً. وفي الخبر: البحر نار في نار.

(٢٣٠)

وقال معاوية بن سعيد: بحر الروم وسط الأرض، أسفله آبار مطبقة بنحاس يسجر ناراً يوم القيامة. وقيل: تكون الشمس في البحر، فيكون البحر ناراً بحر الشمس. ثم جميع ما في هذه الآيات يجوز أن يكون في الدنيا قبل يوم القيامة ويكون من أشراتها، ويجوز أن يكون يوم القيامة، وما بعد هذه الآيات فيكون في يوم القيامة.

قلت: روي عن عبد الله بن عمرو: لا يتوضأ بماء البحر لأنه طبق جهنم. وقال أبي بن كعب: ست آيات من قبل يوم القيامة: بينما الناس في أسواقهم ذهب ضوء الشمس وبدأت النجوم فتحيروا ودهشوا، وبينما هم كذلك ينظرون إذ تناثرت النجوم وتساقطت، وبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض، فتحركت واضطربت واحترقت، فصارت هباء منثوراً، ففزعت الانس إلى الجن والجن إلى الانس، واختلطت الدواب والوحوش والهوام والطيور، وماج بعضها في بعض، فذلك قوله تعالى: " وإذا الوحوش حشرت " ثم قالت الجن للانس: نحن نأتيكم بالخبر، فانطلقوا إلى البحار فإذا هي نار تأجج، وبينما هم كذلك تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى، وإلى السماء السابعة العليا، وبينما هم كذلك إذ جاءتهم ريح فأماتهم. وقيل: معنى " سحرت " هو حمرة مائها، حتى تصير كالدم، مأخوذ من قولهم: عين سحراء: أي حمراء. وقرأ ابن كثير " سحرت " وأبو عمرو أيضاً، إخباراً عن حالها مرة واحدة. وقرأ الباقر بالتشديد إخباراً عن حالها في تكرير ذلك منها مرة بعد أخرى.

قوله تعالى: (وإذا النفوس زوجت) قال النعمان بن بشير: قال النبي صلى الله عليه وسلم " وإذا النفوس زوجت " قال: (يقرن كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون كعمله).

وقال عمر بن الخطاب: يقرن الفاجر مع الفاجر، ويقرن الصالح مع الصالح. وقال ابن عباس: ذلك حين يكون الناس أزواجاً ثلاثاً، السابقون زوج - يعني صنفاً - وأصحاب اليمين زوج، وأصحاب الشمال زوج. وعنه أيضاً قال: زوجت نفوس المؤمنين بالحوار العين، وقرن الكافر

(١) يوم: ساقطه من ب، ز، ط.

(٢٣١)

بالشياطين، وكذلك المنافقون. وعنه أيضا: قرن كل شكل بشكله من أهل الجنة وأهل النار،

فيضم المبرز في الطاعة إلى مثله، والمتوسط إلى مثله، وأهل المعصية إلى مثله، فالتزويج أن يقرن الشيء بمثله، والمعنى: وإذا النفوس قرنت إلى أشكالها في الجنة والنار. وقيل: يضم كل رجل إلى من كان يلزمه من ملك وسلطان، كما قال تعالى: " احشروا الذين ظلموا وأزواجهم " [الصفات: ٢٢]. وقال عبد الرحمن بن زيد: جعلوا أزواجا على أشباه أعمالهم ليس

بتزويج، أصحاب اليمين زوج، وأصحاب الشمال زوج، والسابقون زوج، وقد قال جل ثناؤه:

" احشروا الذين ظلموا وأزواجهم " [الصفات: ٢٢] أي أشكالهم. وقال عكرمة: " وإذا النفوس زوجت "

قرنت الأرواح بالأجساد، أي ردت إليها. وقال الحسن: ألحق كل امرئ بشيعته: اليهود باليهود، والنصارى بالنصارى، والمجوس بالمجوس، وكل من كان يعبد شيئا من دون الله يلحق

بعضهم ببعض، والمنافقون بالمنافقين، والمؤمنون بالمؤمنين. وقيل: يقرن الغاوي بمن أغواه

من شيطان أو إنسان، على جهة البغض والعداوة، ويقرن المطيع بمن دعاه إلى الطاعة من الأنبياء والمؤمنين. وقيل: قرنت النفوس بأعمالها، فصارت لاختصاصها به كالتزويج.

قوله تعالى: (وإذا الموؤودة سئلت. بأي ذنب قتلت) الموؤودة المقتولة، وهي الجارية تدفن وهي حية، سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب، فيوءودها أي يثقلها حتى

تموت، ومنه قوله تعالى: " ولا يؤوده حفظهما " [البقرة: ٢٥٥] أي لا يثقله، وقال متمم بن نويرة:

وموؤودة مقبورة في مفازة * بآمتها موسودة لم تمهد (١)
وكانوا يدفنون بناتهم أحياء لخصلتين: إحداهما كانوا يقولون إن الملائكة بنات الله، فألحقوا

البنات به. الثانية إما مخافة الحاجة والاملاق، وإما خوفا من السبي والاسترقاق. وقد مضى

(١) كذا روى البيت ونسب إلى متمم بن نويرة في الأصول ونسبه اللسان وشرح القاموس مادة (عوز) إلى حسان رضي الله عنه وروى فيهما:
وموؤودة مقرورة في معاوز * بآمتها مرموسة لم توسد

والآمة: ما يعلق بسرة المولود إذا سقط من بطن أمه. والمعاوز: خرق يلف بها الصبي.

(٢٣٢)

في سورة " النحل " (١) هذا المعنى، عند قوله تعالى: " أم يدسه في التراب " [النحل: ٥٩] مستوفى. وقد كان

ذوو الشرف منهم يمتنعون من هذا ويمنعون منه، حتى افتخر به الفرزدق، فقال:
ومنا (٢) الذي منع الوائدات * فأحيا الوئيد فلم يواد
يعني جده صعصعة كان يشتريهن من آبائهن. فجاء الاسلام وقد أحيا سبعين موءودة.
وقال

ابن عباس: كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت حفرت حفرة، وتمخضت على رأسها،
فإن

ولدت جارية رمت بها في الحفرة، وردت التراب عليها، وإن ولدت غلاما حبسته،
ومنه

قول الراجز:

سميتها إذ ولدت تموت * والقبر صهر ضامن زميت
الزميت الوقور، والزميت مثال الفسيق أوقر من الزميت، وفلان أزميت الناس أي أوقرهم،
وما أشد تزمته، عن الفراء. وقال قتادة: كانت الجاهلية يقتل أحدهم ابنته، ويغذو كلبه،
فعاتبهم الله على ذلك، وتوعدهم بقوله: " وإذا الموءودة سئلت " قال عمر في قوله
تعالى: " وإذا

الموءودة سئلت " قال: جاء قيس بن عاصم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا
رسول الله!

إنني وأدت ثمان بنات كن لي في الجاهلية، قال: (فأعتق عن كل واحدة منهن رقبة)
قال:

يا رسول الله إنني صاحب إبل، قال: (فأهد عن كل واحدة منهن بدنه إن شئت). وقوله
تعالى: " سئلت " سؤال الموءودة سؤال تويخ لقاتلها، كما يقال للطفل إذا ضرب: لم
ضربت؟

وما ذنبك؟ قال الحسن: أراد الله أن يوبخ قاتلها، لأنها قتلت بغير ذنب. وقال ابن
أسلم:

بأي ذنب ضربت، وكانوا يضربونها. وذكر بعض أهل العلم في قوله تعالى: " سئلت "
قال:

طلبت، كأنه يريد كما يطلب بدم القتيل. قال: وهو كقوله: " وكان عهد الله مسؤولا "
[الأحزاب: ١٥]

أي مطلوباً. فكأنها طلبت منهم، فقبل أين أولادكم؟ وقرأ الضحاك وأبو الضحا عن
جابر بن زيد وأبي صالح " وإذا الموءودة سألت " فتعلق الجارية بأبيها، فتقول: بأي
ذنب

(١) راجع ج ١٠ ص ١١٧
(٢) ويروى: وجدى الذي منع الوائدات... الخ.

قتلتني؟! فلا يكون له عذر، قاله ابن عباس وكان يقرأ " وإذا المؤمنة سألت " وكذلك هو في مصحف أبي. وروى عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن

المرأة التي تقتل ولدها تأتي يوم القيامة متعلقا ولدها بندييها، ملطخا بدمائه، فيقول يا رب، هذه

أمي، وهذه قتلتني). والقول الأول عليه الجمهور، وهو مثل قوله تعالى لعيسى: " أنت قلت

للناس "، على جهة التوبيخ والتبكيك لهم، فكذلك سؤال المؤمنة توبيخ لوائدها، وهو أبلغ

من سؤالها عن قتلها، لان هذا مما لا يصح إلا بذنب، فبأي ذنب كان ذلك، فإذا ظهر أنه

لا ذنب لها، كان أعظم في البلية وظهور الحجة على قاتلها. والله أعلم. وقرئ " قتلت " بالتشديد،

وفيه دليل بين على أن أطفال المشركين لا يعذبون، وعلى أن التعذيب لا يستحق إلا بذنب.

قوله تعالى: (وإذا الصحف نشرت) أي فتحت بعد أن كانت مطوية، والمراد صحف الأعمال التي كتبت الملائكة فيها ما فعل أهلها من خير وشر، تطوى بالموت، وتنشر

في يوم القيامة، فيقف كل إنسان على صحيفته، فيعلم ما فيها، فيقول: " مال هذا الكتاب لا يغادر

صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها " [الكهف: ٤٩]. وروى مرثد بن وداعة قال: إذا كان يوم القيامة تطايرت

الصحف من تحت العرش، فتقع صحيفة المؤمن في يده " في جنة عالية " [الحاقة: ٢٢] إلى قوله: " الأيام

الخالية " [الحاقة: ٢٤] وتقع صحيفة الكافر في يده " في سموم وحميم " إلى قوله: ولا كريم " [الواقعة: ٤٢ - ٤٤]. وروى عن

أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يحشر الناس يوم القيامة حفاة

عراة) فقلت: يا رسول الله فكيف بالنساء؟ قال: (شغل الناس يا أم سلمة). قلت:

وما شغلهم؟ قال: (نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل). وقد مضى

في سورة " سبحان " (١) قول أبي الثور العدوي: هما نشرتان وطية، أما ما حيتت يا بن آدم

فصحيفتك المنشورة فأمل فيها ما شئت، فإذا مت طويت، حتى إذا بعثت نشرت " اقرأ

كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا " [الاسراء: ١٤]. وقال مقاتل: إذا مات المرء طويت صحيفة عمله، فإذا كان يوم القيامة نشرت. وعن عمر رضي الله عنه أنه كان إذا قرأها قال: إليك يساق

(١) راجع ج ١٠ ص ٢٣٠.

الامر يا بن آدم. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وأبو عمرو " نشرت " مخففة، على نشرت مرة واحدة، لقيام الحجة. الباكون بالتشديد، على تكرار النشر، للمبالغة في تقرير العاصي، وتبشير

المطيع. وقيل: لتكرار ذلك من الانسان والملائكة الشهداء عليه. قوله تعالى: (وإذا السماء كشطت): الكشط: قلع عن شدة التزاق، فالسماء تكشط كما يكشط الجلد عن الكبش وغيره والقشط: لغة فيه. وفي قراءة عبد الله " وإذا السماء

قشطت " وكشطت البعير كشطاً: نزعت جلده ولا يقال سلخته، لان العرب لا تقول في البعير

إلا كشطته أو جلده، وانكشط: أي ذهب، فالسماء تنزع من مكانها كما ينزع الغطاء عن الشيء. وقيل: تطوى كما قال تعالى: " يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب " [الأنبياء: ١٠٤]

فكأن المعنى: قلعت فطويت. والله أعلم.

قوله تعالى: (وإذا الجحيم سعرت) أي أوقدت فأضرمت للكفار وزيد في إحماؤها. يقال: سعرت النار وأسعرتها. وقراءة العامة بالتخفيف من السعير. وقرأ نافع وابن ذكوان ورويس بالتشديد لأنها أوقدت مدة بعد مرة. قال قتادة: سورها غضب الله وخطايا بني آدم. وفي الترمذي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أوقد على النار

ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة " وروى موقوفا.

قوله تعالى: (وإذا الجنة أزلفت) أي دنت وقربت من المتقين. قال الحسن: إنهم يقربون منها، لا أنها تزول عن موضعها. وكان عبد الرحمن بن زيد يقول: زينت: (١)

أزلفت؟ والزلفى في كلام العرب: القربة قال الله تعالى: " وأزلفت الجنة للمتقين " [الشعراء: ٩٠]، وتزلف فلان تقرب.

قوله تعالى: (علمت نفس ما أحضرت) يعني ما عملت من خير وشر. وهذا جواب " إذا الشمس كورت " وما بعدها. قال عمر رضي الله عنه لهذا أجرى الحديث. وروى

(١) في ز: أدنيت.

(۲۳۵)

عن ابن عباس وعمر رضي الله عنهما أنهما قرأها، فلما بلغا " علمت نفس ما أحضرت
" قالاً
لهذا أجريت القصة، فالمعنى على هذا إذا الشمس كورت وكانت هذه الأشياء، علمت
نفس
ما أحضرت من عملها. وفي الصحيحين عن عدي بن حاتم قال قال رسول الله صلى
الله
عليه وسلم: (ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله ما بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه
فلا يرى
إلا ما قدمه [وينظر (١) أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم] بين يديه، فتستقبله النار، فمن
استطاع
منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة فليفعل) وقال الحسن: " إذ الشمس كورت " قسم
وقع
على قوله: " علمت نفس ما أحضرت " كما يقال: إذا نفر زيد نفر عمرو. والقول
الأول
أصح. وقال ابن زيد عن ابن عباس في قوله تعالى: " إذا الشمس كورت " إلى قوله:
" وإذا الجنة أزلفت " أثنتا عشرة خصلة: ستة في الدنيا، وستة في الآخرة، وقد بينا الستة
الأولى بقول أبي بن كعب.
قوله تعالى: فلا أقسم بالخنس (الجوار الكنس (١٦) والليل
إذا عسعس (١٧) والصبح إذا تنفس (١٨) إنه لقول رسول كريم (١٩)
ذي قوة عند ذي العرش مكين (٢٠) مطاع ثم أمين (٢١) وما صاحبكم
بمجنون (٢٢)
قوله تعالى: (فلا أقسم) أي أقسم، و " لا " زائدة، كما تقدم. (بالخنس الجوار
الكنس) هي الكواكب الخمسة الدراري: زحل والمشتري وعطارد والمريخ والزهرة،
فيما ذكر
أهل التفسير. والله أعلم. وهو مروى عن علي كرم الله وجهه. وفي تخصيصها بالذكر
من
بين سائر النجوم وجهان: أحدهما: لأنها تستقبل الشمس، قاله بكر بن عبد الله المزني.
الثاني: لأنها تقطع المجرة، قاله ابن عباس. وقال الحسن وقتادة: هي النجوم التي تخنس

(١) الزيادة من صحيح مسلم.

بالنهار وإذا غربت، وقاله علي رضي الله عنه، قال: هي النجوم تخنس بالنهار، وتظهر بالليل، وتكنس في وقت غروبها أي تتأخر عن البصر لخفائها، فلا ترى. وفي الصحاح: و " الخنس ": الكواكب كلها. لأنها تخنس في المغيب، أو لأنها تخنس نهارا. ويقال: الكواكب السيارة منها دون الثابتة. وقال الفراء في قوله تعالى: " فلا أقسم بالخنس. الجوارى الكنس ": إنها النجوم الخمسة، زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد، لأنها

تخنس في مجراها، وتكنس، أي تستتر كما تكنس الأطباء في المغار، وهو الكناس. ويقال:

سميت خنسا لتأخرها، لأنها الكواكب المتحيرة التي ترجع وتستقيم، يقال: خنس عنه يخنس

بالضم خنوسا: تأخر، وأخنسه غيره: إذا خلفه ومضى عنه. والخنس تأخر الانف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة، والرجل أخنس، والمرأة خنساء، والبقر كلها خنس.

وقد روى عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: " فلا أقسم بالخنس " هي بقر الوحش.

روى هشيم عن زكريا عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل قال: قال لي عبد الله

ابن مسعود: إنكم قوم عرب فما الخنس؟ قلت: هي بقر الوحش، قال: وأنا أرى ذلك. وقاله إبراهيم وجابر بن عبد الله. وروى عن ابن عباس: إنما أقسم الله ببقر الوحش.

وروى عنه عكرمة قال: " الخنس ": البقر و " الكنس ": هي الأطباء، فهي خنس إذا رأى الإنسان خنسن وانقبضن وتأخرن ودخلن كناسهن. القشيري: وقيل على هذا " الخنس " من الخنس في الانف، وهو تأخر الأرنبة وقصر القصبة، وأنوف البقر والأطباء خنس. والأصح الحمل على النجوم، لذكر الليل والصبح بعد هذا، فذكر النجوم أليق بذلك.

قلت: لله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته من حيوان وجماد، وإن لم يعلم وجه الحكمة في ذلك. وقد جاء عن ابن مسعود وجابر بن عبد الله وهما صحابييان والنخعي أنها بقر الوحش. وعن ابن عباس وسعيد بن جبير أنها الأطباء. وعن الحجاج بن منذر قال: سألت

جابر بن زيد عن الجوارى الكنس، فقال: الأطباء والبقر، فلا يبعد أن يكون المراد

النجوم. وقد قيل: إنها الملائكة، حكاه الماوردي. والكنس الغيب، مأخوذة من الكناس، وهو كناس الوحش الذي يختفي فيه. قال أوس بن حجر: ألم تر أن الله أنزل مزنه * وغفر الظباء في الكناس تقمع (١) وقال طرفة:

كأن كناسي ضالة يكتفانها * وأطر قسي تحت صلب مؤيد (٢)
وقيل: الكنوس أن تأوي إلى مكانسها، وهي المواضع التي تأوي إليها الوحوش والظباء. قال الأعشى:

فلما أتينا الحي أتلع أنس * كما أتلت تحت المكانس ربرب
يقال: تلع. النهار ارتفع وأتلت الظبية من كناسها: أي سمت بجيدها. وقال امرؤ القيس:

تعشى قليلا ثم أنحى ظلوفه * يثير التراب عن مبيت ومكنس
والكنس: جمع كانس وكانسة، وكذا الخنس جمع خانس وخانسة. والجواري: جمع جارية

من جرى يجري. (والليل إذا عسعس) قال الفراء: أجمع المفسرون على أن معنى عسعس

أدبر، حكاه الجوهري. وقال بعض أصحابنا: إنه دنا من أوله وأظلم وكذلك السحاب إذا دنا من الأرض. المهدوي: " والليل إذا عسعس " أدبر بظلامه، عن ابن عباس ومجاهد

وغيرهما. وروى عنهما أيضا وعن الحسن وغيره: أقبل بظلامه. زيد بن أسلم: " عسعس "

ذهب. الفراء: العرب تقول عسعس وسعسع إذا لم يبق منه إلا اليسير. الخليل وغيره: عسعس الليل إذا أقبل أو أدبر. المبرد: هو من الأضداد، والمعنيان يرجعان إلى شيء واحد،

وهو ابتداء الظلام في أوله، وإدباره في آخره، وقال علقمة بن قرط:
حتى إذا الصبح لها تنفسا * وانجاب عنها ليلها وعسعسا

(١) تقمع: تحرك رؤوسها من القمعة وهي ذباب أزرق يدخل في أنوف الدواب أو يقع عليها فيلسعها.
(٢) قال: (كناسي) لأن الحيوان يستكن بالغداة في ظلها وبالعشي في فيئها. والضال: السدر البري الواحدة ضالة. والأطر: العطف. والمؤيد: المقوى. يقول الشاعر: كأن كناسي ضالة يكتفان هذه الناقة لسعة ما بين مرفقيها وزورها.
(٣) تعشى: دخل في العشاء وهو أول الليل. ظلوفه: حوافره.

وقال روبة:

يا هند ما أسرع ما تسعسعا * من بعد ما كان فتى سرعرا (١)

وهذه حجة الفراء. وقال امرؤ (٢) القيس:

عسعس حتى لو يشاء ادنا * كان لنا من ناره مقبس

فهذا يدل على الدنو. وقال الحسن ومجاهد: عسعس: أظلم، قال الشاعر:

حتى إذا ما ليلهن عسعسا * ركن من حد الظلام حندسا

الماوردي: وأصل العس الامتلاء، ومنه قيل للقدح الكبير عس لامتلائه بما فيه، فأطلق

على إقبال الليل لابتداء امتلائه، وأطلق على إداره لانتهاه امتلائه على ظلامه، لاستكمال

امتلائه به. وأما قول امرئ القيس:

* ألما على الربع القديم بعسعسا (٣) *

فموضع بالبادية. وعسعس أيضا اسم رجل، قال الرجز:

* وعسعس نعم الفتى تبياه *

أي تعتمده. ويقال للذئب العسعس والعسعاس والعساس، لأنه يعس بالليل ويطلب.

ويقال للقنافذ العساعس لكثرة ترددها بالليل. قال أبو عمرو: والتعسعس الشم،

وأنشد:

* كمنخر الذئب إذا تعسعسا *

والتعسعس أيضا: طلب الصيد [بالليل]. (٤)

(١) تسعسعا: أدبر وفتى والسرعرا: الشاب الناعم.

(٢) كذا في الأصول كلها ولم نجده في ديوانه. وفي السان: كان له من ضوئه مقبس. ثم قال: أنشده

أبو البلاد النحوي وقال: وكانوا يرون أن هذا البيت مصنوع. وادنا أصله: إذ دنا فأدغم.

(٣) تمامه، * كأني أنادي أو أكام أخرسا *

(٤) الزيادة من الصحاح.

قوله تعالى: (والصبح إذا تنفس) أي أمتد حتى يصير نهارا واضحا، يقال للنهار إذا زاد: تنفس. وكذلك الموج إذا نضح الماء. ومعنى التنفس: خروج النسيم من الجوف.

وقيل: " إذا تنفس " أي انشق وانفلق، ومنه تنفست القوس (١) أي تصدعت. (إنه لقول رسول كريم) هذا جواب القسم. والرسول الكريم جبريل، قاله الحسن وقتادة والضحاك. والمعنى " إنه لقول رسول " عن الله " كريم " على الله. وأضاف الكلام إلى جبريل عليه السلام، ثم عداه عنه بقوله " تنزيل من رب العالمين " [الواقعة: ٨٠] ليعلم أهل التحقيق

في التصديق، أن الكلام لله عز وجل. وقيل: هو محمد عليه الصلاة والسلام (ذي قوة) من جعله جبريل فقوته ظاهرة فروى الضحاك عن ابن عباس قال: من قوته قلعه مدائن قوم لوط بقوادم جناحه. (عن ذي العرش) أي عند الله جل ثناؤه (مكين) أي ذي منزلة ومكانة، فروى عن أبي صالح قال: يدخل سبعين سرادقا بغير إذن. (مطاع ثم): أي في السماوات، قال ابن عباس: من طاعة الملائكة جبريل، أنه لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل عليه السلام لرضوان خازن الجنان: افتح له، ففتح، فدخل ورأى

ما فيها، وقال لمالك خازن النار: أفتح له جهنم حتى ينظر إليها، فأطاعه وفتح له. (أمين)

أي مؤتمن على الوحي الذي يجيء به. ومن قال: إن المراد محمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى

" ذي قوة " على تبليغ الرسالة " مطاع " أي يطيعه من أطاع الله عز وجل. (وما بصاحبكم

بمجنون) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون حتى يتهم في قوله. وهو من جواب

القسم. وقيل: أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يرى جبريل في الصورة التي يكون بها عند

ربه جل وعز فقال: ما ذاك إلي، فإذن له الرب جل ثناؤه، فأتاه وقد سد الأفق، فلما نظر إليه

النبي صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه، فقال المشركون: إنه مجنون، فنزلت: " إنه لقول

رسول كريم " " وما صاحبكم بمجنون " وإنما رأى جبريل على صورته فهابه، وورد عليه

ما لم تحتمل بنيته، فخر مغشيا عليه.

(١) في نسخ الأصل (تنفست القوس والنفوس: أي تصدعت. واللغة لا ذكر فيها لكلمة النفوس ولعلها
زيادة من الناسخ.

قوله تعالى: ولقد رآه بالأفق المبين (٢٣) وما هو على الغيب
بضنين (٢٤) وما هو بقول شيطان رجيم (٢٥) فأين تذهبون (٢٦)
إن هو إلا ذكر للعالمين (٢٧) لمن شاء منكم أن يستقيم (٢٨)
وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين (٢٩)
قوله تعالى: (ولقد رآه بالأفق المبين) أي رأى جبريل في صورته، له ستمائة جناح.
" بالأفق المبين " أي بمطلع الشمس من قبل المشرق، لأن هذا الأفق إذا كان منه تطلع
الشمس فهو مبين. أي من جهته ترى الأشياء. وقيل: الأفق المبين: أقطار السماء
ونواحيها، قال الشاعر:
أخذنا بأفاق السماء عليكم * لنا قمرها والنجوم الطوالع
الماوردي: فعلى هذا، فيه ثلاثة أقاويل أحدها: أنه رآه في أفق السماء الشرقي، قاله
سفيان. الثاني: في أفق السماء الغربي، حكاه ابن شجرة. الثالث: أنه رآه نحو أجياد،
وهو
مشرق مكة، قاله مجاهد. وحكى الثعلبي عن ابن عباس، قال النبي صلى الله عليه وسلم
لجبريل: " إني أحب أن أراك في صورتك التي تكون فيها في السماء " قال: لن تقدر
على
ذلك. قال: " بلى " قال: فأين تشاء أن أتخيل لك؟ قال: " بالأبطح " قال: لا يسعني.
قال: " فبمنى " قال: لا يسعني. قال: " فبعرفات " قال: ذلك بالحري أن يسعني.
قواعده فخرج النبي صلى الله عليه وسلم للوقت، فإذا هو قد أقبل بخشخشة وكلكلة
من جبال
عرفات، قد ملا ما بين المشرق والمغرب، ورأسه في السماء ورجلاه في الأرض، فلما
رآه
النبي صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه، فتحول جبريل في صورته، وضمه إلى
صدره.
وقال: يا محمد لا تخف، فكيف لو رأيت إسرافيل ورأسه من تحت العرش ورجلاه في
تخوم
الأرض السابعة، وإن العرش على كاهله، وإنه ليتضاءل أحيانا من خشية الله، حتى يصير
مثل الوصع (١) - يعني العصفور - حتى ما يحمل عرش ربك إلا عظمته. وقيل: إن
محمدًا

(١) في (اللسان: وصع) الوصع: هو العصفور الصغير.

عليه السلام رأى ربه عز وجل بالأفق المبين. وهو معنى قول ابن مسعود. وقد مضى القول في هذا في " والنجم " (١) مستوفى، فتأمله هناك. وفي " المبين " قولان: أحدهما أنه

صفة الأفق، قاله الربيع. الثاني أنه صفة لمن رآه، قاله مجاهد. (وما هو على الغيب بضنين):

بالظاء، قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي، أي بمتهم، والظنة التهمة، قال الشاعر: أما وكتاب الله لا عن سناء* هجرت ولكن الظنين ظنين وأختاره أبو عبيد، لأنهم لم يخلوه ولكن كذبوه، ولأن الأكثر من كلام العرب: ما هو بكذا، ولا يقولون: ما هو على كذا، إنما يقولون: ما أنت على هذا بمتهم. وقرأ الباقون " بضنين " بالضاد: أي ببخيل من ضننت بالشئ أضن ضنا [فهو] ضنين. فروى ابن أبي نجیح عن مجاهد قال: لا يضمن عليكم بما يعلم، بل يعلم الخلق كلام الله وأحكامه.

وقال الشاعر:

أجود بمكنون الحديث وإنني* بسرك عمن سألني لضنين والغيب: القرآن وخبر السماء. ثم هذا صفة محمد عليه السلام. وقيل: صفة جبريل عليه السلام. وقيل: بظنين: بضعيف. حكاه الفراء والمبرد، يقال: رجل ظنين: أي ضعيف. وبئر ظنون: إذا كانت قليلة الماء، قال الأعشى: ما جعل الجد (٢) الظنون الذي* جنب صوب اللجب الماطر مثل الفراتي إذا ما طما* يقذف بالبوصي والماهر والظنون: الدين الذي لا يدري أيقضيه أخذه أم لا؟ ومنه حديث علي عليه السلام في الرجل

يكون له الدين الظنون، قال: يزكيه لما مضى إذا قبضه إن كان صادقاً. والظنون: الرجل السئ الخلق، فهو لفظ مشترك. (وما هو) يعني القرآن (بقول شيطان رجيم) أي مرجوم ملعون، كما قالت قريش. قال عطاء: يريد بالشيطان الأبيض الذي كان

(١) راجع ج ١٧ ص ٩٤ وقول ابن مسعود هناك هو: أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى جبريل والذي قال

بأنه رأى ربه هو ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) الجد: البئر تكون في موضع كثير الكأ. الفراتي: المنسوب إلى الفرات. والبوصي: ضرب من سفن البحر والملاح أيضا. والماهر: السابح.

يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة جبريل يريد أن يفتنه. (فأين تذهبون) قال قتادة: فإلى أين تعدلون عن هذا القول وعن طاعته. كذا روى معمر عن قتادة، أي أين تذهبون عن كتابي وطاعتي. وقال الزجاج: فأى طريقة تسلكون أبين من هذه الطريقة التي بينت لكم. ويقال: أين تذهب؟ وإلى أين تذهب؟ وحكى الفراء عن العرب: ذهبت الشام وخرجت العراق وانطلقت السوق: أي إليها. قال: سمعناه في هذه الأحرف الثلاثة،

وأنشدني بعض بني عقيل:

تصيح بنا حنيفة إذ رأتنا* وأي الأرض تذهب بالصياح
يريد إلى أي أرض تذهب، فحذف إلى. وقال الجنيدي: معنى الآية مقرون بآية أخرى،

وهي

قوله تعالى: " وإن من شيء إلا عندنا خزائنه " [الحجر: ٢١] المعنى: أي طريق تسلكون أبين من الطريق

الذي بينه الله لكم. وهذا معنى قول الزجاج. (إن هو) يعني القرآن (إلا ذكر للعالمين) أي موعظة وزجر. و " إن " بمعنى " ما ". وقيل: ما محمد إلا ذكر. (لمن شاء منكم أن يستقيم)

أي يتبع الحق ويقيم عليه. وقال أبو هريرة وسليمان بن موسى: لما نزلت " لمن شاء منكم أن

يستقيم " قال أبو جهل: الامر إلينا، إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم - وهذا هو القدر،

وهو رأس القدرية - فنزلت: " وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين "، فبين بهذا أنه

لا يعمل العبد خيرا إلا بتوفيق الله، ولا شرا إلا بخذلانه. وقال الحسن: والله ما شاءت العرب

الاسلام حتى شاء الله لها. وقال وهب بن منبه: قرأت في سبعة (١) وثمانين كتابا مما أنزل الله على

الأنبياء: من جعل إلى نفسه شيئا من المشيئة فقد كفر. وفي التنزيل: " ولو أننا نزلنا إليهم

الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله " [الانعام: ١١١]. وقال

تعالى: " وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله " [يونس: ١٠٠]. وقال تعالى: " إنك لا تهدي من أحببت

ولكن الله يهدي من يشاء " [القصص: ٥٦] والآي في هذا كثير، وكذلك الاخبار، وأن الله سبحانه هدى

بالاسلام، وأضل بالكفر، كما تقدم في غير موضع. ختمت السورة والحمد لله.

(١) في تفسير الثعلبي: بضعة وثمانين.

سورة الانفطار

مكية عند الجميع وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: إذا السماء انفطرت (١) وإذا الكواكب

انتثرت (٢) وإذا البحار فجرت (٣) وإذا القبور بعثرت (٤)

علمت نفس ما قدمت وأخرت (٥)

قوله تعالى: (إذا السماء انفطرت) أي تشققت بأمر الله، لنزول الملائكة، كقوله:

" ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا " [الفرقان: ٢٥]. وقيل: تفتتت

لهيبة الله تعالى.

والفطر: الشق، يقال: فطرته فانفطر، ومنه فطر ناب البعير: طلع، فهو بعير فاطر، وتفتتت

الشيء: شقق، وسيف فطار أي فيه شقوق، قال عنترة:

وسيفي كالعقيقة وهو كمعي* سلاحي لا أفل ولا فطارا (١)

وقد تقدم في غير موضع (٢). (وإذا الكواكب انتثرت) أي تساقطت، نثرت الشيء أنثره

نثرا، فانتثر، والاسم النثار. والناثر بالضم: ما تناثر من الشيء، ودر منثر، شدد للكثرة.

(وإذا

البحار فجرت) أي فجر بعضها في بعض، فصارت بحرا واحدا، على ما تقدم. قال

الحسن:

فجرت: ذهب ماؤها وييست، وذلك أنها أولا راكدة مجتمعة، فإذا فجرت تفرقت،

فذهب

ماؤها. وهذه الأشياء بين يدي الساعة، على ما تقدم في " إذا الشمس كورت "

[التكوير: ١]. (إذا

القبور بعثرت) أي قلبت وأخرج ما فيها من أهلها أحياء، يقال: بعثرت المتاع: قلبته

ظهرا

لبطن، وبعثرت الحوض وبعثرت: إذا هدمته وجعلت أسفله أعلاه. وقال قوم منهم

الفراء:

" بعثرت ": أخرجت ما في بطنها من الذهب والفضة. وذلك من أشرط الساعة: أن

تخرج الأرض

(١) العقيقة: شعاع البرق الذي بيد وكالسيف. والكمع: الضجيع.

(٢) راجع ج ١٦ ص ٤

ذهبها وفضتها. " علمت نفس ما قدمت وأخرت " مثل: " ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر " [القيامة: ١٣]. وتقدم. وهذا جواب " إذا السماء انفطرت " لأنه قسم في قول الحسن وقع على

قوله تعالى: " علمت نفس " يقول: إذا بدت هذه الأمور من أشراط الساعة ختمت الأعمال فعلمت كل نفس ما كسبت، فإنها لا ينفعها عمل بعد ذلك. وقيل: أي إذا كانت هذه الأشياء قامت القيامة، فحوسبت كل نفس بما عملت، وأوتيت كتابها بيمينها

أو بشمالها، فتذكرت عند قراءته جميع أعمالها. وقيل: هو خبر، وليس بقسم، وهو الصحيح

إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم (٦) الذي خلقتك فسواك فعدلك (٧) في أي صورة ما شاء ركبك (٨) كلا بل تكذبون بالدين (٩)

قوله تعالى: يا أيها الانسان) خاطب بهذا منكري البعث. وقال ابن عباس: الانسان هنا: الوليد بن المغيرة. وقال عكرمة: أبي بن خلف. وقيل: نزلت في أبي الأشد بن كلدة

الجمحي. عن ابن عباس أيضا: (ما غرك بربك الكريم) أي ما الذي غرك حتى كفرت؟ " بربك الكريم " أي المتجاوز عنك. قال قتادة: غرة شيطانه المسلط عليه. الحسن: غره شيطانه الخبيث. وقيل: حمقه وجهله. رواه الحسن عن عمر رضي الله عنه. وروى غالب الحنفي قال: لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم " يا أيها الانسان ما غرك بربك

الكريم " [الانفطار: ٦] قال: " غره الجهل " وقال صالح بن مسمار: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قرأ " يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم "؟ فقال: " غره جهله ". وقال عمر رضي الله عنه: كما قال الله تعالى " إنه كان ظلوما جهولا " [الأحزاب: ٧٢]. وقيل: غره عفو الله، إذ لم

يعاقبه في أول مرة. قال إبراهيم بن الأشعث: قيل: للفضيل بن عياض: لو أقامك الله تعالى

يوم القيامة بين يديه، فقال لك: " ما غرك بربك الكريم ؟" [الانفطار: ٦] ماذا كنت تقول؟ قال:

كنت أقول غرني ستورك المرخاة، لان الكريم هو الستار. نظمه ابن السماك فقال:
يا كاتم الذنب أما تستحي * والله في الخلوة ثانيكا
غرك من ربك إمهاله * وستره طول مساويكا
وقال ذو النون المصري: كم من مغرور تحت الستر وهو لا يشعر.
وأنشد أبو بكر بن طاهر الأبهري:

يامن غلا في العجب والتهيه * وغره طول تماديه
أملى لك الله فبارزته * ولم تخف غب معاصيه
وروى عن علي رضي الله عنه أنه صاح بغلام له مرات فلم يلبه فنظر فإذا هو بالباب،
فقال:

مالك لم تجبني؟ فقال. لثقتي بحلمك، وأمني من عقوبتك. فاستحسن جوابه فأعتقه.
وناس

يقولون: ما غرك: ما خدعك وسول لك، حتى أضعت ما وجب عليك؟ وقال ابن
مسعود:

ما منكم من أحد إلا وسيخلو الله به يوم القيامة، فيقول له: يا ابن آدم ماذا غرك بي؟ يا
ابن آدم

ماذا عملت فيما علمت؟ يا ابن آدم ماذا أجبتم المرسلين؟ (الذي خلقك) أي قدر
خلقك من نطفة

(فسواك) في بطن أمك، وجعل لك يدين ورجلين وعينين وسائر أعضائك (فعدلك) أي
جعلك

معتدلا سوى الخلق، كما يقال: هذا شئ معدل. وهذه قراءة العامة وهي اختيار أبي
عبيد

وأبي حاتم، قال الفراء: وأبو عبيد: يدل عليه قوله تعالى: " لقد خلقنا الانسان في
أحسن

تقويم " [التين: ٤]. وقرأ الكوفيون: عاصم وحمزة والكسائي: " فعدلك " مخففا أي:
أمالك وصرفك

إلى أي صورة شاء، إما حسنا وإما قبيحا، وإما طويلا وإما قصيرا. وقال [موسى بن علي
ابن أبي رباح اللخمي عن أبيه عن جده] (١) قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم " إن
النطفة

(١) الزيادة من تفسير الثعلبي والطبري والدر المنثور. والحديث كما رواه الثعلبي بعد السند: قال قال رسول
الله

صلى الله عليه وسلم لجدده (ما ولد لك)؟ قال: يا رسول الله وما عسى أن يولد لي إما غلاماً أو جارية. قال
(فمن يشبهه)
قال: فمن يشبه أمه أو أباه فقال النبي صلى الله عليه وسلم. (لا تقل هكذا إن النطفة... الحديث).

إذا استقرت في الرحم أحضرها الله كل نسب بينها وبين آدم ". أما قرأت هذه الآية (في أي

صورة ما شاء ركبك): (فيما بينك وبين آدم)، [وقال عكرمة وأبو صالح: " في أي صورة ما شاء ركبك "]: إن شاء في صورة إنسان، وإن شاء في صورة حمار، وإن شاء في صورة قرد، وإن شاء في صورة خنزير. وقال مكحول: إن شاء ذكرا، وإن شاء أنثى.

قال مجاهد: " في أي صورة " أي في أي شبه من أب أو أم أو عم أو خال أو غيرهم. و " في " متعلقة ب " - كبك "، ولا تتعلق ب " - عدلك "، على قراءة من خفف، لأنك تقول

عدلت إلى كذا، ولا تقول عدلت في كذا، ولذلك منع الفراء التخفيف، لأنه قدر " في "

متعلقة ب " - عدلك "، و " ما " يجوز أن تكون صلة مؤكدة، أي في أي صورة شاء ركبك.

ويجوز أن تكون شرطية أي إن شاء ركبك في غير صورة الانسان من صورة قرد أو حمار

أو خنزير، ف " - ما " بمعنى الشرط والجزاء، أي في صورة ما شاء يركبك ركبك. قوله تعالى: (كلا بل تكذبون بالدين) يجوز أن تكون " كلا " بمعنى حقا و " ألا " فيبتدأ بها. ويجوز أن تكون بمعنى " لا "، على أن يكون المعنى ليس الامر كما تقولون من أنكم

في عبادتكم غير الله محقون. يدل على ذلك قوله تعالى: " ما غرك بربك الكريم " [الانفطار: ٦] وكذلك

يقول الفراء: يصير المعنى: ليس كما غرت به. وقيل: أي ليس الامر كما تقولون، من أنه

لا بعث. وقيل: هو بمعنى الردع والزجر. أي لا تغتروا بحلم الله وكرمه، فتركوا التفكير في آياته.

ابن الأنباري: الوقف الجيد على " الدين "، وعلى " ركبك "، والوقف على " كلا " قبيح.

" بل تكذبون " يا أهل مكة " بالدين " أي بالحساب، و " بل " لنفي شيء تقدم وتحقيق غيره. وإنكارهم للبعث كان معلوما، وإن لم يجر له ذكر في هذه السورة.

قوله تعالى: وإن عليكم لحافظين (١٠) كراما كاتبين (١١) يعلمون ما تفعلون (١٢)

قوله تعالى: (وإن عليكم لحافظين) أي رقباء من الملائكة (كراما) أي علي، كقوله: " كرام بررة " [عبس: ١٦]. وهنا ثلاث مسائل:



(۲۴۷)

الأولى - روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند حدى حالتين: الخراءة (١) أو الجماع، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بحجرم

[حائط] (٢) أو بغيره، أو ليستره أخوه). وروى عن علي رضي الله عنه قال: (لا يزال الملك موليا عن العبد ما دام بادي العورة) وروى (إن العبد إذا دخل الحمام بغير مئزر لعنه ملكاه).

الثانية - وأختلف الناس في الكفار هل عليهم حفظة أم لا؟ فقال بعضهم: لا، لأن أمرهم ظاهر، وعملهم واحد، قال الله تعالى: " يعرف المجرمون بسيماهم [الرحمن: ٤١]. وقيل:

بل عليهم حفظة، لقوله تعالى: " كلا بل تكذبون بالدين. وإن عليكم لحافظين. كراما كاتبين. يعلمون ما تفعلون " [الانفطار: ٩ - ١٢]. وقال: " وأما من أوتي كتابه بشماله " [الحاقة: ٢٥] وقال: " وأما من أوتي كتابه وراء ظهره " [الانشقاق: ١٠]، فأخبر أن الكفار يكون لهم كتاب، ويكون عليهم حفظة.

فإن قيل: الذي على يمينه أي شئ يكتب ولا حسنة له؟ قيل له: الذي يكتب عن شماله يكون بإذن صاحبه، ويكون شاهدا على ذلك وإن لم يكتب. والله أعلم.

الثالثة - سئل سفيان: كيف تعلم الملائكة أن العبد قد هم بحسنة أو سيئة؟ قال: إذا هم العبد بحسنة وجدوا منه ريح المسك، وإذا هم بسيئة وجدوا منه ريح التن. وقد مضى في " ق " (٣) عند قوله: " ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد " [ق: ١٨] زيادة بيان لمعنى

هذه الآية. وقد كره العلماء الكلام عند الغائط والجماع، لمفارقة الملك العبد عند ذلك. وقد

مضى في آخر " آل عمران " (٤) القول في هذا. وعن الحسن: يعلمون لا يخفى عليهم شئ من أعمالكم. وقيل: يعلمون ما ظهر منكم دون ما حدثتم به أنفسكم. والله أعلم.

(١) في ا، ب ح، ط، ل: الخزاية ورواية روح المعاني (ح ٩ ص ٣١٧): لا يفارقونكم إلا عند إحدى الغائط والجنابة والغسل.

(٢) الزيادة من الدر المنثور وفيه. سبب ورود الحديث أنه عليه السلام رأى رجلا يغتسل بفلاة من الأرض..... الخ.

(٣) راجع ج ١٧ ص ١١.

(٤) راجع ٤ ص ٣١٠ فما بعدها.

(٢٤٨)

قوله تعالى: إن الأبرار لفي نعيم (١٣) وإن الفجار لفي جحيم (١٤) يصلونها يوم الدين (١٥) وما هم عنها بغائبين (١٦) وما أدراك ما يوم الدين (١٧) ثم ما أدراك ما يوم الدين (١٨) يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله (١٩) قوله تعالى: (إن الأبرار لفي نعيم. وإن الفجار لفي جحيم) تقسيم مثل قوله: "فريق في الجنة وفريق في السعير" [الشورى: ٧] وقال: "يومئذ يصدعون. فاما الذين آمنوا" [الروم: ٤٣] الآيتين.

(يصلونها) أي يصيبهم لهبها وحرها (يوم الدين) أي يوم الجزاء والحساب، وكرر ذكره تعظيما لشأنه، نحو قوله تعالى: "القارعة ما القارعة؟ وما أدراك ما القارعة" [القارعة: ١ - ٣] وقال ابن عباس

فيما روى عنه: كل شيء من القرآن من قوله: "وما أدراك؟ فقد أدراه. وكل شيء من قوله "وما يدريك" فقد طوي عنه. (يوم لا تملك نفس) قرأ ابن كثير وأبو عمرو "يوم" بالرفع على البدل من "يوم الدين" أو ردا على اليوم الأول، فيكون صفة ونعتا لـ "يوم الدين". ويجوز أن يرفع بإضمار هو. الباقي بالنصب على أنه في موضع رفع

إلا أنه، نصب، لأنه مضاف غير متمكن، كما تقول: أعجبنى يوم يقوم زيد. وأنشد المبرد:

من أي يومي من الموت أفر * أيوم لم يقدر أم يوم قدر
فاليومان الثانيان مخفوضان بالإضافة، عن الترجمة عن اليومين الأولين، إلا أنهما نصبا في اللفظ، لأنهما أضيفا إلى غير محض. وهذا اختيار الفراء والزجاج. وقال قوم: اليوم الثاني منصوب على المحل، كأنه قال في يوم لا تملك نفس لنفس شيئا. وقيل: بمعنى: إن هذه

الأشياء تكون يوم، أو على معنى يدانون يوم، لان الدين يدل عليه، أو بإضمار أذكر. (والامر يومئذ لله) لا ينازعه فيه أحد، كما قال: "لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار. اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم" [غافر: ١٦ - ١٧]. تمت السورة والحمد لله.

سورة المطففين

مكية في قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل. ومدنية في قول

الحسن وعكرمة. وهي ست وثلاثون آية

قال مقاتل: وهي أول سورة نزلت بالمدينة. وقال ابن عباس وقتادة: مدنية إلا ثمان آيات من قوله: " إن الذين أجمعوا " إلى آخرها، مكى. وقال الكلبي وجابر بن زيد: نزلت بين مكة والمدينة.

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ويل للمطففين (١) الذين إذا اکتالوا على الناس

يستوفون (٢) وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون (٣)

فيه أربع مسائل:

الأولى - روى النسائي عن ابن عباس قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا، فأنزل الله تعالى: " ويل للمطففين " فأحسنوا الكيل بعد ذلك.

قال الفراء: فهم من أوفى الناس كيلا إلى يومهم هذا. وعن ابن عباس أيضا قال: هي: أول

سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة نزل المدينة، وكان هذا فيهم، كانوا إذا

اشتروا استوفوا بكيل راجح، فإذا باعوا بخسوا المكيال والميزان، فلما نزلت هذه السورة انتهوا،

فهم أوفى الناس كيلا إلى يومهم هذا. وقال قوم: نزلت في رجل يعرف بأبي جهينة، واسمه

عمرو، كان له صاعان يأخذ بأحدهما، ويعطي بالآخر، قال أبو هريرة رضي الله عنه.

الثانية - قوله تعالى: " ويل " أي شدة عذاب في الآخرة. وقال ابن عباس:

إنه واد في جهنم يسيل فيه صديد أهل النار، فهو قوله تعالى: " ويل للمطففين " أي الذين

ينقصون مكاييلهم وموازينهم. وروى عن ابن عمر قال: المطفف: الرجل يستأجر المكيال

وهو يعلم أنه يحيف في كيله فوزره عليه. وقال آخرون: التطفيف في الكيل والوزن والوضوء والصلاة والحديث. وفي الموطأ قال مالك: ويقال لكل شيء وفاء وتطفيف. وروى عن سالم ابن أبي الجعد قال: الصلاة بمكيال، فمن أوفى له ومن طفف فقد علمتم ما قال الله عز وجل في ذلك: "ويل للمطففين".

الثالثة - قال أهل اللغة: المطفف مأخوذ من الطفيف، وهو القليل، والمطفف هو المقل حق صاحبه بنقصانه عن الحق، في كيل أو وزن. وقال الزجاج: إنما قيل للفاعل من هذا مطفف، لأنه لا يكاد يسرق من المكيال والميزان إلا الشيء الطفيف الخفيف، وإنما أخذ من طف الشيء وهو جانبه. وطفاف المكوك وطفافه بالكسر والفتح: ما ملا أصباره،

وكذلك طف المكوك وطففه، وفي الحديث: (كلكم بنو آدم طف الصاع لم تملئوه). وهو أن يقرب أن يمتلئ فلا يفعل، والمعنى بعضكم من بعض قريب، فليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى. والطفاف والطفافة بالضم: ما فوق المكيال. وإناء طفاف: إذا بلغ الملء

طفافه، تقول منه: أطففت. والتطفيف: نقص المكيال وهو ألا تملأه إلى أصباره، أي جوانبه، يقال: أدهقت الكأس إلى أصبارها أي إلى رأسها. وقول ابن عمر حين ذكر النبي صلى الله عليه وسلم سبق الخيل: كنت فارساً يومئذ فسبقت الناس حتى طفف بي الفرس

مسجد بني زريق، حتى كاد يساوي المسجد. يعني: وثب بي. الرابعة - المطفف: هو الذي يخسر في الكيل والوزن، ولا يوفى حسب ما بيناه، وروى ابن القاسم عن مالك: أنه قرأ "ويل للمطففين" فقال: لا تطفف ولا تخلب (١)، ولكن

أرسل وصب عليه صبا، حتى إذا استوفى (٢) أرسل يدك ولا تمسك. وقال عبد الملك بن الماجشون:

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسح الطفاف، وقال: إن البركة في رأسه. قال:

وبلغني أن كيل فرعون كان مسحاً بالحديد.

(١) كذا في الأصول: أي لا تغش وفي ابن العربي (ولا تجلب).
(٢) في ا، ح، ز، ط، ل، وابن العربي: (استوى).

قوله تعالى: (الذين إذا اکتالوا على الناس يستوفون) قال الفراء: أي من الناس يقال: اکتلت منك: أي استوفيت منك ويقال اکتلت ما عليك: أي أخذت ما عليك. وقال الزجاج: أي إذا اکتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل، والمعنى: الذين إذا استوفوا

أخذوا الزيادة، وإذا أوفوا أو وزنوا لغيرهم نقصوا، فلا يرضون للناس ما يرضون لأنفسهم.

الطبري: "على" بمعنى عند.

قوله تعالى: (وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) فيه مسألتان:

الأولى - قوله تعالى: "وإذا كالوهم أو وزنوهم": أي كالوا لهم أو وزنوا لهم فحذفت اللام، فتعدى الفعل فنصب، ومثله نصحتك ونصحت لك، وأمرتك به وأمرتكه، قاله الأخفش والفراء. قال الفراء: وسمعت أعرابية تقول إذا صدر الناس أتينا التاجر فيكيلنا المد والمدين إلى الموسم المقبل. وهو من كلام أهل الحجاز ومن جاورهم من قيس. قال

الزجاج: لا يجوز الوقف على "كالوا" و"وزنوا"؟ حتى تصل به "هم" قال: ومن الناس من يجعلها توكيدا، ويجيز الوقف على "كالوا" و"وزنوا" والأول الاختيار، لأنها حرف واحد. هو قول الكسائي. قال أبو عبيد: وكان عيسى بن عمر يجعلها حرفين،

ويقف على "كالوا" و"وزنوا" ويبتدئ "هم يجسرون" قال: وأحسب قراءة حمزة كذلك أيضا. قال أبو عبيد: والاختيار أن يكونا كلمة واحدة من جهتين: إحداهما: الخط،

وذلك أنهم كتبوهما بغير ألف، ولو كانتا مقطوعتين لكانتا "كالوا" و"وزنوا" بالألف،

والأخرى: أنه يقال: كلتك ووزنتك بمعنى كلت لك، ووزنت لك، وهو كلام عربي، كما يقال:

صدتك وصدت لك، وكسبتك وكسبت لك، وكذلك شكرتك ونصحتك ونحو ذلك. قوله:

"يخسرون": أي ينقصون، والعرب تقول: أخسرت الميزان وخسرته. و(هم) في موضع

نصب، على قراءة العامة، راجع إلى الناس، تقديره (وإذا كالوا) الناس (أو وزنوهم يخسرون)

وفيه وجهان: أحدهما أن يراد كالوا لهم أو وزنوا لهم، فحذف الجار، وأوصل الفعل، كما قال:

ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا* ولقد نهيتك عن بنات الأوبر

(٢٥٢)

أراد: جنيت لك، والوجه الآخر: أن يكون على حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه، والمضاف هو المكيال والموزون. وعن ابن عباس رضي الله عنه: إنكم معاشر الأعاجم وليتم أمرين بهما هلك من كان قبلكم: المكيال والميزان. وخص الأعاجم، لأنهم كانوا يجمعون الكيل والوزن جميعا، وكانا مفرقين في الحرمين، كان أهل مكة يزنون، وأهل المدينة يكيلون. وعلى القراءة الثانية "هم" في موضع رفع بالابتداء، أي وإذا كالوا للناس أو وزنوا لهم فهم يخسرون. ولا يصح، لأنه تكون الأولى ملغاة، ليس لها خبر، وإنما كانت تستقيم لو كان بعدها: وإذا كالوا هم ينقصون، أو وزنوا هم يخسرون.

الثانية - قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم: (خمس بخمس: ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، ولا حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت الفاحشة فيهم إلا ظهر فيهم الطاعون، وما طففوا الكيل إلا منعوا النبات، وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس الله عنهم المطر) خرج أبو بكر البزار بمعناه، ومالك بن أنس أيضا من حديث ابن عمر. وقد ذكرناه في كتاب التذكرة. وقال مالك بن دينار: دخلت على جار لي قد نزل به الموت، فجعل يقول: جبلين من نار! جبلين من نار! فقلت: ما تقول؟ أتهجر؟ (١)

قال: يا أبا يحيى، كان لي مكيالان، أكيل بأحدهما، وأكتال بالآخر ففقت فجعلت أضرب أحدهما بالآخر حتى كسرتها فقال: يا أبا يحيى، كلما ضربت أحدهما بالآخر ازداد عظما، فمات من وجعه. وقال عكرمة: أشهد على كل كيال أو وزان أنه في النار. قيل له: فإن ابنك كيال أو وزان. فقال: أشهد أنه في النار. قال الأصمعي: وسمعت أعرابية تقول: لا تلمس المروءة ممن مروءته في رؤوس المكاييل، ولا ألسنة الموازين. وروى ذلك عن علي رضي الله عنه، وقال عبد خير: مر علي رضي الله عنه على رجل وهو يزن الزعفران وقد أرجح، فأكفأ الميزان، ثم قال: أقم الوزن بالقسط، ثم أرجح بعد ذلك ما شئت. كأنه أمره بالتسوية أولا

ليعتادها،
ويفضل الواجب من النفل. وقال نافع: كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول: أتق الله وأوف
الكيل

(١) هجر في نومه ومرضه يهجر هجرا: هذى.

والوزن بالقسط، فإن المطففين يوم القيامة يوقفون حتى إن العرق ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم. وقد روى أن أبا هريرة قدم المدينة وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى خيبر

واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة، فقال أبو هريرة: فوجدناه في صلاة الصبح فقرأ

في الركعة الأولى " كهيعص " وقرأ في الركعة الثانية " ويل للمطففين " قال أبو هريرة: فأقول في صلاتي: ويل لأبي فلان، كان له مكيالان إذا اکتال بالوافي، وإذا كال كال بالناقص.

قوله تعالى: ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون (٤) ليوم عظيم (٥)

يوم يقوم الناس لرب العالمين (٦)

قوله تعالى: (ألا يظن أولئك) إنكار وتعجيب عظيم من حالهم، في الاجتراء على التطفيف، كأنهم لا يخطررون التطفيف ببالهم، ولا يخمنون تخميناً (إنهم مبعوثون) فمسؤولون

عما يفعلون. والظن هنا بمعنى اليقين، أي ألا يوقن أولئك، ولو أيقنوا ما نقصوا في الكيل

والوزن. وقيل: الظن بمعنى التردد، أي إن كانوا لا يستيقنون بالبعث، فهلا ظنوه، حتى يتدبروا ويبحثوا عنه، ويأخذوا بالأحوط (ليوم عظيم) شأنه وهو يوم القيامة.

قوله تعالى: (يوم يقوم الناس لرب العالمين) فيه أربع مسائل:

الأولى: العامل في " يوم " فعل مضمر، دل عليه " مبعوثون ". والمعنى يبعثون " يوم يقوم الناس لرب العالمين ". ويجوز أن يكون بدلا من يوم في " ليوم عظيم "، وهو مبني. وقيل: هو في موضع خفض، لأنه أضيف إلى غير متمكن. وقيل: هو منصب

على الظرف أي في يوم، ويقال: أقم إلى يوم يخرج فلان، فتنصب يوم، فإن أضافوا إلى الاسم فحينئذ يخفضون ويقولون: أقم إلى يوم خروج فلان. وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، التقدير: إنهم مبعوثون يوم يقوم الناس لرب العالمين ليوم عظيم.

الثانية - وعن عبد الملك بن مروان: أن أعرابيا قال له: قد سمعت ما قال الله تعالى في المطففين، أراد بذلك أن المطففين قد توجه عليهم هذا الوعيد العظيم الذي سمعت به،

فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن. وفي هذا الإنكار والتعجب وكلمة الظن، ووصف اليوم بالعظيم، وقيام الناس فيه لله خاضعين، ووصف ذاته برب العالمين، بيان بليغ لعظم الذنب، وتفاقم الاثم في التطفيف، وفيما كان في مثل حاله من الحيف، وترك القيام بالقسط، والعمل على التسوية والعدل، في كل أخذ وإعطاء، بل في كل قول وعمل.

الثالثة - قرأ ابن عمر: " ويل للمطففين " حتى بلغ " يوم يقوم الناس لرب العالمين " فبكى حتى سقط، وامتنع من قراءة ما بعده، ثم قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول

(يوم يقوم الناس لرب العالمين، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، فمنهم من يبلغ العرق كعبيه، ومنهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم من يبلغ حقويه، ومنهم من يبلغ صدره، ومنهم من يبلغ

أذنيه، حتى إن أحدهم ليغيب في رشحه كما يغيب الضفدع) (١). وروى ناس عن ابن عباس

قال: يقومون مقدار ثلاثمائة سنة. قال: ويهون على المؤمنين قدر صلاتهم الفريضة. وروى عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يقومون ألف عام في الظلة).

وروى مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى إن أحدهم ليقوم في رشحه إلى أنصاف أذنيه). وعنه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم: (يقوم مائة سنة). وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم

لبشير الغفاري: (كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس فيه مقدار ثلاثمائة سنة لرب العالمين، لا يأتيهم فيه خبر، ولا يؤمر فيه بأمر) قال بشير: المستعان لله.

قلت: قد ذكرناه مرفوعا من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إنه ليخفف عن المؤمن، حتى يكون أخف عليه من صلاة المكتوبة يصلحها في الدنيا) في " سأل سائل " (٢) [المعارج: ١]. وعن ابن عباس: يهون على المؤمنين قدر صلاتهم الفريضة. وقيل:

(١) أي في الماء.
(٢) راجع ج ١٨ ص ٢٨٢.

إن ذلك المقام على المؤمن كزوال الشمس، والدليل على هذا من الكتاب قوله الحق: " ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون " [يونس: ٦٢] ثم وصفهم فقال: " الذين آمنوا وكانوا يتقون " [يونس: ٦٣] جعلنا الله منهم بفضله وكرمه وجوده. ومنه أمين. وقيل: المراد بالناس جبريل عليه السلام يقوم لرب العالمين، قاله ابن جبير وفيه بعد، لما ذكرنا من الاخبار في ذلك، وهي صحيحة ثابتة، وحسبك بما في صحيح مسلم والبخاري والترمذي من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم " يوم يقوم الناس لرب الله العالمين " قال: (يقوم أحدهم في رشحه إلى نصف أذنيه). ثم قيل: هذا القيام يوم يقومون من قبورهم. وقيل: في الآخرة بحقوق عباده في الدنيا. وقال يزيد الرشك: يقومون بين يديه للقضاء. الرابعة - القيام لله رب العالمين سبحانه حقير بالإضافة إلى عظمته وحقه، فأما قيام الناس بعضهم لبعض فاختلف فيه الناس، فمنهم من أجازته، ومنهم من منعه. وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قام إلى جعفر بن أبي طالب واعتنقه، وقام طلحة لكعب بن مالك يوم تيب عليه. وقول النبي صلى الله عليه وسلم للأَنْصار حين طلع عليه سعد بن معاذ: (قوموا إلى سيدكم). وقال أيضا: (من سره أن يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار). وذلك يرجع إلى حال الرجل ونيته، فإن أنتظر ذلك وأعتقده لنفسه، فهو ممنوع، وإن كان على طريق البشاشة والوصلة فإنه جائز، وخاصة عند الأسباب، كالقدوم من السفر ونحوه.

وقد مضى في آخر سورة " يوسف " (١) شئ من هذا. قوله تعالى: كلا إن كتاب الفجار لفي سجين (٧) وما أدراك ما سجين (٨) كتاب مرقوم (٩) ويل يومئذ للمكذبين (١٠) الذين يكذبون بيوم الدين (١١) وما يكذب به إلا كل معتد أثيم (١٢) إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين (١٣)

(١) راجع ج ٩ ص ٢٦٥ فما بعدها.

(٢٥٦)

قوله تعالى: (كلا إن كتاب الفجار لفي سجين) قال قوم من أهل العلم بالعربية: " كلا " ردع وتنبيه، أي ليس الأمر على ما هم عليه من تطفيف الكيل والميزان، أو تكذيب

بالآخرة، فليتردعوا عن ذلك. فهي كلمة ردع وزجر، ثم استأنف فقال: " إن كتاب الفجار " .

وقال الحسن: " كلا " بمعنى حقا. وروى ناس عن ابن عباس " كلا " قال: ألا تصدقون، فعلى هذا: الوقف " لرب العالمين. وفي تفسير مقاتل: إن أعمال الفجار. وروى ناس عن ابن عباس قال: إن أرواح الفجار وأعمالهم " لفي سجين " . وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: سجين صخرة تحت الأرض السابعة، تقلب فيجعل

كتاب الفجار تحتها. ونحوه عن ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير ومقاتل وكعب، قال كعب: تحتها أرواح الكفار تحت خد إبليس. وعن كعب أيضا قال: سجين صخرة سوداء تحت الأرض السابعة، مكتوب فيها اسم كل شيطان، تلقى أنفاس الكفار عندها. وقال سعيد بن جبير: سجين تحت خد إبليس. يحيى بن سلام: حجر أسود تحت الأرض،

يكتب فيه أرواح الكفار. وقال عطاء الخراساني: هي الأرض السابعة السفلى، وفيها إبليس وذريته. وعن ابن عباس قال: إن الكافر يحضره الموت، وتحضره رسل الله، فلا يستطيعون لبغض الله له وبغضهم إياه، أن يؤخروه ولا يعجلوه حتى تجيء ساعته، فإذا

جاءت ساعته قبضوا نفسه، ورفعوه إلى ملائكة العذاب، فأروه ما شاء الله أن يروه من الشر، ثم هبطوا به إلى الأرض السابعة، وهي سجين، وهي آخر سلطان إبليس، فأثبتوا فيها

كتابه. وعن كعب الأحبار في هذه الآية قال: إن روح الفاجر إذا قبضت يصعد بها إلى السماء، فتأبى السماء أن تقبلها، ثم يهبط بها إلى الأرض، فتأبى الأرض أن تقبلها، فتدخل

في سبع أرضين، حتى ينتهي بها إلى سجين، وهو خد إبليس. فيخرج لها من سجين من تحت خد إبليس رق، فيرقم فيوضع تحت خد إبليس. وقال الحسن: سجين في الأرض السابعة. وقيل: هو ضرب مثل وإشارة إلى أن الله تعالى يرد أعمالهم التي ظنوا أنها تنفعهم. قال مجاهد: المعنى عملهم تحت الأرض السابعة لا يصعد منها شيء. وقال:

سجين صخرة في الأرض السابعة. وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (سجين

جب في جهنم وهو مفتوح) وقال في الفلق: (إنه جب مغطى). وقال أنس: هي دركة في الأرض السفلى. وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم: سجين أسفل الأرض السابعة).

وقال عكرمة: (سجين: خسار وضلال، كقولهم لمن سقط قدره: قد زلق بالحضيض. وقال أبو عبيدة والأخفش والزجاج: "لفي سجين" لفي حبس وضيق شديد، فعيل من السجن، كما يقول: فسيق وشريب، قال ابن مقبل:

ورفقة يضربون البيض ضاحية* ضربا تواصت به الأبطال سجيناً (١)
والمعنى: كتابهم في حبس، جعل ذلك دليلاً على خسارة منزلتهم، أو لأنه يحل من الاعراض

عنه والابعاد له محل الزجر والهوان. وقيل: أصله سجيل، فأبدلت اللام نونا. وقد تقدم ذلك. وقال زيد بن أسلم: سجين في الأرض السافلة، وسجيل في السماء الدنيا. القشيري:

سجين: موضع في السافلين، يدفن فيه كتاب هؤلاء، فلا يظهر بل يكون في ذلك الموضع

كالمسجون. وهذا دليل على خبث أعمالهم، وتحقير الله إياها، ولهذا قال في كتاب الأبرار:

"يشهده المقربون". "وما أدراك ما سجين" أي ليس ذلك مما كنت تعلمه يا محمد أنت

ولا قومك. ثم فسره له فقال: (كتاب مرقوم) أي مكتوب كالرقم في الثوب، لا ينسى ولا يمحي. وقال قتادة: مرقوم أي مكتوب، رقم لهم بشر: لا يزداد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد. وقال الضحاك: مرقوم: مختوم، بلغة حمير، وأصل الرقم: الكتابة، قال:

سأرقم في الماء القراح (٣) إليكم* على بعدكم إن كان للماء راقم
وليس في قوله: (وما أدراك ما سجين؟) ما يدل على أن لفظ سجين ليس عربياً كما لا يدل

في قوله: (القارعة ما القارعة. وما أدراك ما القارعة) بل هو تعظيم لأمر سجين. وقد مضى

في مقدمة الكتاب - والحمد لله - أنه ليس في القرآن غير عربي. (ويل يومئذ للمكذبين)

(١) الذي في التاج نقلاً عن الجوهري: * ورجلة يضربون الهام عن عرض *

(٢) راجع ج ١ ص ٦٨.

(٣) القراح بوزن سحاب: الماء الذي لا ثقل به.

(٢٥٨)

أي شدة وعذاب يوم القيامة للمكذبين. ثم بين تعالى أمرهم فقال: "الذين يكذبون بيوم الدين" أي بيوم الحساب والجزاء والفصل بين العباد. (وما يكذب به إلا كل معتد أثيم)

أي فاجر جائز عن الحق، معتد على الخلق في معاملته إياهم وعلى نفسه، وهو أثيم في ترك أمر

الله. وقيل هذا في الوليد بن المغيرة وأبي جهل ونظرائهما لقوله تعالى: (إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) وقراءة العامة "تتلى" بتاءين، وقراءة أبي حياة وأبي سماك وأشهب العقيلي والسلمي: "إذا يتلى" بالياء. وأساطير الأولين: أحاديثهم وأباطيلهم التي كتبوها

وزخرفوها. وأحدها أسطورة وإسطارة، وقد تقدم.

قوله تعالى: كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون (١٤)

كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون (١٥) ثم إنهم لصالوا

الجحيم (١٦) ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون (١٧)

قوله تعالى: (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون): "كلا": ردع وزجر، أي ليس

هو أساطير الأولين. وقال الحسن: معناها حقا "ران على قلوبهم". وقيل: في الترمذي: عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت

في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر الله وتاب، صقل قلبه، فإن عاد زيد فيها، حتى تعلقو

على قلبه)، وهو (الران) الذي ذكر الله في كتابه: "كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون".

قال: هذا حديث حسن صحيح. وكذا قال المفسرون: هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب.

قال مجاهد: هو الرجل يذنب الذنب، فيحيط الذنب بقلبه، ثم يذنب الذنب فيحيط الذنب بقلبه،

حتى تغشى الذنوب قلبه. قال مجاهد: هي مثل الآية التي في سورة البقرة: "بلى من كسب

سيئة" [البقرة: ٨١] الآية. ونحوه عن الفراء، قال: يقول كثرت المعاصي منهم والذنوب، فأحاطت

بقلوبهم، فذلك الرين عليها. وروي عن مجاهد أيضا قال: القلب مثل الكهف ورفع كفه، فإذا أذنب العبد الذنب انقبض، وضم إصبعه، فإذا أذنب الذنب انقبض، وضم

(١) راجع ج ٢ ص ١١

(٢٥٩)

أخرى، حتى ضم أصابعه كلها، حتى يطبع على قلبه. قال: وكانوا يرون أن ذلك هو الرين،
ثم قرأ: " كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ". ومثله عن حذيفة رضي الله عنه
سواء. وقال بكر بن عبد الله: إن العبد إذا أذنب صار في قلبه كوخزة الإبرة، ثم صار
إذا أذنب
ثانيا صار كذلك، ثم إذا كثرت الذنوب صار القلب كالمنخل، أو كالغربال، لا يعي
خيرا،
ولا يثبت فيه صلاح. وقد بينا في " البقرة " (١) القول في هذا المعنى بالاخبار الثابتة
عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم، فلا معنى لإعادتها. وقد روى عبد الغني بن سعيد عن موسى
ابن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، وعن موسى عن مقاتل عن
الضحاك
عن ابن عباس شيئا الله أعلم بصحته، قال: هو الران الذي يكون على الفخذين والساق
والقدم، وهو الذي يلبس في الحرب. قال: وقال آخرون: الران: الخاطر الذي يخطر
بقلب
الرجل. وهذا مما لا يضمن عهدة صحته. فالله أعلم. فأما عامة أهل التفسير فعلى ما قد
مضى
ذكره قبل هذا. وكذلك أهل اللغة عليه، يقال: ران على قلبه ذنبه يرين رينا وريونا أي
غلب. قال أبو عبيدة في قوله: " كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون " أي غلب،
وقال أبو عبيد: كل ما غلبك [وعلاك] (٢) فقد ران بك، ورانك، وران عليك، وقال
الشاعر:
وكم ران من ذنب على قلب فاجر * فتاب من الذنب الذي ران وانجلى
ورانت الخمر على عقله: أي غلبته، وران عليه النعاس: إذا غطاه، ومنه قول عمر في
الأسيف -
أسيف جهينة -: فأصبح قد رين به (٣). أي غلبته الديون، وكان يدان، ومنه قول
أبي زبيد يصف رجلا شرب حتى غلبه الشراب سكرًا، فقال:
ثم لما رآه رانت به الخمر * وأن لا ترينه باتقاء (٤)
فقول: رانت به الخمر، أي غلبت على عقله وقلبه. وقال الأموي: قد أران القوم فهم
مريون:
إذا هلكت مواشيهم وهزلت. وهذا من الامر الذي أتاهم مما يغلبهم، فلا يستطيعون
احتماله.
قال أبو زيد يقال: قد رين بالرجل رينا: إذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه، ولا قبل له

-
- (١) راجع ج ١ ص ١٨٨ فما بعدها.
- (٢) [وعلاك]: زيادة من (اللسان: ران) تميما لكلام أبي عبيد.
- (٣) في النهاية لابن الأثير: أي أحاط الدين بماله.
- (٤) البيت في (اللسان: ران) منسوباً لأبي زيد
يصف سكرانا غلبت عليه الخمر.

وقال. أبو معاذ النحوي: الرين: أن يسود القلب من الذنوب، والطبع أن يطبع على القلب، وهذا أشد من الرين، والاقفال أشد من الطبع. الزجاج: الرين: هو كالصدأ يغشى القلب كالغيم الرقيق، ومثله الغين، يقال: غين على قلبه: غطى. والغين: شجر ملتف،

الواحدة غيناء، أي خضراء، كثيره الورق، ملتفة الأغصان. وقد تقدم قول الفراء أنه إحاطة الذنب بالقلوب. وذكر الثعلبي عن ابن عباس: "ران على قلوبهم": أي غطى عليها.

وهذا هو الصحيح عنه إن شاء الله. وقرأ حمزة والكسائي والأعمش وأبو بكر والمفضل "ران" بالإمالة، لأن فاء الفعل الراء، وعينه الألف منقلبة من ياء، فحسنت الإمالة لذلك.

ومن فتح فعلى الأصل، لأن باب فاء الفعل في (فعل) الفتح، مثل كال وباع ونحوه. واختاره

أبو عبيد وأبو حاتم ووقف حفص "بل" ثم يتدئ "ران" وقفًا بين اللام، لا للسكت.

قوله تعالى: (كلا إنهم) أي حقا "إنهم" يعني الكفار (عن ربهم يومئذ) أي يوم القيامة (لمحجوبون). وقيل: "كلا" ردع وزجر، أي ليس كما يقولون، بل "إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون". قال الزجاج: في هذه الآية دليل على أن الله عز وجل يرى

في القيامة، ولولا ذلك ما كان في هذه الآية فائدة، ولا خست منزله الكفار بأنهم يحجبون. وقال

جل ثناؤه: "وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة" [القيامة: ٢٢ - ٢٣] فأعلم الله جل ثناؤه أن المؤمنين

ينظرون إليه، وأعلم أن الكفار محجوبون عنه، وقال مالك بن أنس في هذه الآية: لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه. وقال الشافعي: لما حجب قوما بالسخط، دل

على أن قوما يرونه بالرضا. ثم قال: أما والله لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا. وقال الحسين بن الفضل: لما حجبهم في الدنيا عن نور توحيده

حجبهم في الآخرة عن رؤيته. وقال مجاهد في قوله تعالى: "لمحجوبون": أي عن كرامته

ورحمته ممنوعون. وقال قتادة: هو أن الله لا ينظر إليهم برحمته، ولا يزيكهم ولهم عذاب أليم.

وعلى الأول الجمهور، وأنهم محجوبون عن رؤيته فلا يرونه. (ثم إنهم لصالو الجحيم)

أي

(١) الرين: هو الختم أي الطبع على القلب كما في (اللسان) مادة (رين).

(٢٦١)

ملازموها، ومحترفون فيها غير خارجين منها، " كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها [النساء: ٥٦] "

و " كلما خبت زدناهم سعيرا " [الاسراء: ٩٧]. ويقال: الجحيم الباب الرابع من النار. (ثم يقال) لهم

أي تقول لهم خزنة جهنم (هذا الذي كنتم به تكذبون) رسل الله في الدنيا.

قوله تعالى: كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين (١٨) وما أدراك

ما عليون (١٩) كتاب مرقوم (٢٠) يشهده المقربون (٢١)

قوله تعالى: (كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين) " كلا " بمعنى حقا، والوقف على " تكذبون ". وقيل أي ليس الامر كما يقولون ولا كما ظنوا بل كتابهم في سجين،

وكتاب

المؤمنين في عليين. وقال مقاتل: كلا، أي لا يؤمنون بالعذاب الذي يصلون به. ثم أستأنف

فقال: " إن كتاب الأبرار " مرفوع في عليين على قدر مرتبتهم. قال ابن عباس: أي في الجنة. وعنه أيضا قال: أعمالهم في كتاب الله في السماء. وقال الضحاك ومجاهد وقتادة:

يعني السماء السابعة فيها أرواح المؤمنين. وروى ابن الأجلح عن الضحاك قال: هي سدرة

المنتهى، ينتهي إليها كل شئ من أمر الله لا يعدوها، فيقولون: رب! عبدك فلان، وهو أعلم به منهم، فيأتيه كتاب من الله عز وجل مختوم بأمانه من العذاب. فذلك قوله تعالى:

" كلا إن كتاب الأبرار ". وعن كعب الأحمار قال: إن روح المؤمن إذا قبضت صعد بها إلى السماء، وفتحت لها أبواب السماء، وتلقته الملائكة بالبشرى، ثم يخرجون معها حتى

ينتھوا إلى العرش، فيخرج لهم من تحت العرش، رق فيرقم ويختتم فيه النجاة من الحساب يوم

القيامة ويشهده المقربون. وقال قتادة أيضا: " في عليين " هي فوق السماء السابعة عند قائمة العرش اليمنى. وقال البراء بن عازب قال النبي صلى الله عليه وسلم: عليون في السماء

السابعة تحت العرش). وعن ابن عباس أيضا: هو لوح من زبرجدة خضراء معلق بالعرش،

أعمالهم مكتوبة فيه. وقال الفراء: عليون ارتفاع بعد ارتفاع. وقيل: عليون أعلى الأمكنة. وقيل: معناه علو في علو مضاعف، كأنه لا غاية له، ولذلك جمع بالواو والنون.

وهو معنى قول الطبري. قال الفراء: هو اسم موضوع على صفة الجمع، ولا واحد له
من

لفظة، كقولك: عشرون وثلاثون، والعرب إذا جمعت جمعا ولم يكن له بناء من واحده ولا تشنية، قالوا في المذكر والمؤنث بالنون. وهي معنى قول الطبري. وقال الزجاج:

إعراب

هذا الاسم كإعراب الجمع، كما تقول: هذه قنسرون، ورأيت قنسرين. وقال يونس النحوي

وأحدها: علي وعلية. وقال أبو الفتح: عليين: جمع علي، وهو فعيل من العلو. وكان سبيله

أن يقول عليه كما قالوا للغرفة عليه، لأنها من العلو، فلما حذف التاء من عليه عوضوا منها الجمع بالواو والنون، كما قالوا في أرضين. وقيل: إن عليين صفة للملائكة، فإنهم الملائكة الأعلى

، كما يقال: فلان في بني فلان، أي هو في جملتهم وعندهم. والذي في الخبر من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن أهل عليين لينظرون إلى الجنة

من كذا، فإذا أشرف رجل من أهل عليين أشرفت الجنة لضيء وجهه، فيقولون: ما هذا النور؟

فيقال أشرف رجل من أهل عليين الأبرار أهل الطاعة والصدق). وفي خبر آخر: (إن أهل الجنة ليرون أهل عليين كما يرى الكوكب الدرّي في أفق السماء) يدل على أن عليين

اسم الموضع المرتفع. وروى ناس عن ابن عباس في قوله "عليين" قال: أخبر أن أعمالهم

وأرواحهم في السماء الرابعة. ثم قال: (وما أدراك ما عليون) أي ما الذي أعلمك يا محمد

أي شيء عليون؟ على جهة التفخيم والتعظيم له في المنزلة الرفيعة. ثم فسره له فقال: " كتاب

مرقوم يشهده المقربون ". وقيل: إن (كتاب مرقوم) ليس تفسيرا لعليين، بل تم الكلام عند قوله "عليون" ثم ابتداء وقال: " كتاب مرقوم " أي كتاب الأبرار كتاب مرقوم

ولهذا عكس الرقم في كتاب الفجار، قاله القشيري. وروي: أن الملائكة تصعد بعمل العبد، فيستقبلونه (١) فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله من سلطانه أوحى إليهم: إنكم

الحفظة على

عبدي، وأنا الرقيب على ما في قلبه، وإنه أخلص لي عمله، فاجعلوه في عليين، فقد غفرت له،

وإنها لتصعد بعمل العبد، فيتركونه فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله أوحى إليهم: أنتم الحفظة

على عبدي وأنا الرقيب على ما في قلبه، وإنه لم يخلص لي عمله، فاجعلوه في سجين.

(١) فيستقبلونه: كذا في ا، ب، ح، ط، ل.

قوله تعالى: (يشهده المقربون) أي يشهد عمل الأبرار مقربو كل سماء من الملائكة. وقال وهب وابن إسحاق: المقربون هنا إسرافيل عليه السلام، فإذا عمل المؤمن عمل البر،

صعدت الملائكة بالصحيفة وله نور يتلأأ في السماوات كنور الشمس في الأرض، حتى

ينتهي بها إلى إسرافيل، فيختم عليها ويكتب فهو قوله: " يشهده المقربون " أي يشهد كتابتهم.

قوله تعالى: إن الأبرار لفي نعيم (٢٢) على الأرائك ينظرون (٢٣)

تعرف في وجوههم نضرة النعيم (٢٤) يسقون من رحيق مختوم (٢٥)

ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون (٢٦) ومزاجه من

تسنيم (٢٧) عينا يشرب بها المقربون (٢٨)

قوله تعالى: (إن الأبرار) أي أهل الصدق والطاعة. (لفي نعيم) أي نعمة، والنعمة

بافتح: التنعيم، يقال: نعمه الله وناعمه فتنعم وامرأة منعمة ومناعمة بمعنى. أي إن

الأبرار

في الجنات يتنعمون. (على الأرائك) وهي الأسرة في الحجال (ينظرون) أي إلى ما أعد

الله لهم من الكرامات، قاله عكرمة وابن عباس ومجاهد. وقال مقاتل: ينظرون إلى أهل

النار. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (ينظرون إلى أعدائهم في النار) ذكره المهدوي.

وقيل: على أرائك أفضاله ينظرون إلى وجهه وجلاله.

قوله تعالى: (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) أي بهجته وغضارته ونوره، يقال:

نضر النبات: إذا أزهو ونور. وقراءة العامة " تعرف " بفتح التاء وكسر الراء " نضرة "

نصبا، أي تعرف يا محمد. وقرأ أبو جعفر بن القعقاع ويعقوب وشيبة وابن أبي

إسحاق:

" تعرف " بضم التاء وفتح الراء على الفعل المجهول " نضرة " رفعا. (يسقون من

رحيق)

أي من شراب لا غش فيه. قاله الأخفش والزجاج. وقيل، الرحيق الخمر الصافية.

وفي الصحاح: الرحيق صفوة الخمر. والمعنى واحد. الخليل: أقصى (١) الخمر

وأجودها. وقال

مقاتل وغيره: هي الخمر العتيقة البيضاء الصافية من الغش النيرة، قال حسان:

(١) كذا في الأصول كلها ولعل الصواب: أقصى الخمر.

يسقون من ورد البريص عليهم * بردي يصفق بالرحيق السلسل (١)
وقال آخر (٢):

أم لا سبيل إلى الشباب وذكره * أشهى إلي من الرحيق السلسل
(مختوم ختامه مسك) قال مجاهد: يختم به آخر جرعة. وقيل: المعنى إذا شربوا هذا
الرحيق ففنى ما في الكأس، انختم ذلك بخاتم المسك. وكان ابن مسعود يقول:
يجدون عاقبتها

طعم المسك. ونحوه عن سعيد بن جبير وإبراهيم النخعي قالا: ختامه آخر طعمه. وهو
حسن، لان سبيل الأشربة أن يكون الكدر في آخرها، فوصف شراب أهل الجنة بأن
رائحة

آخره رائحة المسك. وعن مسروق عن عبد الله قال: المختوم الممزوج. وقيل: مختوم
أي

ختمت ومنعت عن أن يمسه ماس إلى أن يفك ختامها الأبرار. وقرأ علي وعلقمة
وشقيق

والضحك وطاوس والكسائي " خاتمه " بفتح الخاء والتاء وألف بينهما. قاله علقمة:
أما رأيت المرأة تقول للعطار: أجعل خاتمه مسكا، تريد آخره. والخاتم والختام
متقاربان

في المعنى، إلا أن الخاتم الاسم، والختام المصدر، قاله الفراء. وفي الصحاح: والختام:
الطين

الذي يختم به. وكذا قال مجاهد وابن زيد: ختم إناءه بالمسك بدلا من الطين. حكاه
المهدوي. وقال الفرزدق:

* وبت أفض أغلاق الختام (٣) *

وقال الأعشى:

* وأبرزها وعليها ختم (٤) *

أي عليها طينة مختومة، مثل نفض بمعنى منقوض، وقبض بمعنى مقبوض. وذكر ابن
المبارك

وابن وهب، واللفظ لابن وهب، عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: " ختامه مسك
:"

خلطه، ليس بخاتم يختم، ألا ترى إلى قول المرأة من نسائك: إن خلطه من الطيب
كذا وكذا.

(١) تقدم شرح البيت بهامش ص ١٤١ من هذا الجزء.

(٢) هو أبو كبير الهذلي.

(٣) صدر البيت: * فبتن جنابتي مصرعات *

(٤) صدره: * وصهبا طاف يهوديها *

(٢٦٥)

إنما خلطه مسك، قال: شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر أشربتهم، لو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل فيه يده ثم أخرجها، لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها. وروى أبي بن كعب قال: قيل يا رسول الله ما الرحيق المختوم؟ قال: (غدران الخمر). وقيل: مختوم في الآنية، وهو غير الذي يجري في الأنهار. فالله أعلم. (وفط ذلك) أي وفي الذي

وصفناه من أمر الجنة (فليتنافس المتنافسون) أي فليرغب الراغبون يقال: نفست عليه الشيء أنفسه نفاسة: أي ضننت به، ولم أحب أن يصير إليه. وقيل: الفاء بمعنى إلى، أي وإلى ذلك فليتبادر المتبادرون في العمل، نظيره: "لمثل هذا فليعمل العاملون". (ومزاجه)

أي ومزاج ذلك الرحيق (من تسنيم) وهو شراب ينصب عليهم من علو، وهو أشرف شراب

في الجنة. وأصل التسنيم في اللغة: الارتفاع فهي عين ماء تجري من علو إلى أسفل، ومنه

سنام البعير لعلوه من بدنه، وكذلك تسنيم القبور. وروى عن عبد الله قال: تسنيم عين في الجنة يشرب بها المقربون صرفا، ويمزج منها كأس أصحاب اليمين فتطيب. وقال ابن عباس

في قوله عز وجل: "ومزاجه من تسنيم" قال: هذا مما قال الله تعالى: "فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين" [السجدة: ١٧]. وقيل: التسنيم عين تجري في الهواء بقدرة الله تعالى، فتنصب

في أواني أهل الجنة على قدر مائها، فإذا امتلأت أمسك الماء، فلا تقع منه قطرة على الأرض،

ولا يحتاجون إلى الاستقاء، قاله قتادة، ابن زيد: بلغنا أنها عين تجري من تحت العرش. وكذا في مراسيل الحسن. وقد ذكرناه في سورة "الإنسان" (١). (عيننا يشرب بها المقربون) أي يشرب منها أهل جنة عدن، وهم أفاضل أهل الجنة، صرفا، وهي لغيرهم مزاج. و"عيننا" نصب على المدح. وقال الزجاج: نصب على الحال من تسنيم، وتسنيم

معرفة، ليس يعرف له اشتقاق، وإن جعلته مصدرا مشتقا من السنام ف" - عيننا" نصب، لأنه

مفعول به، كقوله تعالى: "أو إطعام في يوم ذي مسغبة. يتيما" [البلد: ١٤ - ١٥] وهذا قول الفراء إنه

منسوب بتسنيم. وعند الأخفش ب" - يسقون" أي يسقون عيننا أو من عين. وعند المبرد

بإضمام أعني على المدح.

(١) راجع ص ١٢٠ من هذا الجزء.

قوله تعالى: إن الذين أجمعوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون (٢٩) وإذا مروا بهم يتغامزون (٣٠) وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين (٣١) وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون (٣٢) وما أرسلوا عليهم حافظين (٣٣) فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون (٣٤) على الأرائك ينظرون (٣٥) هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون (٣٦) قوله تعالى: (إن الذين أجمعوا) وصف أرواح الكفار في الدنيا مع المؤمنين باستهزائهم بهم والمراد رؤساء قريش من أهل الشرك. روى ناس عن ابن عباس قال: هو الوليد بن المغيرة، وعقبة بن أبي معيط، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد يغوث، والعاص ابن هشام، وأبو جهل، والنضر بن الحارث، وأولئك (كانوا من الذين آمنوا) من أصحاب

محمد صلى الله عليه وسلم مثل عمار، وخباب وصهيب وبلال (يضحكون) على وجه السخرية.

(وإذا مروا بهم) عند إتيانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (يتغامزون): يغمز بعضهم بعضا، ويشيرون بأعينهم. وقيل: أي يعيرونهم بالاسلام ويعيبونهم به يقال: غمزت الشيء بيدي، قال:

وكنت إذا غمزت قناة قوم * كسرت كعوبها أو تستقيما
وقالت عائشة: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سجد غمزني، فقبضت رجلي.

الحديث، وقد مضى في " النساء " (١). وغمزته بعيني. وقيل: الغمز: بمعنى العيب، يقال غمزه: أي عابه، وما في فلان غمزة أي عيب. وقال مقاتل: نزلت في علي بن أبي طالب جاء في نفر من المسلمين إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلمزهم المنافقون، وضحكوا عليهم وتغامزوا. (وإذا انقلبوا) أي انصرفوا إلى أهلهم وأصحابهم وذويهم (انقلبوا فكهين) أي معجبين منهم. وقيل: معجبون بما هم عليه من الكفر، متفكهون بذكر المؤمنين. وقرأ ابن القعقاع وحفص والأعرج والسلمي: " فكهين " بغير ألف. الباقيون بألف. قال الفراء: هما لغتان مثل

(١) راجع ج ٥ ص ٢٢٦.

طمع وطامع وحذر وحاذر، وقد تقدم في سورة " الدخان " (١) والحمد لله. وقيل:
الفكه: الأشر

البطر والفاكه: الناعم المتنعم. (وإذا رأوهم) أي إذا رأى هؤلاء الكفار أصحاب محمد
صلى

الله عليه وسلم (قالوا إن هؤلاء لضالون) في اتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم (وما
أرسلوا

عليهم حافظين) لاعمالهم، موكلين بأحوالهم، رقباء عليهم). (فاليوم) يعني هذا اليوم
الذي

هو يوم القيامة (الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم (من الكفار يضحكون) كما
ضحك

الكفار منهم في الدنيا. نظيره في آخر سورة " المؤمنين " (٢) وقد تقدم. وذكر ابن
المبارك:

أخبرنا محمد بن بشار عن قتادة في قوله تعالى: " فاليوم الذين آمنوا من الكفار
يضحكون "

قال: ذكر لنا أن كعبا كان يقول إن بين الجنة والنار كوى، فإذا أراد المؤمن أن ينظر
إلى عدو كان له في الدنيا اطلع من بعض الكوى، قال الله تعالى في آية أخرى: " فاطلع
فراه في سواء الجحيم " [الصفات: ٥٥] قال: ذكر لنا أنه أطلع فرأى جماجم القوم
تغلي. وذكر ابن المبارك

أيضا: أخبرنا الكلبي عن أبي صالح في قوله تعالى: " الله يستهزئ بهم " [البقرة: ١٥]
قال: يقال لأهل

النار وهم في النار: اخرجوا، فتفتح لهم أبواب النار، فإذا رأوها قد فتحت أقبلوا إليها
يريدون

الخروج، والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك، فإذا انتهوا إلى أبوابها غلقت دونهم،
فذلك

قوله " الله يستهزئ بهم " [البقرة: ١٥] ويضحك منهم المؤمنون حين غلقت دونهم
فذلك قوله تعالى:

" فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون ". (على الأرائك ينظرون. هل ثوب الكفار
ما كانوا يفعلون) وقد مضى هذا في أول سورة " البقرة " (٣). ومعنى " هل ثوب " أي
هل

جوزي بسخريتهم في الدنيا بالمؤمنين إذا فعل بهم ذلك. وقيل: إنه متعلق ب " -
ينظرون "

أي ينظرون: هل جوزي الكفار؟ فيكون معنى هل [التقرير] وموضعها نصبا ب " -
ينظرون " .

وقيل: استئناف لا موضع له من الاعراب. وقيل: هو إضمار على القول، والمعنى، يقول بعض المؤمنين لبعض: "هل ثوب الكفار" أي أثيب وجوزي. وهو من تاب يثوب أي رجع، فالثواب ما يرجع على العبد في مقابلة عمله، ويستعمل في الخير والشر. ختمت السورة والله أعلم.

(١) راجع ج ١٦ ص ١٣٩.

(٢) راجع ج ١٢ ص ١٥٥.

(٣) راجع ج ١ ص ٢٠٨.

سورة الانشقاق

مكية في قول الجميع وهي خمس وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: إذا السماء انشقت (١) وأذنت لربها وحقت (٢)
وإذا الأرض مدت (٣) وألقت ما فيها وتخلت (٤) وأذنت لربها
وحقت (٥)

قوله تعالى: (وإذا السماء انشقت) أي انصدعت، وتفطرت بالغمام، والغمام مثل
السحاب الأبيض. وكذا روى أبو صالح عن ابن عباس. وروى عن علي عليه السلام
قال: تشق من المجرة. وقال: المجرة باب السماء. وهذا من أشراط الساعة وعلاماتها.
(وأذنت لربها وحقت) أي سمعت، وحق لها أن تسمع. روى معناه عن ابن عباس
ومجاهد وغيرهما، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: " ما أذن الله لشيء كأذنه لنبى يتغنى
بالقرآن " أي ما استمع الله لشيء قال الشاعر:

صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به * وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا
أي سمعوا. وقال قعنب ابن أم صاحب:

إن يأذنوا ريبة طاروا بها فرحا * وما هم أذنوا من صالح دفنوا
وقيل: المعنى وحقق الله عليها الاستماع لامره بالانشقاق. وقال الضحاك: حقت:
أطاعت،

وحق لها أن تطيع ربها، لأنه خلقها، يقال: فلان محقوق بكذا. وطاعة السماء: بمعنى
أنها

لا تمتنع مما أراد الله بها، ولا يبعد خلق الحياة فيها حتى تطيع وتجيّب. وقال قتادة:
حق لها

أن تفعل ذلك، ومنه قول كثير:
فإن تكن العتبي فأهلا ومرحبا * وحقت لها العتبي لدينا وقلت

قوله تعالى: (وإذا الأرض مدت) أي بسطت ودكت جبالها. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (تمد مد الأديم) لان الأديم إذا مد زال كل انشاء فيه وامتد واستوى. قال ابن عباس وابن مسعود: ويزاد وسعتها كذا وكذا، لوقوف الخلائق عليها للحساب حتى لا يكون لاحد من البشر إلا موضع قدمه، لكثرة الخلائق فيها. وقد مضى في سورة " إبراهيم " (١) أن الأرض تبدل بأرض أخرى وهي الساهرة في قول ابن عباس على ما تقدم عنه (٢).

(وألقت ما فيها وتخلت) أي أخرجت أمواتها، وتخلت عنهم. وقال ابن جبير: ألقت ما في بطنها من الموتى، وتخلت ممن على ظهرها من الاحياء. وقيل: ألقت ما في بطنها من كنوزها ومعادنها، وتخلت منها. أي خلا جوفها، فليس في بطنها شيء، وذلك يؤذن بعظم الامر،

كما تلقى الحامل ما في بطنها عند الشدة. وقيل: تخلت مما على ظهرها من جبالها وبحارها.

وقيل: ألقت ما استودعت، وتخلت مما استحفظت، لان الله تعالى استودعها عباده أحياء وأمواتا، واستحفظها بلاده مزارعة وأقواتا. (وأذنت لربها) أي في إلقاء موتها (وحقت) أي وحق لها أن تسمع أمره. وأختلف في جواب " إذا " فقال الفراء: " أذنت "

والواو زائدة، وكذلك " وألقت ". ابن الأنباري: قال بعض المفسرين: جواب " إذا السماء انشقت " " أذنت "، وزعم أن الواو مقحمة وهذا غلط، لان العرب لا تقحم الواو

إلا مع " حتى - إذا " كقوله تعالى: " حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها " [الزمر: ٧١] ومع " لما " كقوله

تعالى: " فلما أسلما وتله للجبين. وناديناها " [الصفات: ١٠٣ - ١٠٤] معناه " ناديناها " والواو لا تقحم مع غير هذين.

وقيل: الجواب فاء مضمرة كأنه قال: " إذا السماء انشقت " فيا أيها الانسان إنك كادح.

وقيل: جوابها ما دل عليه " فملاقيه " أي إذا السماء انشقت لاقى الانسان كدحه. وقيل: فيه

تقديم وتأخير، أي " يا أيها الانسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه " " إذا السماء انشقت ".

قاله المبرد. وعنه أيضا: الجواب " فأما من أوتي كتابه بيمينه " وهو قول الكسائي، أي إذا السماء انشقت فمن أوتي كتابه بيمينه فحكمه كذا. قال أبو جعفر النحاس: وهذا أصح

(١) راجع ج ٩ ص ٣٨٣.
(٢) راجع ص ١٩٦ من هذا الجزء.

ما قيل فيه وأحسنه. قيل: هو بمعنى أذكر " إذا السماء انشقت ". وقيل: الجواب محذوف لعلم المخاطبين به، أي إذا كانت هذه الأشياء علم المكذبون بالبعث ضاللتهم

وخسرانهم. وقيل: تقدم منهم سؤال عن وقت القيامة، فقيل لهم: إذا ظهرت أشراطها كانت القيامة، فرأيتم عاقبة تكذيبكم بها. والقرآن كالأية الواحدة في دلالة البعض على البعض.

وعن الحسن: إن قوله " إذا السماء انشقت " قسم. والجمهور على خلاف قوله من أنه خبر وليس بقسم.

قوله تعالى: يا أيها الانسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه (٦) فأما من أوتى كتابه يمينه (٧) فسوف يحاسب حسابا يسيرا (٨) وينقلب إلى أهله مسرورا (٩)

قوله تعالى: (يا أيها الانسان إنك كادح إلى ربك كدحا) المراد بالانسان الجنس أي يا ابن آدم. وكذا روى سعيد عن قتادة: يا ابن آدم، إن كدحك لضعيف، فمن استطاع أن

يكون كدحه في طاعة الله فليفعل ولا قوة إلا بالله. وقيل: هو معين، قال مقاتل: يعني الأسود بن عبد الأسد. ويقال: يعني أبي بن خلف. ويقال: يعني جميع الكفار، أيها الكافر إنك كادح. والكدح في كلام العرب: العمل والكسب، قال ابن مقبل: وما الدهر إلا تارتان فمنهما * أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح وقال آخر:

ومضت بشاشة كل عيش صالح * وبقيت أكدح للحياة وأنصب أي أعمل. وروى الضحاك عن ابن عباس: " إنك كادح " أي راجع " إلى ربك كدحا أي رجوعا لا محالة (فملاقيه) أي ملاق ربك. وقيل: ملاق عملك. القتبي " إنك كادح "

أي عامل ناصب في معيشتك إلى لقاء ربك. والملافة بمعنى اللقاء أن تلقى ربك بعملك.

وقيل أي تلاقي كتاب عملك، لان العمل قد انقضى ولهذا قال: (فأما من أوتى كتابه يمينه).

قوله تعالى: " فأما من أوتي كتابه بيمينه " وهو المؤمن (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) لا مناقشة فيه. كذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث عائشة قالت: قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من حوسب يوم القيامة عذب) قالت: فقلت يا رسول الله

أليس قد قال الله " فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا " فقال: " ليس

ذاك الحساب، إنما ذلك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب) أخرجه البخاري

ومسلم والترمذي. وقال حديث حسن صحيح. (وينقلب إلى أهله مسرورا) أزواجه في الجنة من الحور العين " مسرورا " أي مغتبطا قرير العين. ويقال إنها نزلت في أبي سلمة

ابن عبد الأسد، هو أول من هاجر من مكة إلى المدينة. وقيل: إلى أهله الذين كانوا له في الدنيا، ليخبرهم بخلاصه وسلامته. والأول قول قتادة. أي إلى أهله الذين قد أعدهم الله له في الجنة.

قوله تعالى: وأما من أوتي كتابه وراء ظهره (١٠) فسوف

يدعوا ثبورا (١١) ويصلى سعيرا (١٢) إنه كان في أهله مسرورا (١٣)

إنه ظن أن لن يحور (١٤) بلى إن ربه كان به بصيرا (١٥)

قوله تعالى: (وأما من أوتي كتابه وراء ظهره) نزلت في الأسود بن عبد الأسد أخي أبي سلمة قاله ابن عباس. ثم هي عامة في كل مؤمن وكافر. قال ابن عباس: يمد يده اليمنى ليأخذ كتابه فيجذبه ملك، فيخلع يمينه، فيأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره. وقال قتادة

ومقاتل: يفك ألواح صدره وعظامه ثم تدخل يده وتخرج من ظهره، فيأخذ كتابه كذلك.

(فسوف يدعو ثبورا) أي بالهلاك فيقول: يا ويلاه، يا ثبوره. (ويصلى سعيرا) أي ويدخل النار حتى يصلى بحرها. وقرأ الحرميان وابن عامر والكسائي " ويصلى " بضم الياء

وفتح الصاد، وتشديد اللام، كقوله تعالى: " ثم الجحيم صلوه " [الحاقة: ٣١] وقوله: " وتصلية جحيم " [الواقعة: ٩٤].

الباقون " ويصلى " بفتح الياء مخففا، فعل لازم غير متعد، لقوله: " إلا من هو صال الجحيم " [الصفات: ١٦٣]

وقوله: " يصلى النار الكبرى " [الاعلى: ١٢] وقوله: " ثم إنهم لصالوا الجحيم "

[المطففين: ١٦]. وقراءة ثلاثة رواها أبان

(٢٧٢)

عن عاصم وخارجة عن نافع وإسماعيل المكي عن ابن كثير " ويصلى " بضم الياء وإسكان

الصاد وفتح اللام مخففاً، كما قرئ " وسيصلون " بضم الياء، وكذلك في " الغاشية " قد قرئ

أيضاً: " تصلى ناراً " وهما لغتان صلي وأصلي، كقوله: " نزل. وأنزل ". (إنه كان في أهله) أي في الدنيا (مسروراً) قال ابن زيد: وصف الله أهل الجنة بالمخافة والحزن والبكاء والشفقة في الدنيا فأعقبهم به النعيم والسرور في الآخرة، وقرأ قول الله تعالى: " إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ". قال: ووصف أهل النار

بالسرور في الدنيا والضحك فيها والتفكه. فقال: " إنه كان في أهله مسروراً " (إنه ظن أن لن يحور) أي لن يرجع حياً مبعوثاً فيحاسب، ثم يثاب أو يعاقب. يقال: حار يحور إذا رجع، قال لبيد:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه * يحور رمادا بعد إذا هو ساطع
وقال عكرمة وداود بن أبي هند، يحور كلمة بالحشوية، ومعناها يرجع. ويجوز أن تتفق الكلمتان

فإنهما كلمة اشتقاق، ومنه الخبز الحواري، لأنه يرجع إلى البياض. وقال ابن عباس: ما كنت

أدري: ما يحور؟ حتى سمعت أعرابية تدعو بنية لها: حوري، أي ارجعي إلي، فالحور في كلام العرب الرجوع، ومنه قوله عليه السلام: " اللهم إني أعوذ بك من الحور بعد الكور "

يعني: من الرجوع إلى النقصان بعد الزيادة، وكذلك الحور بالضم. وفي المثل " حور في محارة " (١)

أي نقصان في نقصان. يضرب للرجل إذا كان أمره يدبر، قال الشاعر (٢):
واستعجلوا عن خفيف المضغ فازدردوا * والذم يبقى وزاد القوم في حور
والحور أيضاً: الاسم من قولك: طحنت الطاحنة فما أحارت شيئاً، أي ما ردت شيئاً من الدقيق. والحور أيضاً الهلكة، قال الراجز: (٣)
* في بئر لا حور سرى ولا شعر *

(١) أي حور في حور فمحاوره: مصدر ميمي بمعنى الحور.

(٢) قائله سبيع بن الخطيم يريد الأكل يذهب والذم يبقى.

(٣) هو العجاج.

قال أبو عبيدة: أي بئر حور، و " لا " زائدة. وروى " بعد الكون " (١) ومعناه من انتشار الامر بعد تمامه. وسئل معمر عن الحور بعد الكون، فقال: هو الكنتي. فقال له عبد الرزاق: وما الكنتي؟ فقال: الرجل يكون صالحا ثم يتحول رجل سوء. قال أبو عمرو: يقال للرجل إذا شاخ: كنتي، كأنه نسب إلى قوله: كنت في شبابي كذا. قال:

فأصبحت كنتيا وأصبحت عاجنا* وشر خصال المرء كنت وعاجن
عجن الرجل: إذا نهض معتمدا على الأرض من الكبر. وقال ابن الأعرابي: الكنتي: هو الذي يقول: كنت شابا، وكنت شجاعا، والكانني هو الذي يقول: كان لي مال وكنت أهب، وكان لي خيل وكنت أركب.

قوله تعالى: (بلى) أي ليس الامر كما ظن، بل يحور إلينا ويرجع. (إن ربه كان به بصيرا) قبل أن يخلقه، عالما بأن مرجعه إليه. وقيل: بلى ليحورن وليرجعن. ثم استأنف فقال: " إن ربه كان به بصيرا " من يوم خلقه إلى أن بعثه. وقيل: عالما بما سبق له من الشقاء والسعادة.

قوله تعالى: فلا أقسم بالشفق (١٦) والليل وما وسق (١٧) والقمر إذا اتسق (١٨) لتركين طبقا عن طبق (١٩) فما لهم لا يؤمنون (٢٠) وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون (٢١)
قوله تعالى: (فلا أقسم) أي فأقسم و " لا " صلة. (بالشفق) أي بالحمرة التي تكون عند مغيب الشمس حتى تأتي صلاة العشاء الآخرة. قال أشهب وعبد الله بن الحكم

ويحيى بن يحيى وغيرهم، كثير عددهم عن مالك: الشفق الحمرة التي في المغرب، فإذا ذهبت

الحمرة فقد خرجت من وقت المغرب ووجبت صلاة العشاء. وروى ابن وهب قال: أخبرني

غير واحد عن علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وشداد بن أوس

(١) الكون هنا: مصدر كان التامة يقال: كان يكون كونا: أي وجد واستقر. (النهاية).

وأبي هريرة: أن الشفق الحمرة، وبه قال مالك بن أنس. وذكر غير ابن وهب من الصحابة:

عمر وابن عمر وابن مسعود وابن عباس وأنسا وأبا قتادة وجابر بن عبد الله وابن الزبير، ومن

التابعين: سعيد بن جبير، وابن المسيب وطاوس، وعبد الله بن دينار، والزهري، وقال به من

الفقهاء الأوزاعي ومالك والشافعي وأبو يوسف وأبو ثور وأبو عبيدة وأحمد وإسحاق وقيل:

هو البياض، روى ذلك عن ابن عباس وأبي هريرة أيضا وعمر بن عبد العزيز والأوزاعي وأبي حنيفة في إحدى الروايتين عنه. وروى أسد بن عمرو أنه رجع عنه. وروى عن ابن عمر أيضا أنه البياض والاختيار الأول، لأن أكثر الصحابة والتابعين والفقهاء عليه، ولأن شواهد كلام العرب والاشتقاق والسنة تشهد له. قال الفراء: سمعت بعض العرب يقول لثوب عليه مصبوغ: كأنه الشفق وكان أحمر، فهذا شاهد للحمرة، وقال الشاعر:

* وأحمر اللون كمحمر الشفق *

وقال آخر:

قم يا غلام أعني غير مرتبك * على الزمان بكأس حشوها شفق
ويقال للمغرة الشفق. وفي الصحاح: الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل إلى

قريب من العتمة. قال الخليل: الشفق: الحمرة، من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة،

إذا ذهب قيل: غاب الشفق. ثم قيل: أصل الكلمة من رقة الشيء، يقال: شق شفق أي لا تماسك له لرقته. وأشفق عليه. أي رق قلبه عليه، والشفقة: الاسم من الاشفاق، وهو رقة القلب، وكذلك الشفق، قال الشاعر (١):

تهوى حياتي وأهوى موتها شفقا * والموت أكرم نزال على الحرم
فالشفق: بقية ضوء الشمس وحمرتها فكان تلك الرقة عن ضوء الشمس. وزعم الحكماء أن

البياض لا يغيب أصلا. وقال الخليل: صعدت منارة الإسكندرية فرمقت البياض، فرأيته يتردد من أفق إلى أفق ولم أراه يغيب. وقال ابن أبي أويس: رأيت يتمادى إلى طلوع الفجر

(١) هو لإسحاق بن خلف. وقيل هو لابن المعلى. اللسان.

(۲۷۰)

قال علماءونا: فلما لم يتحدد وقته سقط اعتباره. وفي سنن أبي داود عن النعمان بن بشير قال:

أنا أعلمكم بوقت صلاة العشاء الآخرة، كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلها لسقوط القمر

الثالثة. وهذا تحديد، ثم الحكم معلق بأول الاسم. لا يقال: فينقض عليكم بالفجر الأول،

فإننا نقول الفجر الأول لا يتعلق به حكم من صلاة ولا إمساك، لان النبي صلى الله عليه وسلم

بين الفجر بقوله وفعله فقال: " وليس الفجر أن تقول هكذا - فرفع يده إلى فوق - ولكن الفجر أن تقول هكذا وبسطها " وقد مضى بيانه في آية الصيام من سورة " البقرة " (١)،

فلا معنى للإعادة. وقال مجاهد: الشفق: النهار كله ألا تراه قال " والليل وما وسق " . وقال

عكرمة: ما بقى من النهار. والشفق أيضا: الردى من الأشياء، يقال: عطاء مشفق أي مقلل

قال الكميت:

ملك أغر من الملوك تحلبت * للسائلين يداه غير مشفق

قوله تعالى: (والليل وما وسق) أي جمع وضم ولف، وأصله من سورة السلطان وغضبه فلولا أنه خرج إلى العباد من باب الرحمة ما تمالك العباد لمجيئه ولكن خرج من

باب الرحمة فمزح بها، فسكن الخلق إليه ثم ابدعروا؟ والتفوا وانقبضوا، ورجع كل إلى مأواه

فسكن فيه من هوله وحشا، وهو قوله تعالى: " ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا

فيه " [القصص: ٧٣] أي بالليل " ولتبتغوا من فضله " [القصص: ٧٣] أي بالنهار على ما تقدم. فالليل يجمع ويضم ما كان

منتشرا بالنهار في تصرفه. هذا معنى قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل وغيرهم، قال ضابئ

ابن الحارث البرجمي:

فإني وإياكم وشوقا إليكم * كقابض ماء لم تسقه أنامله

يقول: ليس في يده من ذلك شيء كما أنه ليس في يد القابض على الماء شيء، فإذا جلل الليل الجبال والأشجار والبحار والأرض فاجتمعت له، فقد وسقها. والوسق: ضمك الشيء

(١) راجع ج ٢ ص ٣١٨ فما بعدها.

(٢٧٦)

بعضه إلى بعض، تقول: وسقته أسقه وسقا. ومنه قيل للطعام الكثير المجتمع: وسق، وهو ستون صاعا. وطعام موسق: أي مجموع، وإبل مستوسقة أي مجتمعة، قال الراجز (١):
 إن لنا قلائصا حقائقا * مستوسقات لو يجدن سائقا
 وقال عكرمة: " وما وسق " أي وما ساق من شيء إلى حيث يأوى، فالوسق بمعنى الطرد، ومنه قيل للطريدة من الإبل والغنم والحرمر: وسيقة، قال الشاعر (٢):
 * كما قاف آثار الوسيقة قائف *
 وعن ابن عباس: " وما وسق " أي وما جن وستر. وعنه أيضا: وما حمل، وكل شيء حملته فقد وسقته، والعرب تقول: لا أفعله ما وسقت عيني الماء، أي حملته. ووسقت الناقة تسق وسقا: أي حملت وأغلقت رحمها على الماء، فهي ناقة واسق، ونوق وساق مثل نائم ونيام، وصاحب وصحاب، قال بشر بن أبي خازم:
 أظ بهن يحدوهن حتى * تبينت الحيال من الوساق
 ومواسيق أيضا. وأوسقت البعير: حملته حملة، وأوسقت النخلة: كثر حملها. وقال يمان والضحاك ومقاتل بن سليمان: حمل من الظلمة. قال مقاتل: أو حمل من الكواكب القشيري:
 ومعنى حمل: ضم وجمع، والليل يجلل بظلمته كل شيء فإذا جللها فقد وسقها. ويكون هذا القسم قسما بجميع المخلوقات، لاشتمال الليل عليها، كقوله تعالى: " فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون " [الحاقة: ٣٨ - ٣٩]. وقال ابن جبير: " وما وسق " أي وما عمل فيه، يعني التهجد والاستغفار بالاسحار، قال الشاعر:
 ويوما ترانا صالحين وتارة * تقوم بنا كالواسق المتلبب
 أي كالعامل.

(١) هو العجاج كما في اللسان مادة (وسق).

(٢) قائله الأسود بن يعفر وصدرة: * كذبت عليك لا تزال تقوفني *

قوله تعالى: (والقمر إذا اتسق) أي تم وأجتمع واستوى. قال الحسن: اتسق: أي امتلاً واجتمع. ابن عباس: استوى: قتادة: استدار. الفراء: اتساقه: امتلاؤه واستواؤه ليالي البدر، وهو افتعال من الوسق الذي هو الجمع، يقال: وسقته فاتسق، كما يقال:

وصلته فاتصل، ويقال: أمر فلان متسق: أي مجتمع على الصلاح منتظم. ويقال: اتسق الشيء: إذا تتابع: (لتركبن طبقاً عن طبق) قرأ أبو عمر وابن مسعود وابن عباس وأبو العالية ومسروق وأبو وائل ومجاهد والنخعي والشعبي وابن كثير وحمزة والكسائي " لتركبن " بفتح الباء خطاباً للنبي صلى الله عليه وسلم، أي لتركبن يا محمد حالاً بعد حال، قاله ابن عباس.

الشعبي: لتركبن يا محمد سماء بعد سماء، ودرجة بعد درجة، ورتبه بعد رتبة، في القربة من الله تعالى. ابن مسعود: لتركبن السماء حالاً بعد حال، يعني حالاتها التي وصفها الله تعالى بها من الانشقاق والطي وكونها مرة كالمهل ومرة كالدهان. وعن إبراهيم عن عبد الأعلى:

" طبقاً " عن طبق " قال: السماء تقلب حالاً بعد حال. قال: تكون وردة كالدهان، وتكون كالمهل، وقيل: أي لتركبن أيها الإنسان حالاً بعد حال، من كونك نطفة ثم علقه ثم مضغة ثم حياً

وميتاً وغنياً وفقيراً. فالخطاب للإنسان المذكور في قوله: " يا أيها الإنسان إنك كادح " هو اسم للجنس، ومعناه الناس. وقرأ الباقون " لتركبن " بضم الباء، خطاباً للناس، واختاره

أبو عبيد وأبو حاتم، قال: لأن المعنى بالناس أشبه منه بالنبي صلى الله عليه وسلم، لما ذكر قبل هذه الآية فمن أوتى كتابه بيمينه ومن أوتى كتابه بشماله. أي لتركبن حالاً بعد حال

من شدائد القيامة، أو لتركبن سنة من كان قبلكم في التكذيب واختلاق على الأنبياء. قلت: وكله مراد، وقد جاءت بذلك أحاديث (١)، فروى أبو نعيم الحافظ عن جعفر بن محمد بن علي عن جابر رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن ابن آدم لفي غفلة عما خلقه الله عز وجل، إن الله لا إله غيره إذا أراد خلقه قال للملك

اكتب رزقه وأثره وأجله، واكتب شقيا أو سعيدا، ثم يرتفع ذلك الملك، ويبعث الله
ملكا

(١) راجع ج ١٧ ص ١٤.

آخر فيحفظه حتى يدرك، ثم يبعث الله ملكين يكتبان حسناته وسيئاته، فإذا جاءه الموت ارتفع ذاك الملكان، ثم جاءه ملك الموت عليه السلام فيقبض روحه، فإذا أدخل حفرته رد الروح في جسده، ثم يرتفع ملك الموت، ثم جاءه ملكا، القبر فامتحناه، ثم يرتفعان، فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات، فأنشطا كتابا معقودا في عنقه، ثم حضرا معه، واحد سائق والآخر شهيد) ثم قال الله عز وجل " لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك، فبصرك اليوم حديد " [ق: ٢٢] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" لتركبن طبقا عن طبق " قال: (حالا بعد حال) ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن قدامكم أمرا عظيما فاستعينوا بالله العظيم) فقد اشتمل هذا الحديث على أحوال تعتري الانسان، من حين يخلق إلى حين يبعث، وكله شدة بعد شدة، حياة ثم موت، ثم بعث ثم جزاء، وفي كل حال من هذه شذائد. وقال صلى الله عليه وسلم: (لتركبن (١) سنن من قبلكم شبرا بشبرا، وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟ خرجه البخاري: وأما أقوال المفسرين، فقال عكرمة: حالا بعد حال، فطيما بعد رضيع، وشيخا بعد شباب، قال الشاعر:

كذلك المرء إن ينسأ له أجل * يركب على طبق من بعده طبق

وعن مكحول: كل عشرين عاما تجدون أمرا لم تكونوا عليه: وقال الحسن: أمرا بعد أمر، رخاء بعد شدة، وشدة بعد رخاء، وغنى بعد فقر، وفقرا بعد غني، وصحة بعد سقم، وسقما بعد صحة: سعيد بن جبير: منزلة بعد منزلة، قوم كانوا في الدنيا متضعين فارتفعوا في الآخرة، وقوم كانوا في الدنيا مرتفعين فأتضعوا في الآخرة: وقيل: منزلة عن منزلة، وطبقا عن طبق (٢)، وذلك، أن من كان على صلاح دعاه إلى صلاح فوقه، ومن كان على فساد دعاه إلى فساد فوقه، لان كل شيء يجري إلى شكله: ابن زيد: ولتصيرن من طبق الدنيا إلى طبق الآخرة: وقال ابن عباس: الشذائد والأهوال: الموت، ثم البعث، ثم العرض،

(١) رواية البخاري (لتتبعن) بدل (لتركبن).
(٢) في ا، ح، ط، ل: طبقة.

والعرب تقول لمن وقع في أمر شديد: وقع في بنات طبق، وإحدى بنات طبق، ومنه قيل للداهية الشديدة: أم طبق، وإحدى بنات طبق: وأصلها من الحيات، إذ يقال للحية أم طبق لتحويلها: والطبق في اللغة: الحال كما وصفنا، قال الأقرع بن حابس التميمي:

إني امرؤ قد حلبت الدهر أشطره * وساقني طبق منه إلى طبق
وهذا أدل دليل على حدوث العالم، وإثبات الصانع، قالت الحكماء: من كان اليوم على حالة،

وغدا على حالة أخرى فليعلم أن تدييره إلى سواه: وقيل لأبي بكر الوراق: ما الدليل على أن لهذا

العالم صانعا؟ فقال: تحويل الحالات، وعجز القوة، وضعف الأركان، وقهر النية: ونسخ العزيمة: ويقال: أتانا طبق من الناس وطبق من الجراد: أي جماعة: وقول العباس في مدح النبي صلى الله عليه وسلم:

تنقل من صالب إلى رحم * إذا مضى عالم بدا طبق
أي قرن من الناس. يكون طباق الأرض أي ملاءها. والطبق أيضا: عظم رقيق يفصل بين الفقارين. ويقال: مضى طبق من الليل، وطبق من النهار: أي معظم منه. والطبق: واحد الاطباق، فهو مشترك. وقرئ " لتركبن " بكسر الباء، على خطاب النفس و " ليركبن " بالياء على ليركبن الانسان. و " عن طبق " في محل نصب على أنه صفة ل " - طبقا " أي طبقا

مجاوزا لطبق. أو حال من الضمير في " لتركبن " أي لتركبن طبقا مجاوزين لطبق، أو مجاوزا

أو مجاوزة على حسب القراءة.

قوله تعالى: (فما لهم لا يؤمنون) يعني أي شيء يمنعهم من الايمان بعد ما وضحت لهم الآيات وقامت الدلالات. وهذا استفهام إنكار. وقيل: تعجب أي اعجبوا منهم في ترك الايمان مع هذه الآيات.

قوله تعالى: (وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) أي لا يصلون. وفي الصحيح: إن أبا هريرة قرأ " إذا السماء انشقت " فسجد فيها، فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله صلى

الله عليه وسلم سجد فيها. وقد قال مالك: إنها ليست من عزائم السجود، لان

[المعنى] (١)

(١) [المعنى]: ساقطة من ا، ح، و.

(۲۸۰)

لا يذعنون ولا يطيعون في العمل بواجباته. ابن العربي: والصحيح أنها منه، وهي رواية المدنيين عنه، وقد اعتضد فيها القرآن والسنة. قال ابن العربي: لما أمت بالناس تركت قراءتها، لأنني إن سجدت أنكرته، وإن تركتها كان تقصيرا مني، فاجتنبتها إلا إذا صليت

وحددي. وهذا تحقيق وعد الصادق بأن يكون المعروف منكرا، والمنكر معروفا، وقد قال صلى

الله عليه وسلم لعائشة: (لولا حدثان قومك بالكفر لهدمت البيت، ولرددته على قواعد إبراهيم). ولقد كان شيخنا أبو بكر الفهري يرفع يديه عند الركوع، وعند الرفع منه، وهو

مذهب مالك والشافعي ويفعله الشيعة، فحضر عندي يوما في محرس ابن الشواء بالثغر -

موضع تدريسي - عند صلاة الظهر، ودخل المسجد من المحرس المذكور، فتقدم إلى الصف

وأنا في مؤخره قاعدا على طاقات البحر، أتسم الريح من شدة الحر، ومعني في صف واحد

أبو ثمنة رئيس البحر وقائده، مع نفر من أصحابه ينتظر الصلاة، ويتطلع على مراكب تحت الميناء،

فلما رفع الشيخ يديه في الركوع وفي رفع الرأس منه قال أبو ثمنة وأصحابه: ألا ترون إلى

هذا المشرقي كيف دخل مسجدنا؟ فقوموا إليه فاقتلوه وارموا به إلى البحر، فلا يراكم أحد.

فطار قلبي من بين جوانحي وقلت: سبحان الله هذا الطرطوشي فقيه الوقت. فقالوا لي: ولم يرفع يديه؟ فقلت: كذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل، وهذا مذهب مالك،

في رواية أهل المدينة عنه. وجعلت أسكنهم وأسكنهم حتى فرغ من صلاته، وقمت معه إلى

المسكن من المحرس، ورأى تغير وجهي، فأنكره، وسألني فأعلمته، فضحك وقال: ومن أين

لي أن أقتل على سنة؟ فقلت له: ولا يحل لك هذا، فإنك بين قوم إن قمت بها قاموا عليك

وربما ذهب دمك. فقال: دع هذا الكلام، وخذ في غيره.

قوله تعالى: بل الذين كفروا يكذبون (٢٢) والله أعلم بما

يوعون (٢٣) فيشرهم بعذاب أليم (٢٤) إلا الذين آمنوا وعملوا

الصالحات لهم أجر غير ممنون (٢٥)

(٢٨١)

قوله تعالى: (بل الذين كفروا يكذبون) محمدا صلى الله عليه وسلم وما جاء به. وقال مقاتل: نزلت في بني عمرو بن عمير وكانوا أربعة، فأسلم اثنان منهم. وقيل: هي في جميع الكفار. (والله أعلم بما يوعون) أي بما يضمرونه في أنفسهم من التكذيب. كذا

روى الضحاك عن ابن عباس. وقال مجاهد: يكتمون من أفعالهم. ابن زيد: يجمعون من الأعمال الصالحة والسيئة، مأخوذ من الوعاء الذي يجمع ما فيه، يقال: أوعيت الزاد والمتاع: إذا جعلته في الوعاء، قال الشاعر:
الخير أبقى وإن طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد
ووعاه أي حفظه، تقول: وعيت الحديث أعياه وعيا، وأذن واعية. وقد تقدم (١).
(فبشرهم

بعذاب اليم) أي موجه في جهنم على تكذيبهم. أي اجعل ذلك بمنزلة البشارة. (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) استثناء منقطع، كأنه قال: لكن الذين صدقوا بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وعملوا الصالحات، أي أدوا الفرائض المفروضة عليهم " لهم أجر "

أي ثواب " غير ممنون " أي غير منقوص ولا مقطوع، يقال: مننت الحبل: إذا قطعته. وقد تقدم (٢). وسأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن قوله: (لهم اجر غير ممنون) فقال: غير مقطوع. فقال: هل تعرف ذلك العرب؟ قال: نعم قد عرفه أخو يشكر حيث يقول (٣):

فترى خلفهن من سرعة الرجوع * منينا كأنه أهباء
قال المبرد: المنين: الغبار، لأنها تقطعه وراءها. وكل ضعيف منين وممنون. وقيل:
" غير ممنون " لا يمن عليهم به. وذكر ناس من أهل العلم أن قوله: " إلا الذين آمنوا وعملوا

الصالحات " ليس استثناء، وإنما هو بمعنى الواو، كأنه قال: والذين آمنوا. وقد مضى في " البقرة " (٤) القول فيه والحمد لله. تمت سورة الانشقاق.

(١) راجع ج ١٨ ص ٢٦٣.

(٢) راجع ج ١٥ ص ٣٤١.

(٣) تقدم هذا البيت بلفظ: فترى حتفها من الرجوع والع * منينا... الخ.

(٤) راجع ج ٢ ص ١٦٩.

سورة البروج

مكية باتفاق. وهي ثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: والسماء ذات البروج (١)

قسم أقسم الله به عز وجل. وفي " البروج " أقوال أربعة: أحدها - ذات النجوم،
قاله الحسن وقتادة ومجاهد والضحاك. الثاني - القصور، قاله ابن عباس وعكرمة

ومجاهد

أيضا. قال عكرمة: هي قصور في السماء. مجاهد: البروج فيها الحرس. الثالث -
ذات الخلق الحسن، قال المنهال بن عمرو. الرابع: ذات المنازل، قاله أبو عبيدة ويحيى
ابن سلام. وهي اثنا عشر برجاً، وهي منازل الكواكب والشمس والقمر. يسير القمر
في كل برج منها يومين وثلاث يوم، فذلك ثمانية وعشرون يوماً، ثم يستسر (١) ليلتين،
وتسير

الشمس في كل برج منها شهراً. وهي: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد،
والسنبله، والميزان، والعقرب، والقوس والجدى، والدلو، والحوت. والبروج في كلام
العرب: القصور، قال الله تعالى، " ولو كنتم في بروج مشيدة " [النساء: ٧٨]. وقد
تقدم (٢).

قوله تعالى: واليوم الموعود (٢) وشاهد ومشهود (٣)

قوله تعالى: (اليوم الموعود) أي الموعود به. وهو قسم آخر، وهو يوم القيامة،
من غير اختلاف بين أهل التأويل. قال ابن عباس: وعد أهل السماء وأهل الأرض أن
يجتمعوا فيه. (وشاهد ومشهود) اختلف فيهما، فقال علي وابن عباس وابن عمر
وأبو هريرة رضي الله عنهم: الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة. وهو قول
الحسن.

(١) سرر الشهر (بفتحيتين): آخر ليلة منه وهو مشتق من قولهم: استمر القمر أي خفى ليلة السرار فربما كان
ليلة وربما كان ليلتين.

(٢) راجع ج ٥ ص ٨٢

ورواه أبو هريرة مرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة...) خرجه أبو عيسى الترمذي في جامعه، وقال: هذا حديث [حسن] (١) غريب، لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى ابن عبيدة يضعف في الحديث، ضعفه يحيى بن سعيد وغيره. وقد روى شعبة وسفيان الثوري وغير واحد من الأئمة عنه. قال القشيري في يوم الجمعة يشهد على كل عامل بما عمل فيه. قلت: وكذلك سائر الأيام والليالي، فكل يوم شاهد، وكذا كل ليلة، ودليله ما رواه أبو نعيم الحافظ عن معاوية بن قرّة عن معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ليس من يوم يأتي على العبد إلا ينادي فيه: يا ابن آدم، أنا خلق جديد، وأنا فيما تعمل عليك شهيد، فاعمل في خيرا أشهد لك به غد، فإنني لو قد مضيت لم ترني أبدا، ويقول الليل مثل ذلك). حديث غريب من حديث معاوية، تفرد به عنه زيد العمى (٢)، ولا أعلمه مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الاسناد. وحكى القشيري عن ابن عمر وابن الزبير أن الشاهد يوم الأضحى. وقال سعيد بن المسيب: الشاهد: التروية، والمشهود: يوم عرفة. وروى إسرائيل عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه: الشاهد يوم عرفة، والمشهود يوم النحر. وقاله النخعي. وعن علي أيضا: المشهود يوم عرفة. وقال ابن عباس والحسين ابن علي رضي الله عنهما: المشهود يوم القيامة، لقول تعالى: " ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود " (٣) [هود: ١٠٣].

(١) الزيادة من صحيح الترمذي.

(٢) في كتاب الأنساب للسمعاني: (العمى) بفتح العين المهملة وتشديد الميم هذه النسبة إلى العم وهو بطن من تميم. وفي التهذيب: (قال علي بن مصعب: سمى زيد العمى لأنه كان كلما سئل عن شيء قال حتى أسأل عمي).

(٣) راجع ج ٩ ص ٩٦

(٢٨٤)

قلت: وعلى هذا اختلفت أقوال العلماء في الشاهد، فقيل: الله تعالى، عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير، بيانه: " وكفى بالله شهيدا " (١) [النساء: ٧٩]، " قل أي شيء أكبر شهادة؟ قل الله شهيد (٢) بيني وبينكم " [الانعام: ١٩]. وقيل: محمد صلى الله عليه وسلم، عن ابن عباس أيضا والحسين ابن علي، وقرأ ابن عباس " فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا " (١) [النساء: ٤١]، وقرأ الحسين " يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا (٢) ومبشرا ونذيرا " [الأحزاب: ٤٥]. قلت: وأقرأ أنا " ويكون الرسول عليكم شهيدا ". وقيل: الأنبياء يشهدون على أممهم، لقوله تعالى: " فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد " (١) [النساء: ٤١]. وقيل: آدم. وقيل: عيسى بن مريم، لقوله: " وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم " (٤) [المائدة: ١١٧]. والمشهود: أمته. وعن ابن عباس أيضا ومحمد بن كعب: الشاهد الانسان، دليله: " كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا " [الاسراء: ١٤]. مقاتل: أعضاؤه، بيانه: " يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون " (٥) [النور: ٢٤]. الحسين بن الفضل: الشاهد هذه الأمة، والمشهود سائر الأمم، بيانه: " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس " [البقرة: ١٤٣]. وقيل: الشاهد: الحفظة، والمشهود: بنو آدم. وقيل: الليالي والأيام. وقد بيناه.

قلت: وقد يشهد المال على صاحبه، والأرض بما عمل عليها، ففي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إن هذا المال خضر حلو، ونعم صاحب المسلم هو لمن أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل - أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - وإنه من يأخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع ويكون عليه شهيدا يوم القيامة). وفي الترمذي عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: " يومئذ تحدث أخبارها " [الزلزلة: ٤] قال: (أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (فإن أخبارها أن تشهد على

-
- (١) راجع ج ٥ ص ٢٨٧، ١٩٧.
(٢) راجع ج ٦ ص ٣٩٩.
(٣) راجع ج ١٤ ص ١٩٩.
(٤) راجع ج ٢ ص ١٥٣.
(٥) راجع ج ٦ ص ٣٧٦.

كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، تقول عمل يوم كذا كذا وكذا. قال: فهذه أخبارها).

قال حديث حسن غريب صحيح. وقيل: الشاهد الخلق، شهدوا لله عز وجل بالوحدانية.

والمشهود له بالتوحيد هو الله تعالى. وقيل: المشهود يوم الجمعة، كما روى أبو الدرداء قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أكثرُوا علي من الصلاة يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهد الملائكة...) وذكر الحديث. خرجه ابن ماجه وغيره.

قلت: فعلى هذا يوم عرفة مشهود، لان الملائكة تشهده، وتنزل فيه بالرحمة (١). وكذا يوم النحر إن شاء الله. وقال أبو بكر العطار: الشاهد الحجر الأسود، يشهد لمن لمسه بصدق وإخلاص ويقين. والمشهود الحاج. وقيل: الشاهد الأنبياء، والمشهود محمد صلى الله عليه وسلم، بيانه: " وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة - إلى قوله تعالى: " وأنا معكم من الشاهدين " [آل عمران: ٨١].

قوله تعالى: قتل أصحاب الأخدود (٤) النار ذات الوقود (٥) إذ هم عليها قعود (٦) وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود (٧) قوله تعالى: (قتل أصحاب الأخدود) أي لعن. قال ابن عباس: كل شئ في القرآن " قتل " فهو لعن. وهذا جواب القسم - في قول الفراء - واللام فيه مضمرة، كقوله: " والشمس وضحاها " [الشمس: ١] ثم قال " قد أفلح من زكاهها " [الشمس: ٩]: أي لقد أفلح.

وقيل: فيه تقديم وتأخير، أي قتل أصحاب الأخدود والسماء ذات البروج، قاله أبو حاتم السجستاني. ابن الأنباري: وهذا غلط لأنه لا يجوز لقائل أن يقول: والله قام زيد على معنى قام زيد والله. وقال قوم: جواب القسم " إن بطش ربك لشديد " وهذا قبيح، لان الكلام قد طال بينهما. وقيل: " إن الذين فتنوا ". وقيل: جواب القسم محذوف، أي والسماء ذات البروج لتبعثن. وهذا اختيار ابن الأنباري. والأخدود: الشق العظيم

(١) راجع ج ٤ ص ١٢٤

المستطيل في الأرض كالخندق، وجمعه أختايد. ومنه الخد لمجاري الدموع،
والمخدة،

لان الخد يوضع عليها. ويقال: تخدد وجه الرجل: إذا صارت فيه أختايد من جراح.
قال طرفة:

ووجه كأن الشمس حلت رداءها * عليه نقي اللون لم يتخدد
(النار ذات الوقود) " النار " بدل من " الأختود " بدل الاشتمال. و " الوقود " بفتح
الواو قراءة العامة وهو الحطب. وقرأ قتادة وأبو رجاء ونصر بن عاصم (بضم الواو) على
المصدر، أي ذات الاتقاد والالتهاب. وقيل: ذات الوقود بأبدان الناس. وقرأ أشهب
العقيلي وأبو السمال العدوي وابن السميع " النار ذات " بالرفع فيهما، أي أحرقتهم
النار

ذات الوقود. (إذ هم عليها قعود) أي الذين خددوا الأختايد وقعدوا عليها يلقون فيها
المؤمنين، وكانوا بنجران في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم. وقد
اختلفت الرواة

في حديثهم. والمعنى متقارب. ففي صحيح مسلم عن صهيب: أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم

قال: كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت
فابعث

إلى غلاما أعلمه السحر، فبعث إليه غلاما يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك، راهب،
فقعد

إليه وسمع كلامه، فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر م بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر
ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي. وإذا
خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر. فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد
حبست

الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجرا فقال: اللهم إن
كان

أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة، حتى يمضي الناس، فرماها
فقتلها

ومضى الناس. فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب: أي بني، أنت اليوم أفضل مني،
قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلي، فإن أبتليت فلا تدل علي. وكان الغلام يبرئ
الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء. فسمع جليس للملك كان قد عمى،
فأتاه

بهدايا كثيرة فقال: ما هنا لك أجمع إن أنت شفيتني. فقال: إني لا أشفى أحدا، إنما

(۲۸۷)

يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك؟ فآمن بالله فشفاه الله. فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال ربي. قال: ولك

رب غيري؟ قال: ربي وربك الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجئ بالغلام فقال له الملك: أي بني! أقد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص، وتفعل وتفعل؟! قال: أنا لا أشفى أحدا، إنما يشفى الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجئ بالراهب، فقبل له: أرجع عن دينك. فأبى فدعا بالمنشار، فوضع المنشار

في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه. ثم جئ بحليس الملك فقيل له: أرجع عن دينك، فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقاه. ثم جئ بالغلام فقيل له: أرجع

عن دينك، فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به

الجبل، فإذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال:

اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل، فسقطوا. وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك:

ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله. فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه

في قرقور، فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقدفوه، فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم

بما شئت، فانكفأت بهم السفينة، فغرقوا. وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل

أصحابك؟ قال: كفانيهم الله. فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به. قال:

وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهما من كنانتي،

ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك

قتلتنني. فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهما من كنانته، ثم وضع

السهم في كبد القوس ثم قال: باسم الله رب الغلام، ثم رماه فوق السهم في صدغه، فوضع يده

في صدغه، في موضع السهم، فمات، فقال الناس: آمنة برب الغلام! آمنة برب الغلام!
آمنة برب

(١) القرقور) بضم القافين: السفينة الصغيرة.
(٢) الكنانة (بالكسر): جعبة السهام تتخذ من
جلود لا خشب فيها أو من خشب لا جلود فيها.

الغلام! فأنتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت، تحذر؟ قد والله نزل بك حذرک، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود في أفواه السكك، فحدث، وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه

فاحموه فيها - أو قيل له أقتحم - ففعلوا، حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها، فتقاعست

أن تقع فيها، فقال، لها الغلام: (يا أمة اصبري فإنك على الحق). خرجه الترمذي بمعناه. وفيه:

(وكان على طريق، الغلام راهب في صومعة) قال معمر: أحسب أن أصحاب الصوامع كانوا

يومئذ مسلمين. وفيه: (أن الدابة التي حبست الناس كانت أسدا، وأن الغلام دفن - قال

فيذكر أنه أخرج في زمن عمر بن الخطاب وإصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل). وقال:

حديث حسن غريب. ورواه الضحاک عن ابن عباس قال: كان ملك بنجران، وفي رعيته رجل له فتى، فبعثه إلى ساحر يعلمه السحر، وكان طريق الفتى على راهب يقرأ الإنجيل،

فكان يعجبه ما يسمعه من الراهب، فدخل في دين الراهب، فأقبل يوما فإذا حية عظيمة قطعت على الناس طريقهم، فأخذ حجرا فقال باسم الله رب السماوات والأرض وما بينهما،

فقتلها. وذكر نحو ما تقدم. وأن الملك لما رماه بالسهم وقتله قال أهل مملكة الملك: لا إله إلا إله (١) عبد الله بن ثامر، وكان اسم الغلام، فغضب الملك، وأمر فخذت أحاديده،

وجمع فيها حطب ونار، وعرض أهل مملكته عليها، فمن رجع عن التوحيد تركه، ومن ثبت

على دينه قذفه في النار. وجرى بامرأة مرضع فقيل لها ارجعي عن دينك وإلا قذفناك وولدك

- قال - فأشفقت وهمت بالرجوع، فقال لها الصبي المرضع: يا أمي، اثبتى على ما أنت

عليه، فإنما هي غميضة، فألقوها وابنها. وروى أبو صالح عن ابن عباس أن النار ارتفعت من

الأخدود فصارت فوق الملك وأصحابه أربعين ذراعا فأحرقتهم. وقال الضحاک: هم قوم من

النصارى كانوا باليمن قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة، أخذهم

يوسف
ابن شراحيل بن تبع الحميري، وكانوا نيفا وثمانين رجلا، وحفر لهم أخدودا وأحرقهم
فيه.
حكاه الماوردي، وحكى الثعلبي عنه أن أصحاب الأخدود من بني إسرائيل، أخذوا
رجالا

(١) في الأصول: (.. إلا الله عبد الله...) وهو تحريف.

ونساء، فخذوا لهم الأخاديد، ثم أوقدوا فيها النار، ثم أقيم المؤمنون عليها. وقيل لهم: تكفرون أو تقذفون في النار؟ ويزعمون أنه دانيال وأصحابه، وقاله عطية العوفي. وروي نحو هذا عن ابن عباس. وقال علي رضي الله عنه: إن ملكا سكر فوقع على أخته، فأراد أن يجعل ذلك

شرعا في رعيته فلم يقبلوا، فأشارت إليه أن يخطب بأن الله - عز وجل - أحل نكاح الأخوات،

فلم يسمع منه. فأشارت إليه أن يخذ لهم الأخدود، ويلقي فيه كل من عصاه. ففعل. قال:

وبقايهم ينكحون الأخوات وهم المجوس، وكانوا أهل كتاب. وروي عن علي أيضا أن أصحاب

الأخدود كان سببهم أن نبيا بعثه الله تعالى إلى الحبشة، فاتبعه ناس، فخذ لهم قومهم أخدودا،

فمن اتبع النبي رمي فيها، فجئى بامرأة لها بني رضيع فجزعت، فقال لها: يا أماه، أمضي ولا تجزعي. وقال أيوب عن عكرمة قال: " قتل أصحاب الأخدود " قال: كانوا من قومك

من السجستان. وقال الكلبي: هم نصارى نجران، أخذوا بها قوما مؤمنين، فخذوا لهم سبعة

أخاديد، طول كل أخدود أربعون ذراعا، وعرضه اثنا عشر ذراعا. ثم طرح فيه النفط (١)

والحطب، ثم عرضوهم عليها، فمن أبى قذفوه فيها. وقيل: قوم من النصارى كانوا بالقسطنطينية زمان قسطنطين. وقال مقاتل: أصحاب الأخدود ثلاثة، واحد بنجران، والآخر بالشام، والآخر بفارس. أما الذي بالشام فأنطيانوس الرومي، وأما الذي بفارس فبختنصر، والذي بأرض العرب يوسف بن ذي نواس. فلم ينزل الله في الذي بفارس والشام

قرآنا، وأنزل قرآنا في الذي كان بنجران. وذلك أن رجلين مسلمين كان أحدهما بتهامة،

والآخر بنجران، آجر أحدهما نفسه، فجعل يعمل ويقرأ الإنجيل، فرأت ابنة المستأجر النور

في قراءة الإنجيل، فأخبرت أباهما فأسلم. وبلغوا سبعة وثمانين بين رجل وامرأة، بعد ما رفع

عيسى، فخذ لهم يوسف بن ذي نواس بن تبع الحميري أخدودا، وأوقد فيه النار، وعرضهم

على الكفر، فمن أبي أن يكفر قذفه في النار، وقال: من رجع عن دين عيسى لم يقذف.
وإن امرأة معها ولدها صغير لم يتكلم، فرجعت، فقال لها ابنها: يا أماه، إني أرى أمامك

(١) النفط (بالكسر وقد بفتح): زيت معدني سريع الاحتراق توقد به النار ويتداوى به.

نارا لا تطفأ، فقذفا جميعا أنفسهما في النار، فجعلها الله وابنها في الجنة. فقذف في يوم واحد

سبعة وسبعون إنسانا. وقال ابن إسحاق عن وهب بن منبه: كان رجل من بقايا أهل دين عيسى بن مريم عليه السلام، يقال له قيميون (١)، وكان رجلا صالحا مجتهدا زاهدا في الدنيا محاب

الدعوة، وكان سائحا في القرى، لا يعرف بقرية إلا مضى عنها، وكان بناء يعمل الطين. قال

محمد بن كعب القرظي، وكان أهل نجران أهل شرك يعبدون الأصنام، وكان في قرية من قراها

قريبا من نجران ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر، فلما نزل بها قيميون، بنى بها خيمة بين

نجران وبين تلك القرية التي بها الساحر، فجعل أهل نجران يبعثون غلمانهم إلى ذلك الساحر

يعلمهم السحر، فبعث إليه الثامر عبد الله بن الثامر، فكان مع غلمان أهل نجران، وكان عبد الله إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من أمر صلاته وعبادته، فجعل يجلس إليه ويسمع منه، حتى أسلم، فوحد الله وعبده، وجعل يسأله عن اسم الله الأعظم، وكان الراهب

يعلمه، فكتمه إياه وقال: يا ابن أخي، إنك لن تحمله، أخشى ضعفك عنه، وكان أبو الثامر

لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان. فلما رأى عبد الله أن الراهب قد

بخل عليه بتعليم اسم الله الأعظم، عمد إلى قدح (٢) فجمعها، ثم لم يبق لله تعالى اسما يعلمه إلا كتبه

في قدح، لكل اسم قدح، حتى إذا أحصاها أوقد لها نارا، ثم جعل يقذفها فيها قدحا قدحا،

حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف فيها بقدحه، فوثب القدح حتى خرج منها لم يضره شيء،

فأخذه ثم قام إلى صاحبه، فأخبره أنه قد علم اسم الله الأعظم الذي كتمه إياه، فقال: وما هو؟

قال: كذا وكذا. قال: وكيف علمته؟ فأخبره بما صنع. فقال له: يا ابن أخي، قد أصبت، فأمسك على نفسك، وما أظن أن تفعل. فجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل نجران لم

يلق أحدا

به ضر إلا قال: يا عبد الله، أتوحد الله وتدخل في ديني، فأدعو الله لك فيعافيك مما

أنت فيه
من البلاء؟ فيقول: نعم، فيوحد الله ويسلم، فيدعوا الله له فيشفى، حتى لم يبق أحد
بنجران
به ضر إلا أتاه فاتبعه على دينه ودعا له فعوفي، حتى رفع شأنه إلى ملكهم، فدعاه فقال
له:

(١) في ا، ح، و، تاريخ الطبري: (فيمون) بالفاء.
(٢) القدح (بالكسر): السهم قبل أن ينصل ويراش جمعه قداح.

أفسدت علي أهل قرיתי، وخالفت ديني ودين آبائي، فلأمثلن بك. قال: لا تقدر علي ذلك، فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل، فيطرح عن رأسه، فيقع على الأرض ليس به بأس. وجعل يبعث به إلى مياه نجران، بحار لا يلقي فيها شيء إلا هلك، فيلقي فيها فيخرج ليس به بأس، فلما غلبه قال له عبد الله بن الثامر: والله لا تقدر علي قتلي حتى توحد الله وتؤمن بما آمنت به، فإنك إن فعلت ذلك سلطت علي وقتلتني. فوحد الله ذلك الملك وشهد شهادته، ثم ضربه بعضا فشجه شجة صغيرة ليست بكبيرة، فقتله، وهلك الملك مكانه، واجتمع أهب نجران علي دين عبد الله بن الثامر، وكان علي ما جاء به عيسى بن مريم من الإنجيل وحكمه. ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الاحداث، فمن ذلك كان أصل النصرانية بنجران. فسار إليهم ذو نواس اليهودي بجنوده من حمير، فدعاهم إلى اليهودية، وخيرهم بين ذلك أو القتل، فاختراروا القتل، فخذ لهم الأخدود، فحرق بالنار وقتل بالسيف، ومثل بهم حتى قتل منهم عشرين ألفا. وقال وهب بن منبه: اثني عشر ألفا. وقال الكلبي: كان أصحاب الأخدود سبعين (١) ألفا. قال وهب: ثم لما غلب أرياط علي اليمن خرج ذو نواس هاربا، فاقتحم البحر بفرسه فغرق. قال ابن إسحاق: وذو نواس هذا اسمه زرعة بن تبان (٢) أسعد الحميري، وكان أيضا يسمى يوسف، وكان له غدائر من شعر تنوس، أي تضطرب، فسمى ذا نواس، وكان فعل هذا بأهل نجران، فأفلت منهم رجل اسمه دوس ذو ثعلبان، فساق الحبشة لينتصر بهم، فملكوا اليمن وهلك ذو نواس في البحر، ألقى نفسه فيه، وفيه يقول عمرو بن معدي كرب: أتوعدني كأنك ذو رعين * بأنعم عيشة أو ذو نواس وكائن كان قبلك من نعيم * وملك ثابت في الناس رأس قديم عهده من عهد عاد * عظيم قاهر الجبروت قاس أزال الدهر ملكهم فأضحى * ينقل من أناس في أناس

-
- (١) في ز، ل: (تسعين ألفاً).
(٢) هو كغراب أو كرمان ويكسر. وهو أول من كسا البيت الحرام.

وذو رعين: ملك من ملوك حمير. ورعين حصن له وهو من ولد الحرث بن عمرو بن حمير ابن سبأ.

مسألة - قال علماؤنا: أعلم الله عز وجل المؤمنين من هذه الأمة في هذه الآية، ما كان يلقاه من وحد قبلهم من الشدائد، يؤنسهم بذلك. وذكر لهم النبي صلى الله عليه وسلم قصة الغلام ليصبروا على ما يلاقون من الأذى والآلام، والمشقات التي كانوا عليها، ليتأسوا بمثل هذا الغلام، في صبره وتصلبه في الحق وتمسكه به، وبذله نفسه في حق إظهار دعوته، ودخول الناس في الدين مع صغر سنه وعظم صبره. وكذلك الراهب صبر على التمسك بالحق حتى نشر بالمنشار. وكذلك كثير من الناس لما آمنوا بالله تعالى ورسخ الإيمان في قلوبهم، صبروا على الطرح في النار ولم يرجعوا في دينهم. ابن العربي: وهذا منسوخ عندنا، حسب ما تقدم بيانه في سورة " النحل " (١).

قلت: ليس بمنسوخ عندنا، وأن الصبر على ذلك لمن قويت نفسه وصلب دينه أولى، قال الله تعالى مخبرا عن لقمان: " يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور " (٢) [لقمان: ١٧]: وروى أبو سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر): خرجه الترمذي وقال: حديث حسن غريب، وروى ابن سنجر (محمد بن سنجر) عن أميمة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم

قالت: كنت أوضئ النبي صلى الله عليه وسلم، فأتاه رجل، قال: أوصني فقال: (لا تشرك بالله شيئا وأن قطعت أو حرقت بالنار..) الحديث: قال علماؤنا: ولقد امتحن كثير من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالقتل والصلب والتعذيب الشديد، فصبروا ولم يلتفتوا إلى

شئ من ذلك ويكفيك قصة عاصم وخبيب وأصحابهما وما لقوا من الحروب والمحن

والقتل والأسر والحرق، وغير ذلك، وقد مضى في " النحل " أن هذا إجماع ممن قوي في ذلك، فتأمله هناك (٣).

(١) راجع ج ١٠ ص ١٨٠ و ص ٢٠٢.

(٢) راجع ج ١٤ ص ٦٨

(٣) راجع ج ١٠ ص ١٨٠

قوله تعالى: " قتل أصحاب الأخدود " دعاء على هؤلاء الكفار بالابعاد من رحمة الله تعالى: وقيل: معناه الاخبار عن قتل أولئك المؤمنين، أي إنهم قتلوا بالنار فصبروا: وقيل: هو إخبار عن أولئك الظالمين، فإنه روى أن الله قبض أرواح الذين ألقوا في الأخدود

قبل أن يصلوا إلى النار، وخرجت نار من الأخدود فأحرقت الذين هم عليها قعود: وقيل:

إن المؤمنين نجوا، وأحرقت النار الذين قعدوا، ذكره النحاس، ومعنى " عليها " أي عندها

وعلى بمعنى عند، وقيل: " عليها " على ما يدنو منها من حافات الأخدود، كما قال: * وبات على النار الندى والمحلق (١) *

العامل في " إذ ": " قتل "، أي لعنوا في ذلك الوقت. (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) أي حضور: يعني الكفار، كانوا يعرضون الكفر على المؤمنين، فمن أبي القوه في النار

وفي ذلك وصفهم بالقسوة (٢) ثم بالجد في ذلك: وقيل: " على " بمعنى مع، أي وهم: مع

ما يفعلون بالمؤمنين شهود.

قوله تعالى: وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد (٨) الذي له ملك السماوات والأرض والله على كل شيء شهيد (٩)

قوله تعالى: (وما نقموا منهم) وقرأ أبو حياة " نقموا " بالكسر، والفصيح هو الفتح، وقد مضى في " براءة " القول فيه (٣): أي ما نقم الملك وأصحابه من الذين حرقهم:

(إلا أن يؤمنوا) أي إلا أن يصدقوا: (بالله العزيز) أي الغالب المنيع. (الحميد)

(١) البيت لأعشى قيس وصدرة:

* تشب لمقروين يصطليانها *

(٢) في بعض النسخ: (أي بالخلد) بدل (ثم بالجد).

(٣) راجع ج ٨ ص ٢٠٧

أي المحمود في كل حال. (الذي له ملك السماوات والأرض) لا شريك له فيهما ولا نديد

(والله على كل شيء شهيد) أي عالم بأعمال خلقه لا تخفي عليه خافية.

قوله تعالى: إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق (١٠) إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير (١١)

قوله تعالى: (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) أي حرقوهم بالنار. والعرب تقول: فتن فلان الدرهم والدينار إذا أدخله الكور لينظر جودته. ودينار مفتون. ويسمى الصائغ الفتان، وكذلك الشيطان، وورق فتين، أي فضة محترقة. ويقال (١) للحرة فتين،

أي كأنها أحرقت حجارتها بالنار، وذلك لسوادها. (ثم لم يتوبوا) أي من قبيح صنيعهم مع ما أظهره الله لهذا الملك الجبار الظالم وقومه من الآيات والبيئات على يد الغلام. (فلهم)

عذاب جهنم) لكفرهم. (ولهم عذاب الحريق) في الدنيا لا حراقهم المؤمنين بالنار. وقد تقدم عن ابن عباس. وقيل: " ولهم عذاب الحريق " أي ولهم في الآخرة عذاب زائد على

عذاب كفرهم بما أحرقوا المؤمنين. وقيل: لهم عذاب، وعذاب جهنم الحريق. والحريق:

اسم من أسماء جهنم، كالسعير. والنار دركات وأنواع ولها أسماء. وكأنهم (٢) يعذبون

بالزمهرير في جهنم، ثم يعذبون بعذاب الحريق. فالأول عذاب بيردها، والثاني عذاب بحرهما. (إن الذين آمنوا) أي هؤلاء الذين كانوا آمنوا بالله، أي صدقوا به وبرسله.

(وعملوا الصالحات لهم جنات) أي بساتين. (تجري من تحتها الأنهار) من ماء غير آسن،

ومن لبن لم يتغير طعمه، ومن خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى. (ذلك الفوز الكبير) أي العظيم، الذي لا فوز يشبهه (٣).

(١) الحرة (بفتح الحاء المهملة): أرض ذات حجارة سود نخرة.

(٢) في ا، ح، ز، ط، ل: وكانوا.

(٣) ا، ح، ولا يشابهه شيء.

قوله تعالى: إن بطش ربك لشديد (١٢) إنه هو يبدئ ويعيد (١٣) وهو الغفور الودود (١٤) ذو العرش المجيد (١٥) فعال لما يريد (١٦)

قوله تعالى: (إن بطش ربك لشديد) أي أخذه الجبابة والظلمة، كقوله جل ثناؤه: " وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة، إن أخذه أليم شديد " [هود: ١٠٢]. وقد

تقدم (١). قال المبرد: " إن بطش ربك " جواب القسم. المعنى: والسماء ذات البروج إن

بطش ربك، وما بينهما معترض مؤكد للقسم. وكذلك قال الترمذي الحكيم في نوادر الأصول:

إن القسم واقع عما ذكر صفته بالشدة. (إنه يبدئ ويعيد) يعني الخلق - عن أكثر العلماء - يخلقهم ابتداء، ثم يعيدهم عند البعث، وروى عكرمة قال: عجب الكفار من إحياء

الله جل ثناؤه الأموات، وقال ابن عباس: يبدئ لهم عذاب الحريق في الدنيا، ثم يعيده عليهم في الآخرة. وهذا اختيار الطبري. (وهو الغفور) أي الستور لذنوب عباده المؤمنين

لا يفضحهم بها. (الودود) أي المحب لأوليائه. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: كما يود

أحدكم أخاه بالبشرى والمحبة. وعنه أيضا " الودود " أي المتودد إلى أوليائه بالمغفرة، وقال

مجاهد الواد لأوليائه، فعول بمعنى فاعل. وقال ابن زيد: الرحيم، وحكى المبرد عن إسماعيل بن إسحاق القاضي أن الودود هو الذي لا ولد له، وأنشد قول الشاعر:

وأركب في الروع عريانة* ذلول الجناح لقاحا ودودا

أي لا ولد لها تحن إليه، ويكون معنى الآية: إنه يغفر لعباده وليس له ولد يغفر لهم من أجله، ليكون بالمغفرة متفضلا من غير جزاء. وقيل: الودود بمعنى المودود، كركوب وحلوب، أي يوده عباده الصالحون ويحبونه. (ذو العرش المجيد) قرأ الكوفيون إلا عاصما

" المجيد " بالخفض، نعتا للعرش. وقيل: ل " - ربك "، أي إن بطش ربك المجيد لشديد،

ولم يمتنع الفصل، لأنه جار مجرى الصفة في التشديد. الباقون بالرفع نعت ل " - ذو " وهو الله تعالى. واختاره أبو عبيد وأبو حاتم، لان المجد هو النهاية في الكرم والفضل، والله سبحانه المنعوت بذلك، وإن كان قد وصف عرشه بالكريم في آخر " المؤمنون (١). تقول العرب:

في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار (٢)، أي تناهيا فيه، حتى يقتبس منهما. ومعنى ذو العرش:

أي ذو الملك والسلطان، كما يقال: فلان على سرير ملكه، وإن لم يكن على سرير. ويقال:

ثل عرشه: أي ذهب سلطانه. وقد مضى بيان هذا في " الأعراف " (٣) وخاصة في " كتاب

الأسنى، في شرح أسماء الله الحسني ". (فعال لما يريد) أي لا يمتنع عليه شيء يريد. الزمخشري: " فعال " خبر ابتداء محذوف. وإنما قيل: " فعال " لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة. وقال الفراء: هو رفع على التكرير والاستئناف، لأنه نكرة محضة. وقال الطبري: رفع " فعال " وهي نكرة محضة على وجه الاتباع لاعراب " الغفور الودود ". وعن أبي السفر (٤) قال: دخل ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على أبي بكر رضي الله

عنه يعودونه فقالوا: ألا نأتيك بطيب؟ قال: قد رأني! قالوا: فما قال لك؟ قال: قال: إني فعال لما أريد.

قوله تعالى: هل أتاك حديث الجنود (١٧) فرعون وشمود (١٨) بل الذين كفروا في تكذيب (١٩)

قوله تعالى: (هل أتاك حديث الجنود) أي قد أتاك يا محمد خبر الجموع الكافرة المكذبة لأنبيائهم، يؤنسه بذلك ويسليه. ثم بينهم فقال. (فرعون وشمود) وهما في موضع

جر على البدل من " الجنود ". المعنى: إنك قد عرفت ما فعل الله بهم حين كذبوا أنبياءه ورسله. (بل الذين كفروا) أي من هؤلاء الذين لا يؤمنون بك. (في تكذيب)

(١) راجع ج ١٢ ص ١٥٧.

(٢) المرخ والعفار: شجرتان من أكثر الشجر نارا يتخذ منها الزناد والعرب تضرب بهما المثل في الشرف العالي. و (استمجد). استكثر.

(٣) راجع ج ٧ ص ٢٢٠

(٤) هو سعيد بن محمد الهمداني.

لك، كدأب من قبلهم. وإنما خص فرعون وثمرود، لان ثمود في بلاد العرب وقصبتهم عندهم مشهورة وإن كانوا من المتقدمين. وأمر فرعون كان مشهورا عند أهل الكتاب وغيرهم، وكان من المتأخرين في الهلاك، فدل بهما على أمثالهما في الهلاك. والله أعلم.

قوله تعالى: والله من ورائهم محيط (٢٠) بل هو قرآن

مجيد (٢١) في لوح محفوظ (٢٢)

قوله تعالى: (والله من ورائهم محيط) أي يقدر على أن ينزل بهم ما أنزل بفرعون. والمحاط به كالمحصور. وقيل: أي والله عالم بهم فهو يجازيهم. (بل هو قرآن مجيد) أي

متناه في الشرف والكرم والبركة، وهو بيان ما بالناس الحاجة إليه من أحكام الدين والدنيا،

لا كما زعم المشركون. وقيل "مجيد": أي غير مخلوق. (في لوح محفوظ) أي مكتوب

في لوح. وهو محفوظ عند الله تعالى من وصول الشياطين إليه. وقيل: هو أم الكتاب، ومنه انتسخ القرآن والكتب. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: "اللوح من ياقوتة حمراء، أعلاه معقود بالعرش وأسفله في حجر ملك يقال له ماطريون (١)، كتبه نور، وقلمه نور،

ينظر الله عز وجل فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة، ليس منها نظرة إلا وهو يفعل ما يشاء،

يرفع وضيعا، ويضع رفيعا"، ويغني فقيرا، ويفقر غنيا، يحيي ويميت، ويفعل ما يشاء، لا إله إلا هو". وقال أنس بن مالك ومجاهد: إن اللوح المحفوظ الذي ذكره الله تعالى في جبهة

إسرافيل. وقال مقاتل: اللوح المحفوظ عن يمين العرش. وقيل: اللوح المحفوظ الذي فيه أصناف الخلق والخليقة، وبيان أمورهم، وذكر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم والأقضية النافذة فيهم ومآل عواقب أمورهم، وهو أم الكتاب. وقال ابن عباس: أول شيء كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ "إني أنا الله لا إله إلا أنا، محمد رسولي، من استسلم لقضائي،

وصبر على بلائي، وشكر نعمائي، كتبه صديقا وبعثته مع الصديقين، ومن لم يستسلم لقضائي

(١) في روح المعاني: (ساطريون).

(۲۹۸)

ولم يصبر على بلائي، ولم يشكر نعمائي، فليخذ إليها سواي ". وكتب الحجاج إلى محمد

ابن الحنفية رضي الله عنه يتوعده، فكتب إليه ابن الحنفية: " بلغني أن لله تعالى في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة في اللوح المحفوظ، يعز ويذل، ويبتلي ويفرح، ويفعل ما يريد،

فلعل نظرة منها تشغلك بنفسك، فتشتغل بها ولا تتفرغ ". وقال بعض المفسرين: اللوح شئ يلوح للملائكة فيقرؤونه. وقرأ ابن السميعة وأبو حياة " قرآن مجيد " على الإضافة، أي قرآن رب مجيد. وقرأ نافع " في لوح محفوظ " بالرفع نعنا للقرآن، أي بل هو قرآن مجيد محفوظ في لوح. الباقون (بالجر) نعنا للوح. والقراء متفقون على فتح اللام من " لوح "

إلا ما روى عن يحيى بن يعمر، فإنه قرآن " لوح " بضم اللام، أي إنه يلوح، وهو ذو نور

وعلو وشرف. قال الزمخشري: واللوح الهواء، يعني اللوح فوق السماء السابعة الذي فيه

اللوح. وفي الصحاح: لاح الشئ يلوح لوحا أي لمح. ولاحه السفر: غيره. ولاح لوحا ولواحا: عطش، والتاج مثله. واللوح: الكتف، وكل عظم عريض. واللوح: الذي يكتب فيه. واللوح (بالضم): الهواء بين السماء والأرض. والحمد لله. تم بعون الله تعالى الجزء التاسع عشر من تفسير القرطبي يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء العشرون وأوله: " سورة (الطارق) "